



اصبحان

الحاكم



www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

الحمد لله

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

١٦

الحمد لله

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلي الله عليه و آله وسلم

كاتب:

السيد جعفر مرتضى حسيني العاملي

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
13	الصحيح من سيرة النبي الأعظم المجلد 16
13	هوية الكتاب
13	اشارة
17	ادامة القسم الثامن: من الحديبية إلى فتح مكة
17	الباب الثاني: عهد الحديبية . وقائع و آثار
17	اشارة
19	الفصل الأول: بيعة الرضوان
19	اشارة
21	حديث البيعة:
27	أول من بايع:
29	لماذا تعددت بيعة ابن الأكوخ ؟ !
31	هل بايعوه على الموت ؟ !
32	بيعة المناققين في الحديبية:
34	حديث: «لا يدخل النار من شهد الحديبية» لا يصح:
36	بيعة النبي صَلَّى الله عليه وآله عن عثمان:
37	محاولة فاشلة:
38	الرد على الشيعة:
46	الصحيح في القضية:
47	سؤال و جوابه:
48	دليل على موت الخضر:
50	هل أسلم ابن عمر قبل أبيه ؟ !
52	لا توقدوا نارا بالليل:

59 الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث و تفاصيل

59 اشارة

61 تقديم:

62 عهد الحديبية:

71 الاصطفاف للقتال، و اللواء مع علي عليه السلام:

72 قريش في مأزق:

74 رعب قريش و ضراعتها الصلح:

76 معرفة النبي صلى الله عليه و آله بعدوه:

76 جلوس النبي صلى الله عليه و آله و جلوس سهيل:

76 اختلاف نصوص العهد:

77 مصادر العهد:

81 كلمات تحتاج إلى توضيح:

82 من هو كاتب العهد؟ :

84 مخنة أبي جندل، و حوادث أخرى:

89 عمر و أبو جندل:

89 هل عندكم أمان أو عهد؟ !:

91 اثنا عشر رجلا آخر:

91 متى قتل ابن زنيم؟ !:

92 سهيل يضرب ولده:

93 الصلف الذي لا يطاق:

93 هل في موقف الرسول صلى الله عليه و آله تناقض؟ !:

94 إنا لا نغدر:

94 غضب قريش من خزاعة:

96 صلح الحديبية لا يشمل النساء:

96	 اشارة
98	 1-سيعة الأسلمية:
99	 2-أروى بنت ربيعة:
99	 3-أميمة بنت بشر:
100	 4-أم كلثوم بنت عقبة:
100	 5-زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله:
101	 نساء لحقن بالمشركين:
102	 الفصل الثالث: إدانة البريء
102	 اشارة
104	 هل عصى علي عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ !
107	 ظهور الحقد الدفين:
109	 الشك فيما ينسب لعلي عليه السلام:
115	 استتطاق النصوص:
118	 الحدث مستعار بكامل تفاصيله:
118	 والحدث الذي نعنيه هو:
119	 من أسباب التزوير:
122	 لك مثلها يا علي:
123	 ضع يدي عليها:
126	 النبي صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب:
136	 الفصل الرابع: تبرئة المذنب
136	 اشارة
138	 استدراج مدروس:
139	 لا نعطي الدنيا في ديننا:
141	 شك عمر في النبوة:
148	 شكوك عمر استمرت إلى الطائف:

149	استمرار شكوك عمر إلى حجة الوداع:
151	المسلمون يرفضون الإحلال:
155	التبرك:
155	ما نحره صلى الله عليه وآله عند المروة:
155	الهدى عن سبعة:
155	حلمهم الكبير الطعن في علي عليه السلام:
162	الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة
162	اشارة
164	في طريق العودة:
167	نوم المسلمين عن صلاتهم:
169	صلح الحديبية أعظم الفتح:
174	النبي صلى الله عليه وآله يذكرهم:
174	أبو بكر . . في موازة رسول الله صلى الله عليه وآله:
175	تبرك سهيل بن عمرو:
176	الفصل السادس: عهد الحديبية: نتائج وآثار
176	اشارة
178	آثار و نتائج عهد الحديبية:
190	أبو بصير يقتل أسريه، ويعتصم بالساحل:
196	مصير أبي بصير:
197	أبو بصير يقتل أسره:
198	النبي صلى الله عليه وآله يجير المشرك:
198	النبي صلى الله عليه وآله لا يجيب أبا بصير:
198	ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه رجال:
199	النبي صلى الله عليه وآله يقبل خمس السلب:
199	قريش تعيش الإرباك والانتقام:

200	أسلم وغفار وجهينة مع أبي جندل:
201	ذل قريش:
204	الباب الثالث: حتى خير
204	اشارة
206	الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحهم
206	اشارة
208	إيضاحات ضرورية:
209	وفاة أم رومان:
214	إسلام أبي هريرة:
214	إسلام عمران بن حصين:
216	الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر
216	اشارة
218	سرية أبان بن سعيد إلى نجد:
221	حكم الظهار:
228	تحريم الخمر:
228	أسطورة سحر النبي صلى الله عليه وآله:
236	تناقض الروايات:
237	النبي صلى الله عليه وآله والأسوة، القدوة، والمثال:
238	إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً:
239	حفظ الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام:
240	هل كان يهودي يخدم رسول الله صلى الله عليه وآله؟!
242	الرسول صلى الله عليه وآله بدون شعر!!
242	تصنيف الروايات المتقدمة:
244	الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض
244	اشارة

246	الفصل الأول: بيانات تمهيدية
246	إشارة
248	كتابة إلى ستة من الملوك:
249	الملوك الستة الذين كتب إليهم:
250	حاملو الكتب:
250	التاقل عن تنفيذ أمر الرسول صَلَّى الله عليه وآله:
252	لماذا باللغة العربية؟!
254	تفاوت مستويات الرسائل العربية:
255	الكتابة في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:
256	لم يكن النبي صَلَّى الله عليه وآله يكتب بيده:
258	بداية كتب الرسول صَلَّى الله عليه وآله:
263	البدء باسمه الشريف:
264	الحمد والتسليم:
265	إتخاذ الخاتم:
267	النبي صَلَّى الله عليه وآله يؤرخ رسائله:
267	كتب دعوة لا كتب حرب:
269	حساسية مخاطبة الملوك:
271	رسائل النبي صَلَّى الله عليه وآله للملوك:
272	الفصل الثاني: كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى كسرى
272	إشارة
274	1-رسائله صَلَّى الله عليه وآله إلى كسرى:
274	إشارة
277	اختلاف الكتب:
281	بسم الله الرحمن الرحيم:
282	عظيم فارس:

- 283 سلام على من اتبع الهدى:
- 284 وآمن بالله ورسوله:
- 285 الشهادة لله بالوحدانية:
- 285 وأن محمدا عبده ورسوله:
- 286 أذكرك بدعاية الله:
- 287 فإني أنا رسول الله:
- 287 إلى الناس كافة:
- 288 لأنذر من كان حيا:
- 288 ويحق القول على الكافرين:
- 289 أسلم تسلم:
- 289 فإن أبيت فعليك إثم المجوس:
- 290 ولا تزر وازرة وزر أخرى:
- 291 إثم المجوس أو إثم الأكرين:
- 293 من هو حامل الرسالة؟ !
- 294 حديث تسليم الكتاب:
- 296 عدوانية كسرى تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله:
- 299 قریش في مهب الريح:
- 299 باذان ملك اليمن:
- 300 باذان وعقله:
- 301 كفاية باذان:
- 301 باذان لم يسلم طمعا:
- 303 تفاؤل رسول الله صلى الله عليه وآله:
- 304 حلقا لحاهما:
- 305 الفصل الثالث: كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى قيصر
- 305 اشارة

307	كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى قيصر:
310	مضامين الكتاب:
311	يؤنك الله أجرك مرتين:
312	إثم الأريسيين:
314	ما جرى عند ملك الروم:
315	أبو سفيان عند ملك الروم:
320	إكرام الرسول صَلَّى الله عليه وآله:
322	تعالوا إلى كلمة سواء:
324	الآية تفرض التوحيد:
327	المجوس أهل كتاب:
327	جواب قيصر:
329	حراجة موقف أبي سفيان:
330	لم أكن أظنه منكم:
332	ليبلغن ملكه تحت قدمي:
332	حنكة قيصر في استجواب أبي سفيان:
333	نظرة في أسئلة قيصر:
336	هرقل ماكر وكاذب:
338	أكثر من كتاب إلى قيصر:
339	لا أقبل زبد المشركين:
343	الفهارس
343	إشارة
345	1-الفهرس الإجمالي
347	2-الفهرس التفصيلي
356	تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيرة النبي الاعظم (ص) / جعفر مرتضى العاملى

مشخصات نشر : سحرگاهان ، 1419 ق . = 1377.

مشخصات ظاهرى : ج 35

شابک : 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل) ؛
130000 ریال (دوره کامل) ؛ 130000 ریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسى : فیا

یادداشت : عربى .

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است .

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت : دار السیره

یادداشت : جلد دهم : الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11 ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41 ق.

رده بندى کنگره : BP22/9 /ع 2 ص 3 1377

رده بندى دیویى : 297/93

شماره کتابشناسى ملی : م 77-15929

محرر الرقمى : میثم حیدرى

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 2

الصحيح من سيرة النبي الأعظم

تأليف: جعفر مرتضى عامري

ص: 3

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ط _ جديد)

تأليف: جعفر مرتضى عامري

الناشر: مؤسسه علمي فرهنگي دار الحديث، سازمان چاپ و نشر

سال انتشار: 1426 ق/ 1385 هـ.ش

ص: 4

ادامة القسم الثامن: من الحديبية إلى فتح مكة

الباب الثاني: عهد الحديبية. . وقائع و آثار

اشارة

الفصل الأول: بيعة الرضوان

الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث و تفاصيل

الفصل الثالث: إدانة البريء

الفصل الرابع: تبرئة المذنب

الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة

الفصل السادس: عهد الحديبية. . نتائج و آثار

ص: 5

قال الصالحى الشامى: لما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن عثمان قد قتل، (وقتل معه العشرة الآخرون (1))، دعا الناس إلى البيعة، وقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم».

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منازل بنى مازن بن النجار، وقد نزلت في ناحية من الحديبية، فجلس في رحالهم تحت شجرة خضراء، ثم قال: «7ن الله تعالى أمرني بالبيعة».

فأقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا، فما بقي لبنى مازن متاع إلا وطئ، ثم لبسوا السلاح وهو معهم قليل.

وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به، فأخذته بيدها، وشدت

ص: 9

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 16 و تفسير الثعالبي ج 5 ص 255 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 452 و عن فتح الباري ج 7 ص 49 و تحفة الأحوذى ج 10 ص 141 و جامع البيان ج 26 ص 111 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 200 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 279 و البداية و النهاية ج 4 ص 191 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 780 و عن عيون الأثر ج 2 ص 119 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 319.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن عروة، وابن إسحاق عن الزهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال سلمة: بينا نحن قائلون إذ نادى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «

أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس، فخرجوا على اسم الله» .

قال سلمة: «فسرنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه» (1).

وفي صحيح مسلم عنه قال: فبايعته أول الناس .

ثم بايع، وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة» .

قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس (2).

ص: 10

1- أخرجه البيهقي في الدلائل ج 4 ص 136 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 48 و السيرة الحلبية ج 3 ص 16 و 17 و صحيح مسلم ج 6 ص 25 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 512 و كنز العمال ج 1 ص 332 و تفسير الميزان ج 18 ص 292 و زاد المسير ج 7 ص 167 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 205 و تفسير الجلالين ص 713 و الدر المنثور ج 6 ص 73 و لباب النقول ص 177 و فتح القدير ج 5 ص 52 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 279 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 622.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 48، أخرجه مسلم في الجهاد ج 3 ص 1434 (132) و صحيح مسلم ج 5 ص 190 و مسند أحمد ج 4 ص 54، و البيهقي في الدلائل ج 4 ص 138 و تاريخ مدينة دمشق ج 22 ص 90 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 279.

قال: «ورآني رسول الله «صلى الله عليه وآله» عزلا، فأعطاني حنفة- أو درقة-.

ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة» ؟

قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس، وفي وسط الناس.

قال: «وأيضا» ، فبايعته الثالثة.

ثم قال لي: «يا سلمة أين حنفتك-أو درقتك-التي أعطيتك» ؟

قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر عزلا فأعطيته إياها.

قال: فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي (1).

وفي صحيح البخاري عنه قال: بايعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة.

قيل: على أي شيء كنتم تبايعون؟

قال: على الموت (2).

ص: 11

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 49 و السيرة الحلبية ج 3 ص 18 و مسند أحمد ج 4 ص 49 و صحيح مسلم ج 5 ص 190 و شرح مسلم للنووي ج 12 ص 175 و الجامع الصغير ج 1 ص 387 و عن تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 202.
 - 2- أخرجه البخاري (4169) و البيهقي ج 4 ص 138 و راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 49 و ج 9 ص 110 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 303 و البحار ج 38 ص 218 و مسند أحمد ج 4 ص 54 و عن صحيح البخاري ج 4 ص 8 و عن فتح الباري ج 13 ص 172 و عن تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 201 و الدر المنثور ج 6 ص 74 و فتح القدير ج 5 ص 52.

وروى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عمر: أشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

قال: نعم.

قلت: فما كان عليه؟

قال: قميص من قطن، و جبة محشوة، ورداء و سيف، و رأيت النعمان بن مقرن المازني قائم على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه يبايعونه.

وفي صحيح مسلم، عن جابر قال: بايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» و عمر أخذ بيده، تحت شجرة-وهي سمرة-فبايعناه غير الجذ بن قيس الأنصاري، اختفى تحت بطن بعيره.

و عند ابن إسحاق، عن جابر بن عبد الله: فكأنني أنظر إليه لاصقاً يابط ناقتة، قد خبا إليها، يستتر بها من الناس. بايعناه على ألا نفرّ، و لم نبايعه على الموت (1).

وروى الطبراني عن ابن عمر، و البيهقي عن الشعبي، و ابن منده عن زر بن حبیش قالوا: لما دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي، فقال: أبسط يدك أبايعك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علام تبايعني»؟

قال: على ما في نفسك.

ص: 12

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 49 و ج 9 ص 111 أخرجه مسلم ج 6 ص 26 و مسند أحمد ج 3 ص 355 و شرح مسلم للنووي ج 13 ص 2 و صحيح ابن حبان ج 10 ص 416 و المعجم الكبير ج 20 ص 228 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 484.

زاد ابن عمر: فقال النبي: وما في نفسي؟

قال: أضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل. فبايعه، وبايعه الناس على بيعة أبي سنان (1).

وروى البيهقي عن أنس، وابن إسحاق عن ابن عمر، قال: لما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ببيعة الرضوان كان بعث عثمان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم (2).

وروى البخاري وابن مردويه عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟

قال: خمس عشرة مائة.

قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: أربع عشرة مائة.

ص: 13

-
- 1- أخرجه ابن أبي شيبة ج 14 ص 87(600) وذكره السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 74 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 50 و السيرة الحلبية ج 3 ص 18 و مجمع الزوائد ج 6 ص 146.
 - 2- أخرجه الدولابي في الكنى ج 1 ص 133 والطبراني في الكبير ج 1 ص 41 وابن أبي شيبة ج 12 ص 46 والحاكم ج 3 ص 98 و انظر: الدر المنثور ج 6 ص 74، وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 50 و السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و سنن الترمذي ج 5 ص 290 و كنز العمال ج 13 ص 64 و ضعيف سنن الترمذي ص 496 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 76 و أسد الغابة ج 3 ص 379.

قال: يرحمه الله توهّم، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة (1).

وروى الشيخان، وابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفا و ثلاثمائة، وكانت أسلم ثمن المهاجرين (2).

أفاد الواقدي: أن أسلم كانت في الحديبية مائة رجل.

وروى سعيد بن منصور و الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: كنا يوم الحديبية ألفا و أربعمائة، فقال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم خير أهل الأرض» (3).

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، و الترمذي عن جابر بن عبد الله، و مسلم عن أم مبشر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لا يدخل

ص: 14

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 50 و 51 عن البخاري ج 7 ص 507 (4153) و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 235 و عن فتح الباري ج 7 ص 341 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 200 و الدر المنثور ج 6 ص 73 و فتح القدير ج 5 ص 49 و تاريخ خليفة بن خياط ص 49.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 51 و عن البخاري في المصدر السابق ج 5 ص 63 (4155) و مسلم ج 3 ص 1485 (75/1857) و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 271 و البداية و النهاية ج 4 ص 195 و عن فتح الباري ج 7 ص 443 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 326.

3- عن البخاري ج 7 ص 507 (4154) و عن مسلم ج 3 ص 1484 (71/1856) و السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و 18 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 51 و عن فتح الباري ج 7 ص 341 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 202 و الدر المنثور ج 6 ص 73 و تاريخ مدينة دمشق ج 11 ص 222 و البداية و النهاية ج 4 ص 195 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 325.

النار أحد بايع تحت الشجرة» (1).

فلما نظر سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، ومن كان معهم من عيون قريش من سرعة الناس إلى البيعة و
تشميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم وخوفهم، وأسرعوا إلى القضية (2).

ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل» (3).

أول من بايع:

وقالوا: إن أبا سنان الأسدي أول من بايع.

وقالوا: إن هذا هو الأشهر، وعليه الأكثر (4).

ص: 15

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 51 أخرجه أبو داود (4653) والترمذي (3860) وأحمد 3 ص 350 وابن المبارك في الزهد
(498) وابن سعد ج 2 ق 1 ص 73 ومسلم في الفضائل باب 37 (163) والسنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 464 والبداية والنهاية ج 6
ص 211 وج 7 ص 372 ورأس الحسين لابن تيمية ص 204.

2- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 51 و 52.

3- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 48-51 ومكاتب الرسول ج 3 ص 89 وجامع البيان ج 26 ص 112 والبداية والنهاية ج 4
ص 191 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 621 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 781 وعن عيون الأثر ج 2 ص 119 و
السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 319.

4- السيرة الحلبية ج 3 ص 18 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 75 وكتاب الأوائل ص 82 ومعرفة علوم الحديث ص 183 وعن الإصابة
ج 3 ص 157 وج 7 ص 153 والبداية والنهاية ج 4 ص 191 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 328 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص
279 والمصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 562.

ولكن نصا آخر يقول: إن أولهم هو ولده سنان بن أبي سنان (1).

ولعل هذا هو الصحيح، وذلك لأن أبا سنان نفسه قد مات في حصار بني قريظة، ودفن بمقبرتهم (2).

وقيل: أول من بايع هو عبد الله بن عمر (3).

وقيل: هو سلمة بن الأكوع (4).

ولعل السبب في ظهور هذين القولين هو: أن ابن عمر قد بايع مرتين: مرة في أول الناس، ومرة في آخر الناس (5).

كما أن سلمة بن الأكوع قد بايع ثلاث مرات: مرة في أول الناس، ومرة

ص: 16

-
- 1- السيرة الحلبية ج 3 ص 18 والطبقات الكبرى ج 3 ص 93 وأسد الغابة ج 5 ص 221 والبداية والنهاية ج 4 ص 197 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 328.
 - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 18 والطبقات الكبرى ج 2 ص 100 وج 3 ص 93 والإصابة ج 7 ص 155 و 163 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 253 والبداية والنهاية ج 4 ص 145 و 192 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 733 وعن عيون الأثر ج 2 ص 58 و 127 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 43.
 - 3- السيرة الحلبية ج 3 ص 18.
 - 4- السيرة الحلبية ج 3 ص 18 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 49 ومسند أحمد ج 4 ص 49 وتفسير القرآن العظيم ج 4 ص 202.
 - 5- السيرة الحلبية ج 3 ص 18.

في وسط الناس، و مرة في آخر الناس (1).

فطنوا، أن المراد بقوله: بايع أول الناس و آخر الناس: أنه لم يبايع النبي «صلى الله عليه وآله» أحد قبله.

مع أن المراد: أنه كان في أوائل المبايعين تارة، وفي أواخرهم أخرى.

لماذا تعددت بيعه ابن الأكوع؟ !

وقد أثار طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من سلمة بن الأكوع أن يكرر بيعته ثلاث مرات تساؤلا حول سبب ذلك. .

فادّعى البعض: أن ذلك كان فضيلة لسلمة؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته، وعنايته بالإسلام، وشهرته في الثبات. بدليل ما وقع له في غزوة ذي قرد، بناء على تقدمها على ما هنا. أو تفرس فيه «صلى الله عليه وآله» ذلك، بناء على تأخرها (2).

ونقول:

1- قد أشرنا فيما سبق: إلى أن ما يذكرونه عنه في غزوة ذي قرد ظاهر الفساد، ولا يمكن تأييد صحته. .

2- ومع غض النظر عن ذلك نقول: لماذا لم تظهر لسلمة هذا أية مواقف أخرى في سائر المشاهد، بل هو قد فر مع الفارين، وأحجم مع المحجمين؟! و تلك هي غزوة حنين، و خيبر، و سواهما، شاهد صدق على ما نقول.

ص: 17

1- تقدمت المصادر لذلك.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 18.

3- لماذا لا يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» تكرار البيعة من جميع من عرفوا بالشجاعة، مثل علي، والمقداد، وأبي دجانة و. . و. ؟ !

4- إن الشجاعة لا تناسب طلب تجديد البيعة، بل تناسب إعطاء المناصب، وإطلاق الكلمات المادحة في حق ذلك الشجاع. أما البيعة فهي أخذ عهد، وإبرام عقد يطلب الوفاء به. .

5- إن تجديد العهد، إنما يكون بهدف تأكيد الإلزام بها، والحمل على الالتزام بالوفاء، وهذا إنما يطلب ممن يظن فيه الغدر، ويتهم بالخيانة وعدم الوفاء. .

فليكن طلب البيعة مرة بعد أخرى يهدف إلى التلويح بإمكانية صدور هذه الخيانة منه. .

6- ويمكن تأييد ذلك بما ظهر في نفس ذلك المجلس، حيث يذكرون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أعطى سلمة في المرة الثانية درقة-أو جحفة-فما لبث أن أعطاها لغيره، ثم طلب منه البيعة الثالثة فبايعه، فسأله عن جحفته أو درقته التي أعطاه إياها آنفا، فأخبره أنه أعطاها لعمه عامر (1).

فلم يحتفظ بهذه الدركة سوى هذا الوقت القصير.

مع أن المفروض هو: أن يقيها عنده، كأعز ذكرى لديه، وأنفس شيء حصل عليه في حياته.

وإذا كان الصحابة يتبركون بفضل وضوء النبي «صلى الله عليه وآله»، وبشعره، وبعصاه، وبكل شيء يرتبط به، فما بال سلمة يزهد بهذه العطية

ص: 18

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 49.

السنية، و يعطيها لسواه، ولا تستقر معه دقائق معدودات؟ !

ولو أردنا أن نحمل عمله هذا على إرادة الإيثار، وهو عمل سام و نبيل، يستحق فاعله التمجيد والتقدير.

فإن هذا التوجيه لن يلقي قبولا لدى أهل الدراية والمعرفة؛ لأنهم سوف يقولون لنا: إنه لا مجال للإيثار في أمور العبادة. و تقديس رسول الله، و التبرك بآثاره «صلى الله عليه وآله» هو من قبيل الصلاة، أو الحج، الذي لا يقبل الإيثار، إذ لا يمكن التخلي عن الصلاة لإيثار الغير بها فيصلي غيره و يترك هو الصلاة. .

وقد قال البعض: إن من الممكن أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد طلب البيعة أكثر من مرة من سلمة بعد أن أعطاه درقته، من أجل أن يززع ثقة المشركين الذين هم على رأيه، و الدليل على ذلك: أنه لم يحتفظ بالدرقة و لو لوقت قصير لكي لا تكون علامة انسجام بينه و بين النبي «صلى الله عليه وآله» ، و قد ضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليفهم سلمة أنه-أي الرسول «صلى الله عليه وآله» - عارف بسبب تخلصه من الدرقة.

هل بايعوه على الموت؟ !

وقد اختلفوا في بيعه الرضوان، هل كانت على الموت، أو على عدم الفرار. . (1) أو أن المراد واحد، كما ذكره البعض (2).

ص: 19

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 50 وفي هامشه عن: صحيح مسلم ج 3 ص 1483 (1856/69، 267).

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 17.

ونقول:

إن البيعة على عدم الفرار-سواء أكانت هي نفسها البيعة على الفتح أم الشهادة-خلاف الحكمة والتدبير، وذلك لأنها تتضمن اتهاماً لأصحابه، بأنهم مظنة الفرار، من جهة. .

وفيهما أيضاً: إحياء للعدو بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير واثق بنصر أصحابه له، وأن عدم الثقة هذا قد بلغ حداً جعله يلجأ إلى أخذ الموائيق والعهود منهم بذلك، من جهة أخرى.

و من شأن هذا أن يدفع الأعداء إلى أن يطمعوا بالنصر عليه «صلى الله عليه وآله»، وأن يفكروا بأن بذل المزيد من الجهد قد يعطي ثماراً طيبة لهم. .

ومما يشهد على ما قلناه: ما رَوَّه: من أن أول من بايع هو سنان بن أبي سنان الأسدي، فقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «أبايعك على ما في نفسك».

قال «صلى الله عليه وآله»: «و ما في نفسي؟!»

قال: «أضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل، و صار الناس يبائعونه على ما بايعه عليه سنان (1)».

بيعة المنافقين في الحديبية:

قالوا: وقد بايع جميع الناس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يتخلف منهم أحد إلا الجذ بن قيس.

ص: 20

قال: لكأنني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقتة، يستتر بها من الناس.

وقد قيل: إنه كان يرمى بالنفاق. وقد نزل في حقه في غزوة تبوك من الآيات ما يدل على ذلك.

وكان الجد بن قيس سيد قومه بني سلمة-بكسر اللام-في الجاهلية.

ويقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» سؤد عليهم بشر بن البراء بن معرور، وقيل: عمرو بن الجموح. ورجح ابن عبد البر الأول، ورووا شعرا يؤيد الثاني. .

وذكروا: أن سبب ذلك هو: أنه كان يرمى بالبخل (1).

ونشير هنا إلى أمرين: الأول: أننا نرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبادر إلى أمر كهذا بلا مبرر قوي، لا سيما وأنه يجر عداوات، و يخلق أحقادا و خصومات، و ينشئ عقدا تجاهه «صلى الله عليه وآله». و مجرد بخل إنسان ما لا يكفي مبررا للإقدام على أمر كهذا. . إلا إذا كان ذلك قد حصل قبل إظهار الجد بن قيس للإسلام، ولسنا بصدد تحقيق هذا الأمر. .

الثاني: أن هذا النص يدل على: أن بقية المنافقين الحاضرين، و منهم عبد الله بن أبي قد بايع و بايعوا أيضا. . وقد كان ابن أبي حاضرا بدليل:

1- ما تقدم: من أنه كان حاضرا هو و جماعة من المنافقين، حين جاشت البئر بالماء، بسبب غرس سهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها. . فقليل له في ذلك، فادّعى: أنه رأى مثل هذا فيما سبق، و استغفر له «صلى الله عليه

ص: 21

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 17.

وآله» في هذه المناسبة.

2- أن قريشا بعثت إلى ابن سلول: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل.

فقال له ابنه عبد الله: يا أبت أذكرك الله، أن لا تفضحننا في كل موطن. تطوف! ولم يطف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

فأبى حينئذ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

وفي لفظ قال: إن لي في رسول الله أسوة حسنة.

فلما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتناعه رضي عنه، وأثنى عليه بذلك (1).

حديث: «لا يدخل النار من شهد الحديبية» لا يصح:

وهذا يوضح لنا: عدم صحة الأحاديث التي تقول: لا يدخل النار من شهد بدرا، والحديبية، وأن الله غفر لأهل بدر والحديبية، ونحو ذلك (2).

فإن المنافقين يدخلون النار بلا شك. وقد كانوا حاضرين في الحديبية، وقد بايع قسم منهم النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، و على رأسهم

ص: 22

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 18 والنص والإجتهد ص 168.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و 18 و سنن أبي داود ج 2 ص 402 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 464 و فيض القدير ج 5 ص 384 و عن الإصابة ج 2 ص 44 و البداية والنهاية ج 3 ص 398 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 514 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 51.

-حسب قولهم-عبد الله بن أبي، الذي يقول عنه أهل السنة: إنه كان رأس النفاق في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . وإن كنا نحتمل أن يكون ثمة تضخيم لدور ابن أبي، و محاولة الإنحاء باللائمة عليه في كثير من الأمور، التي قد يكون بطلها الحقيقي شخصا آخر يراد التستر عليه، أما ابن أبي فهو ضحية هذه السياسة حين لا يكون له دور أساسي فيها، أو قد يكون بريئا من أي دور فيها. ولسنا هنا بصدد تحقيق ذلك.

و ظهر أيضا عدم صحة حديث: أنتم اليوم خير أهل الأرض (1)، فإن المنافقين كانوا فيهم، ولم يكن المنافقون خير أهل الأرض قطعا. إلا إن كان المراد: أنهم كذلك في ذلك اليوم بالنسبة للمعلنين بالشرك، والمظهريين العناد.

قال الحلبي: «قال ابن عبد البر (ره): ليس في غزواته «صلى الله عليه وآله» ما يعدل بدرا و يقرب منها إلا غزوة الحديبية.

و الراجح: تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية، و أنها التي تلي بدرا في

ص: 23

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و عن صحيح البخاري ج 5 ص 63 و كتاب المسند ص 217 و مسند أحمد ج 3 ص 308 و صحيح مسلم ج 6 ص 26 و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 235 و عن فتح الباري ج 7 ص 341 و مسند الحميدي ج 2 ص 514 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 510 و منتخب عبد بن حميد ص 332 و السنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 464 و كنز العمال ج 10 ص 475 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 202 و الدر المنثور ج 6 ص 73 و تاريخ بغداد ج 12 ص 439 و تاريخ مدينة دمشق ج 11 ص 222 و تهذيب الكمال ج 4 ص 449 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 192 و البداية و النهاية ج 4 ص 195 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 325 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 51.

وقد ظهر: أنه كلام بلا مستند صحيح، فالأولى الإضراب، والإعراض عنه، والتوجه إلى ما هو أهم، ونفعه أعم.

بيعة النبي صلى الله عليه وآله عن عثمان:

وقد ادعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بايع عثمان، فوضع يده اليمنى على اليسرى، وقال: اللهم إن هذه عن عثمان، فإنه في حاجتك، و حاجة رسولك. أو نحو ذلك (2).

ونقول:

إننا قد تحدثنا عن هذا الأمر في الجزء السابق، غير أننا نعود فنذكر القارئ بما يلي:

أولاً: إذا كانت بيعة الرضوان قد حصلت، لأنه بلغهم أن عثمان قد قتل، فكيف بايع النبي «صلى الله عليه وآله» عنه؟! . . أما وقد كان عثمان حياً، فإن سبب البيعة لا بد أن يكون شيئاً آخر وهو: حبس العشرة الذين دخلوا إلى مكة (3).

أو محاولتهم قتل رسوله «صلى الله عليه وآله» إليهم، أعني خراش بن

ص: 24

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 18.

2- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 50 و المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 489 والآحاد والمثاني ج 1 ص 130 و المعجم الأوسط ج 7 ص 209 و المعجم الكبير ج 7 ص 23 و كنز العمال ج 13 ص 40 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 75.

3- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و المصادر السابقة.

أمية، بعد أن عقروا بغيره.

أو المناوشات التي جرت بينهم وبينه، حيث قتلوا أحد المسلمين.

أو محاولتهم انتهاز فرصة غفلة المسلمين لأسر بعضهم أو قتله، فأسر المسلمون منهم خمسين رجلا تارة، واثنى عشر رجلا أخرى.

أو إصرار قريش على منعهم من العمرة وزيارة بيت الله. .

أو أن جميع هذه الحوادث قد انضم بعضه إلى بعض ليصبح سببا للدعوة إلى البيعة.

هذا كله، إن لم يكن من أسباب هذه البيعة أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يلزم أناسا بها، بعد أن شعر أنهم يدبرون أمر خيانة خطيرة في الخفاء. .

ثانيا: لماذا لم يبايع النبي «صلى الله عليه وآله» عن العشرة الذين أخذوا في مكة جميعا كما بايع عن عثمان؟! .

مع أنهم يقولون: إنهم قد دخلوا في أمان عثمان أيضا حسبما تقدم. .

محاولة فاشلة:

وقد حاول بعضهم حل هذا الإشكال بادعاء: أن بيعة النبي «صلى الله عليه وآله» عن عثمان إنما كانت بعد مجيء الخبر بسلامة عثمان، أو أنه «صلى الله عليه وآله» قد علم بعدم صحة شائعة قتله (1) فبايع عنه.

ويرد عليه: أنه إذا صح ذلك، فلا يبقى داع للدعوة إلى البيعة. كما أنها

ص: 25

كلها مجرد احتمالات لا شاهد لها، ولا دليل يساعدنا، بل هي محض تخرص ورجم بالغيب.

الرد على الشيعة:

قال الحلبي: «وبهذا يردّ على ما تمسك به بعض الشيعة في تفضيل علي كرم الله وجهه على عثمان (رض)، لأن عليا كان من جملة من بايع تحت الشجرة. وقد خوطبوا بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير أهل الأرض، فإنه صريح في تفضيل أهل الشجرة على غيرهم.

وأيضا علي حضر بدرا دون عثمان، وقد جاء مرفوعا: لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية.

وحاصل الرد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بايع عن عثمان، مع الاعتذار عنه: بأنه في حاجة الله، وحاجة رسوله.

وخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» عثمان (رض) عن بدر لتمرّض ابنته «صلى الله عليه وآله». وأسهم له، كما تقدم، فهو في حكم من حضرها.

على أنه سيأتي: أنه (رض) بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة» (1).

ونقول:

إن هذا الكلام كله لا يصح أيضا، وذلك لما يلي: 1- إن القول المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير

ص: 26

أهل الأرض، مكذوب عليه، ولا يصح؛ لأن المناقطين كانوا من بينهم.

وهكذا يقال: بالنسبة لما روه مرفوعا: لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية. .

2-إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبايع عن عثمان حسبا تقدم؛ لأنهم يدعون: أن البيعة كانت لأجل ما أشيع من أن عثمان قد قتل. .

3-إن الله سبحانه لا يحتاج إلى شيء، فلا يصح القول بأن عثمان كان في حاجة الله تعالى. .

إلا أن يكون المقصود: أنه كان في حاجة يريد بها الله منه بالإرادة التشريعية، أو ما يقرب من هذا المعنى.

4-حديث أن عثمان قد بايع النبي «صلى الله عليه وآله» بعد رجوعه من مكة تحت نفس الشجرة، التي كان المسلمون قد بايعوه «صلى الله عليه وآله» تحتها (1). لا مجال للاطمينان إليه، فإن من البعيد أن يقصد النبي «صلى الله عليه وآله» تلك الشجرة بالذات لكي يجلس تحتها مرة أخرى، ثم يأتي عثمان ويبايعه. . ولا يوجد داع إلى ذلك. .

وهذا أشبه بالتمثيل، وصناعة الأفلام. .

ولو أن ذلك قد حصل لا متلات الكتب في وصف الحادثة، ولكثر روايتها، والمتسابقون لبيان تفاصيلها وجزئياتها. . خصوصا من محبي عثمان، ومن قومه من بني أمية. .

5-بالنسبة لقوله: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي خلف عثمان

ص: 27

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 17 و 18.

على ابنته ليمرضها، نقول:

ألف: إن الروايات قد صرحت: بأنه لم يكن مهتما بمرضها، وبأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرمه من النزول في قبرها، لأنه كان قد واقع في نفس ليلة وفاتها (1) بصورة جعلته مستحقاً لهذا الحرمان.

وقد لاحظ ابن بطال هنا: أنه حين قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أيكم لم يقارف الليلة أهله؟ سكت عثمان، ولم يقل: أنا، لأنه قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهم بالمصيبة، وانقطاع صهره من النبي «صلى الله عليه وآله» عن المقارفة.

فتلطف النبي «صلى الله عليه وآله» في منعه من الدخول في قبر زوجته بغير تصريح (2).

وقد علق العلامة الأميني «رحمه الله» على هذه الواقعة بكلام جيد،

ص: 28

-
- 1- راجع: صحيح البخاري ج 1 ص 152 و 146 و مستدرك الحاكم ج 4 ص 47 و تلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) و الإصابة ج 4 ص 304 و الإستیعاب (مطبوع مع الإصابة) ج 4 ص 301 و مشكل الآثار ج 3 ص 202 و 204 و المعتصر من المختصر لمشكل الآثار ج 1 ص 113 و 114 و فتح الباري ج 3 ص 127 و مسند أحمد ج 3 ص 270 و 229 و 228 و 126 و الروض الأنف ج 3 ص 127 و السنن الكبرى للبيهقي ج 4 ص 53 و ذخائر العقبى ص 166 و المصنف للصنعاني ج 3 ص 414 و عن تاريخ البخاري الأوسط و التاريخ الصغير للبخاري ج 1 ص 144 و كنز العمال ج 15 ص 603.
- 2- راجع: الروض الأنف للسهيلي ج 3 ص 127 و 128 و فتح الباري ج 3 ص 127.

ذكر فيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الداعي للستر على المؤمنين، والداعي للإغضاء عن العيوب، و الناهي عن التجسس عما يقع في الخلوات -كما نص عليه كتاب الله- قد خرج عن سجيته، و عرض بعثمان هذا التعريض الذي فضحه، فلو أن ما فعله عثمان كان حلالا له، لم يقدم «صلى الله عليه وآله» على ذلك في حقه. .

و هذا معناه: أن ما فعله، كان أمرا بالغ الخطورة. .

ونقول:

ربما يكون هذا الأمر العظيم الذي عجز التاريخ عن الإفصاح عنه هو: ما أشارت إليه بعض الروايات.

فقد روي في الكافي: أن رقية لما قتلها عثمان، وقف النبي «صلى الله عليه وآله» على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء، فدمعت عيناه. وقال للناس: إني ذكرت هذه و ما لقيت، فرقت لها، و استوهبتها من ضمة القبر (1).

و لعل عائشة قد أشارت إلى ذلك أيضا.

فقد روي: أن عثمان خطب فقال: ألسن ختن النبي على ابنتيه؟ !

فأجابته عائشة: بأنك كنت ختنه عليهما، و لكن كان منك فيهما ما قد علمت (2).

6- بالنسبة إلى إسهام النبي «صلى الله عليه وآله» لعثمان في بدر نقول:

ص: 29

1- الكافي ج 3 ص 236 وقاموس الرجال ج 10 ص 439 و الفصول المهمة ج 1 ص 325 و شجرة طوبى ج 2 ص 244 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 226 و البحار ج 22 ص 163.

2- قاموس الرجال ج 10 ص 440 عن تقريب أبي الصلاح، عن تاريخ الثقفي.

ألف: إسهامه «صلى الله عليه وآله» لرجل في بعض الغزوات لا يجعل ذلك الذي أعطاه «صلى الله عليه وآله» من سهامها بحكم من حضر تلك الغزوة، بل إن ذلك كما قد يكون لأجل إظهار فضله، قد يكون أيضا تأليفا له على الإسلام، وإنما يعرف هذا من ذاك من خلال القرائن والدلالات الأخرى. .

و لأجل ذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى غنائم بعض الغزوات للمؤلفة قلوبهم. .

والحاصل:

أن القرائن تدل تارة: على أن الإسهام للشخص، وإعطائه من الغنيمة تكريم، وإجلال، وإعلان بفضل أو بتفضيل من يسهم له، إذا كان ذلك الشخص يقوم بمهمات جلى في خدمة الدين، وفي الدفاع عنه. .

وتدل تارة أخرى: على مجرد استحقاقه ذلك، من حيث إنه قد كان له نوع مشاركة في تلك الحرب.

وقد أعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلحة و سعيد بن زيد من الغنائم في بدر؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسلهما ليتجسسا له خبر العير، فرجعا إلى المدينة بعد خروجه «صلى الله عليه وآله» إلى بدر (1).

وكذلك كان الحال: بالنسبة لجعفر بن أبي طالب، حيث روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: ضرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 30

1- راجع: السيرة الحلبية ج 2 ص 147 و 185 و المستدرك للحاكم ج 3 ص 369 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 171.

يوم بدر لجعفر بن أبي طالب بسهمه وأجره (1).

وما ذلك إلا: لأن جعفرًا صلوات الله وسلامه عليه قد هاجر إلى أرض الحبشة، نصرته لدين الله تعالى، وحفاظًا على المسلمين المستضعفين، وإلا، فقد كان بإمكانه أن لا يهاجر إلى تلك البلاد النائية، حيث الغربة عن الوطن والأهل، والأحبة، بين أناس يختلفون معه في اللغة، وفي العادات، وفي الدين، وفي كثير من الأمور الأخرى..

ب: لقد جاء في حديث مناشدة علي «عليه السلام» لأهل الشورى؛ وفيهم عثمان، وطلحة، والزبير، وغيرهم قوله: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب؟»

قالوا: لا» (2).

وهو «عليه السلام» لم يرغب إلا عن غزوة تبوك.

وقد ذكر الزمخشري في مناقب العشرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين قسم غنائم تبوك دفع لكل واحد منهم سهمًا، ودفع لعلي «عليه السلام» سهمين. فاعترض عليه زائدة بن الأکوع، فأجابه النبي «صلى الله عليه وآله» بأن جبرائيل كان يقاتل في تبوك، وأنه هو الذي أمره أن يعطي

ص: 31

1- سير أعلام النبلاء ج 1 ص 216 وشرح الأخبار ج 3 ص 205 وبغية الباحث ص 215 وتهذيب الكمال ج 5 ص 52 و البداية و النهاية ج 3 ص 396.

2- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج 3 ص 93. وراجع: اللاكبي المصنوعة ج 1 ص 362 والضعفاء الكبير ج 1 ص 211 و 212 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 435 والموضوعات ج 1 ص 379 و كنز العمال ج 5 ص 725.

وقد يقال: إن خطابه «عليه السلام» لأهل الشورى ناظر إلى هؤلاء الحاضرين في زمانه، وليس ناظرا إلى جعفر الذي كان قد استشهد في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» ولا إلى أبي أمامة الذي لم يكن مع أولئك المخاطبين ولا نعرف تاريخ وفاته.

ج: إننا نشك في أن يكون قد تخلف عن بدر، لأجل تمرىض بنت (ربيبة) رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد روي أيضا: أن تخلفه كان لأجل أنه كان مريضا بالجدرى (2).

د: إنه لو فعل النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك لوجدنا كثيرين ممن تخلفوا عن بدر يعترضون ويطالبون بإعطائهم سهمهم أيضا، كما أعطي عثمان. . وخصوصا إذا كان بعضهم قد تخلف على مريض له.

بل إننا قد نجد الأصوات ترتفع حتى من الذين حضروا بدرا وقاتلوا، فإنهم سوف لا يرضون بإعطاء من لم يحضر، ولم يقاتل، إلا أن يعرفهم النبي «صلى الله عليه وآله» بوجود سبب معقول، ومقبول لهذا الإعطاء. .

ه: إن تخلف عثمان كان بنظر مشاهير الصحابة منقصة له، وكانوا يعيرونه بها، فلو كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضرب له بسهمه و أجره لم يكن هناك محل لهذا التعبير.

ص: 32

-
- 1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 142 و مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 77 و جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج 1 ص 78.
 - 2- راجع: السيرة الحلبية ج 2 ص 185 و 146 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 224 و المغازي للواقدي ج 1 ص 131.

فقد قال الوليد بن عقبة لعبد الرحمن بن عوف: ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟

فقال عبد الرحمن: أبلغه أنني لم أفر يوم عينين -أي يوم أحد- ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر.

فخبر الوليد عثمان، فاعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه رقية (1).

وبمثل ذلك اعتذر ابن عمر لذلك الذي كان يعترض على عثمان بذلك (2).

و دخل رجل على سالم بن عبد الله، فطعن على عثمان بعين ما تقدم عن

ص: 33

1- راجع: مسند أحمد ج 1 ص 68 و 75 والأوائل ج 1 ص 305 و 306 و محاضرات الأدباء المجلد الثاني ص 184 و الدر المنثور ج 2 ص 89 عن أحمد، و ابن المنذر، و البداية و النهاية ج 7 ص 207 و شرح النهج للمعتزلي ج 15 ص 21 و 22 و المغازي للواقدي ج 1 ص 278 و الغدير ج 9 ص 327 و ج 10 ص 72 عن أحمد، و ابن كثير، و عن الرياض النضرة ج 2 ص 97 و مجمع الزوائد ج 7 ص 226 و ج 9 ص 84 و المعجم الكبير ج 1 ص 89 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 428 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 258 و تاريخ المدينة ج 3 ص 1033 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 224.

2- مستدرک الحاكم ج 3 ص 98 و الجامع الصحيح للترمذي ج 5 ص 629 و مسند أحمد ج 2 ص 101 و البداية و النهاية ج 7 ص 207 عن البخاري، و الغدير ج 10 ص 71 و 70 عن الحاكم، و أحمد، و عن صحيح البخاري ج 6 ص 122 و البحار ج 31 ص 201 و مناقب أهل البيت ص 367 و عن فتح الباري ج 7 ص 48 و عون المعبود ج 7 ص 283 و الجامع لأحكام القرآن ج 11 ص 256 و تاريخ مدينة دمشق ج 39 ص 261 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 284.

عبد الرحمن بن عوف (1).

فلو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان ضرب له بسهمه وأجره لم يكن معنى لتغيير كبار الصحابة له بذلك، وقد كان ابن عوف حاضرا في بدر، ولم يكن ما جرى فيها خافيا عليه.

كما أنه قد كان من المناسب: أن يعتذر هو بهذا الأمر، لا بتمريض رقية، فإنه أدحض لحجة المخالفين له. .

و: إن ابن مسعود قد رد على سب عثمان له بقوله: «لست كذلك». ولكنني صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر، و يوم بيعة الرضوان» (2).

فقد أشار ابن مسعود إلى خصوص هذين الموضعين؛ لأن عثمان لم يحضرهما-أشار بذلك-ليرد بذلك عليه، لأنه كان قد تنقصه، و نال منه.

وذلك يدل: على أن عدم حضور عثمان لبيعة الرضوان يعد منقصة له، فلو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد بايع عنه لكان ذلك من أعظم فضائله.

و هكذا يقال بالنسبة لتخلفه عن بدر حسبما أوضحناه. .

الصحيح في القضية:

و لعل الصحيح في القضية هو: ما روي من أن أبا أمامة بن ثعلبة، كان

ص: 34

1- فتح القدير ج 10 ص 70 عن الرياض النضرة ج 2 ص 94.

2- أنساب الأشراف ج 5 ص 36 و الغدير ج 9 ص 3 و 4 عنه و عن الواقدي و المسترشد للطبري ص 164 و البحار ج 31 ص 189 و حياة الإمام الحسين للقرشي ج 1 ص 377.

قد أجمع على الخروج إلى بدر، وكانت أمه مريضة، فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالمقام على أمه، وضرب له بأجره وسهمه، فرجع «صلى الله عليه وآله» من بدر، وقد توفيت، فصلى على قبرها.

بل في بعض نصوص هذه الرواية: أن أبا أمامة تنازع مع أخي زوجته، أبي بردة بن نيار، حيث أراد منه أن يتخلف على أخته، وأراد منه أبو بردة أن يتخلف على زوجته فحسم النبي «صلى الله عليه وآله» الأمر، بأن أمر زوجها بالتخلف عليها (1).

وأما صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» على قبرها، فلعله لأنها دفنت من غير أن يصلي عليها أحد، وكان في نبشها لأجل الصلاة عليها هتك لها. .

وعلينا أن لا ننسى أن هذا الإصرار من أبي أمامة على الخروج للجهاد، والسعي إلى إقناع أخي زوجته بالبقاء عند أخته، ثم اتخاذ الرسول نفسه «صلى الله عليه وآله» قرار إبقائه، يجعل الإسهام له من غنائم بدر أمرا مقبولا لدى الصحابة، ولا يبرر لهم أي اعتراض على ذلك. .

سؤال وجوابه:

ويبقى هنا سؤال، وهو: إذا كان عثمان غير مستحق لأن يسهم له في بدر؛ لأنه ارتكب في حق رقية أمرا عظيما، حتى استحق التشهير به من

ص: 35

1- راجع: السيرة الحلبية ج 2 ص 147 والإصابة ج 4 ص 9 عن أبي أحمد الحاكم والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج 4 ص 4 و أسد الغابة ج 5 ص 139 و 566 و ج 1 ص 154 و مجمع الزوائد ج 3 ص 32 والآحاد والمثاني ج 4 ص 57 و المعجم الكبير ج 1 ص 272 و كنز العمال ج 16 ص 579.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، و حرمانه أمام كل الناس من الدخول إلى قبرها، و ترجيحه «صلى الله عليه وآله» أن ينزل في قبرها رجل غريب، فلماذا لا يعاقبه على فعلته تلك؟ !

ولماذا يزوجه النبي «صلى الله عليه وآله» أختها أم كلثوم؟ !

و يجاب:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعاقب الناس على جرائمهم ما لم تتوفر وسائل إثبات ذلك، و لم يكن يحق له أن يستند في عقوبتهم إلى الغيب الذي يصل إليه بالطرق غير العادية، أو من خلال علم الشاهدية .

و من الواضح: أن عثمان لم يعترف بما فعل، و لا شهد عليه به الشهود . و لكنه أعطى الانطباع بصدور هذا الأمر منه .

ثانياً: إن هذا الإشكال مبني على أن رقية و أم كلثوم، هما بنتا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خديجة . و قد أثبتنا عدم صحة ذلك، و أنهما كانتا ربييتيه «صلى الله عليه وآله» . فلم يكن «صلى الله عليه وآله» بالذي يتصدى لتزويج بنات الناس، إلا إذا ظهر: أنهن يردن منه ذلك، و يطلبن نصيحته و مشورته.

فلعل أم كلثوم هي التي أقدمت على هذا الأمر، و لم تطلب النصيحة منه «صلى الله عليه وآله» . و ليس ثمة ما يثبت: أنها كانت مطلعة على ما جرى لأختها مع عثمان .

دليل على موت الخضر:

قال الحلبي: «و استدل بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير أهل

الأرض على عدم حياة الخضر «عليه الصلاة والسلام» حينئذ، لأنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه. وقد قامت الأدلة الواضحة على ثبوت نبوته، كما قاله الحافظ ابن حجر» (1).

ونقول:

أولاً: بعد أن ثبت: أن المنافقين قد حضروا بيعة الرضوان، وبايعوا، وثبت أيضاً أن الحديث القائل: أنتم خير أهل الأرض لا تصح نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله» . . فلا يصح الاستدلال به على حياة الخضر، ولا على غير ذلك من أمور.

ثانياً: قولهم: إنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه، فلا يصح تفضيل أهل الحديبية على الخضر، لا يصح.

إذ لا شك في أن بعض الأولياء والأئمة أفضل من بعض الأنبياء، فإن علياً «عليه السلام» كان أفضل من الأولين والآخرين، باستثناء نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» . .

والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، ومنها قوله «صلى الله عليه وآله» للسيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»: لو لا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه (2).

ص: 37

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 17.

2- تهذيب الأحكام ج 7 ص 470 و مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 29 و الجواهر السننية ص 252 و الفصول المهمة ج 1 ص 408 و البحار ج 43 ص 93 و 107 و مسند الإمام الرضا ص 141 و عيون أخبار الرضا ج 1 ص 225 و اللمعة البيضاء ص 212 و 246 و مجمع النورين ص 27 و 43.

حيث دل على أنه حتى أولو العزم من الأنبياء «عليهم السلام» - باستثناء نبينا «صلى الله عليه وآله» - لم يكونوا كفؤا لها «عليها السلام» ، و كان علي وحده الكفؤ، فهو إذن أرفع مقاما من جميع الأنبياء.

بل ذلك يدل على أفضلية الزهراء «عليها السلام» عليهم أيضا، وذلك ظاهر. .

هل أسلم ابن عمر قبل أبيه؟ !

وفي البخاري وغيره، عن نافع: أن ابن عمر أسلم قبل أبيه، وليس كذلك. ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار، يأتي به ليقاتل عليه. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وهو يستلثم للقتال، فأخبره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع تحت الشجرة.

قال: فانطلق. فذهب معه حتى بايع الرسول «صلى الله عليه وآله» . .

فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر (1).

وفي البخاري أيضا: عن نافع، عن ابن عمر: أن الناس كانوا مع النبي

ص: 38

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 49 وفي هامشه عن البخاري ج 7 ص 521 (4186) وفتح الباري ج 7 ص 350 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 201 والتعديل والتجريح للباقي ج 2 ص 852 و ج 3 ص 1317 و البداية و النهاية ج 4 ص 197 وعن عيون الأثر ج 2 ص 127 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 328.

«صلى الله عليه وآله»، يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: يا عبد الله، انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فذهب، فوجدهم يبائعون، فبايع، ثم رجع إلى عمر، فخرج، فبايع (1).

ونقول:

إن ذلك لا يصح، وذلك لما يلي: 1- روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع: و البيهقي، عن عروة. . وابن إسحاق، عن الزهري. . و محمد بن عمر عن شيوخه. . قال سلمة: بينا نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أيها الناس، البيعة، البيعة الخ. . (2).

ص: 39

-
- 1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 49 وفي هامشه عن البخاري ج 7 ص 521 (4187) و مسند أحمد ج 5 ص 324 و فتح الباري ج 7 ص 350 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 201 و البداية و النهاية ج 4 ص 197 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 329.
 - 2- دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 136 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 48 و السيرة الحلبية ج 3 ص 16 و 17 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 452 و كنز العمال ج 1 ص 332 و الميزان ج 18 ص 291 و جامع البيان ج 26 ص 112 و زاد المسير ج 7 ص 167 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 205 و تفسير الجلالين ص 713 و الدر المنثور ج 6 ص 73 و لباب النقول ص 177 و فتح القدير ج 5 ص 52 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 279.

وذكر الحلبي: أن المنادي هو عمر بن الخطاب (1).

2- لا ندري كيف أصبحت كلمة أسلم قبل عمر بمعنى: بايع قبل عمر، فإن ذلك من بدائع اللغة العربية؟!

3- إن التناقضات بين الروايتين المتقدمتين عن البخاري: ظاهرة، ولا حاجة إلى بيانها، مع أنها واردة في الكتب التي يدعون صحة جميع مروياتها.

4- إنه إذا كان هناك مناد قد نادى بالناس: البيعة البيعة، فكيف لم يعلم عمر بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع حتى أخبره ولده عبد الله، أو حتى رأى الناس محدقين بالرسول «صلى الله عليه وآله» حسبما تقدم؟!

لا توقدوا نارا بالليل:

عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم الحديبية، قال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا توقدوا نارا بالليل» .

فلما كان بعد ذلك قال: «أوقدوا، و اصطنعوا، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم، ولا مدكم» (2).

ص: 40

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 16.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 51 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 36 و ذکر أخبار إصبهان ج 2 ص 169 و مسند أحمد ج 3 ص 26 و عن المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 481 و ج 14 ص 443 و عن فتح الباري ج 7 ص 341 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 268 و كنز العمال ج 11 ص 528 و مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و ج 9 ص 161 و مسند أبي يعلى ج 2 ص 272 و الفايق في غريب الحديث ج 2 ص 263 و طبقات المحدثين بإصبهان ج 1 ص 391.

و هذا التوجيه النبوي الشريف ظاهر المأخذ: فإن مرحلة ما بعد الحديبية، قد اختلفت كثيرا عن المرحلة التي سبقتها، فإنه لم يعد ثمة من حاجة إلى التخفي في أي مسير يقوم به الجيش الإسلامي في أي اتجاه.

بل أصبح إيقاد النيران للجيش الإسلامي يرعب العدو أكثر من أي شيء آخر. .

و لم يعد هناك أي شيء من شأنه أن يفتح له باب التفكير بتسديد أي ضربة موجعة لذلك الجيش، لأنه يرى أنه لم يعد له حيلة فيه، و ليس من مصلحته الاحتكاك به، بل المصلحة كل المصلحة تكمن في الابتعاد عنه، وإخلاء كل المحيط له.

و هذا هو أحد المظاهر التي تجسّد صدق قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذا الصلح: إنه أعظم الفتح.

و ظهر بذلك أيضا مصداق قوله تعالى في مناسبة هذا الصلح: [إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \(1\)](#).

عمر يقطع شجرة بيعة الرضوان:

إن هناك مفارقات ظاهرة بين آراء و تصرفات عمر بن الخطاب و بين ما هو ثابت عن النبي «صلى الله عليه وآله»، و عن الصحابة. بل هناك مفارقات بين تصرفات عمر بالذات.

فهو من جهة يتوسل إلى الله في الاستسقاء بالعباس عم رسول الله

ص: 41

«صلى الله عليه وآله» (1)، و يقبل الحجر الأسود؛ لأنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يقبله (2).

و هو يرى: أن الصحابة يتبركون بفضل وضوء الرسول «صلى الله عليه وآله» وبشعره، وعرقه، وببصاقه، وبكل شيء يرجع إليه.

و يشاهد بأم عينيه ما فعله «صلى الله عليه وآله» حين بصق وغرس السهم في البئر التي في الحديبية، بالإضافة إلى عشرات الموارد التي يشاهدها هو والمسلمون طيلة حياتهم معه «صلى الله عليه وآله» وعدة سنين بعدها فضلا عن تبركهم بقبره الشريف وبغير ذلك (3).

ولكنه من جهة أخرى-على رغم ذلك كله-لا يطيق في أيام خلافته رؤية المسلمين يتعاهدون شجرة بيعة الرضوان، و يصلون عندها.

ص: 42

-
- 1- الغدير ج 7 ص 301 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 618 و عن فتح الباري ج 2 ص 412 و ج 7 ص 62 و تحفة الأحوذى ج 10 ص 26 و تاريخ مدينة دمشق ج 26 ص 359 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 413 و ج 12 ص 87 و دفع الشبه عن الرسول للدمشقي ص 131.
 - 2- المعجم الأوسط ج 5 ص 191 و رياض الصالحين للنووي ص 139 و مسند أحمد ج 1 ص 35 و سنن أبي داود ج 1 ص 419 و سنن النسائي ج 5 ص 227 و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 74 و شرح مسلم للنووي ج 9 ص 16 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 131 و نصب الراية ج 3 ص 117 و كنز العمال ج 5 ص 173 و شرح مسند أبي حنيفة ص 199 عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 2 ص 15 و سبل الهدى و الرشاد ج 1 ص 178.

3- إن ما جرى في الحديبية ما هو إلا غيظ من فيض، فراجع كتاب: التبرك للشيخ علي الأحمدي «رحمه الله» .

فقد روي عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب: أن ناسا يأتون الشجرة التي بويح تحتها، فيصلون عندها، فتوعدهم. ثم أمر فقطعت (1).

و الظاهر: أن موضعها بقي معلوما، أو أن بقية منها كانت ظاهرة للناس فكانوا يقصدونها للصلاة عندها أيضا، فحاول سعيد بن المسيب أن يشكك الناس في موضعها، تأييدا منه لما فعله عمر بن الخطاب.

فقد روي عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجا، فمررت بقوم يصلون، فقلت: ما هذا؟!

قالوا: هذه الشجرة، حيث بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيعة الرضوان.

فأتيت سعيد بن المسيب، فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي: أنه كان فيمن بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة، فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها. .

فقال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها، وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم؟! (2).

و نقول نحن لسعيد: لعل أباك وبعض رفقاءه نسوا ذلك المكان، فلم

ص: 43

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 50 عن ابن أبي شيبة وابن سعد وشرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 101 و الدر المنثور ج 6 ص 73 و فتح القدير ج 5 ص 52.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 50 عن البخاري وابن مردويه. وفي هامشه عن البخاري ج 7 ص 512 رقم (4163) وعن فتح الباري ج 7 ص 344 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 205 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 99 وعن الإصابة ج 6 ص 96 و البداية والنهاية ج 4 ص 196 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 327.

يقدروا عليه، وربما يكون نسيانهم هذا لأسباب مختلفة، ولكن هذا لا يعني أن يكون سائر الصحابة وعددهم ألف وأربع مائة أو أكثر قد نسوا كلهم ذلك المكان أيضا. . إلا أن تكون هذه الأمة هي أغبي الأمم، وأشدّها تغفلا!!

وفي حديث نافع الآخر: أنه خرج قوم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك بأعوام، فما عرف أحد منهم الشجرة، و اختلفوا فيها.

قال ابن عمر: كانت رحمة من الله. .

و هذا الحديث: قد يكون هو نفس الحديث المتقدم عن طارق. . وسعيد بن المسيب (لكنه بدّل كلمة: «من العام المقبل» بكلمة: «بعد ذلك بأعوام»).

و حتى لو كان حديثا عن جماعة أخرى، فالجواب عنه هو الجواب المتقدم عن حديث طارق أيضا، فإن نسيان جماعة للمكان لبعض الأسباب، لا- يلازم نسيان غيرهم له أيضا. . ولعلهم قد خرجوا بعد أن أمر عمر بن الخطاب بقطعها (1)، فقطعت و لم يعلموا بقطعها، فبحثوا عنها، فلم يجدوها. .

و اللافت: أن عمر بن الخطاب قد أجرى امتحانا للصحابة، و ذلك حين مر بذلك المكان بعد ذهاب الشجرة (أي بعد أن أمر بقطعها) فقال: أين كانت؟

فجعل بعضهم يقول: ههنا.

ص: 44

وبعضهم يقول: هنا.

فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، قد ذهب الشجرة (1).

وأما قول ابن عمر: «كانت رحمة من الله» .

فإن كان يقصد به: أن الشجرة كانت رحمة من الله، فهو صحيح، لأن عبادة الله تعالى عندها من موجبات رحمته سبحانه. .

وأما إن كان يقصد: أن قطعها كان رحمة من الله، فهو لا يتلاءم مع تبرك الصحابة بآثار النبي ولا مع تبركه «صلى الله عليه وآله» بعلي «عليه السلام» وبالحجر الأسود، وبغير ذلك.

بل قد يقال: إن ذلك لا يتلاءم مع ما كان يفعل ابن عمر نفسه حيث رووا عنه: أنه كان يتتبع آثار رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، و المواضع التي صلى فيها، فيصلّي فيها.

بل يذكرون: أنه كان يتتبع مواطئ قدمه «صلى الله عليه وآله» أيضا.

إلا أن يقال: إنه لم يرد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قد صلى تحت تلك الشجرة، لكي يقتدي به ابن عمر ويصلي تحتها أيضا. .

وعلى كل حال: فقد عرفنا في ابن عمر تأثيره الشديد لخطي أبيه، والالتزام بأوامره ونواهيه بصورة لافتة، ولعل هذا من ذاك.

مع أن اتباعه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولصحابته في التبرك بآثاره، كان هو الأحرى به، والأولى. .

ص: 45

فإن هدنة الحديبية كانت فاتحة عهد جديد، له خصوصياته، وكانت له آثاره العميقة في التحولات الكبيرة والعامة، التي أكدت الحاجة إلى طاقات، وإمكانات، وكذلك إلى وسائل، ثم إلى سياسات و مواقف من نوع آخر غير ما كان الواقع يحتاجه في الظروف وفي الفترة التي سبقت الحديبية.

وإن سير الأحداث التي تلت هذا الصلح يظهر هذه الحقيقة. ويفرض على الباحث رؤية جديدة من شأنها أن توفر له فهما أعمق، وأوضح لتلك الأحداث. .

وقد يكون التوفر على هذا الأمر، والالتفات إلى ما يلزم الالتفات إليه يحتاج إلى تضافر جهود، وإلى إثارة أجواء من البحث، والمناظرة حول ذلك كله، وذلك من أجل إعطاء الرؤى كلها فرصتها لتتلاقى وتتكامل مع بعضها، ولربما ينالها المزيد من التقييم والتطعيم، و تصبح أكثر غنى بالفتات واللمحات، التي تجعل نتائج البحث أكثر عمقا، وملاءمة للواقع، وأشد صفاء ونقاء. .

ولكن ذلك وإن لم يكن متوفرا في مثل هذا الحال، فإن ما لا يدرك كله

لا يترك كله، أو جله.

فإن المهم هو: أن تبدأ مسيرة الألف ميل و لو بخطوة واحدة.

فها نحن نبدأ هذه المسيرة ولتكن هذه هي الخطوة الأولى، وعلى الله نتوكل و منه نستمد العون و القوة، و نستنزل الصبر و التأيد و التسديد، إنه ولي قدير. .

عهد الحديبية:

قال الصالحى الشامى: روى ابن إسحاق و أبو عبيد، و عبد الرزاق، و الإمام أحمد، و عبد بن حميد، و البخارى، و أبو داود، و النسائى، و ابن جرير، و ابن مردويه، و محمد بن عمر، عن المسور بن مخرمة، و مروان بن الحكم، و الشيخان، عن سهيل بن حنيف: أن عثمان لما قدم من مكة، هو و من معه، رجع سهيل بن عمرو، و حويطب، و مكرز إلى قريش، فأخبروهم بما رأوا من سرعة أصحاب النبي «صلى الله عليه و آله» إلى البيعة، و تشميرهم إلى الحرب فاشتد رعبهم.

فقال أهل الرأي منهم: ليس خير من أن نصالح محمدا على أن ينصرف عنا عامه هذا، و لا يخلص إلى البيت، حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أننا قد صددناه، و يرجع قابلا، فيقيم ثلاثا، و ينحر هديه، و ينصرف. و يقيم ببلدنا، و لا يدخل علينا. فأجمعوا على ذلك. .

فلما أجمعت قريش على الصلح و المودعة بعثوا سهيل بن عمرو، و حويطب و مكرزا، و قالوا لسهيل: انت محمدا فصالحه، و ليكن في صلحك: ألا يدخل عامه هذا، فو الله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة.

فأتى سهيل رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فلما رآه «صلى الله عليه

وآله» قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا» (1).

وفي لفظ: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سهل أمركم» .

وجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» متربعا، وكان عباد بن بشر، و سلمة بن أسلم بن حريش على رأسه- وهما مقنعان في الحديد-

فبرك سهيل على ركبتيه، فكلم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأطال الكلام وتراجعا، وارتفعت الأصوات وانخفضت.

وقال عباد بن بشر لسهيل: اخفض من صوتك عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمسلمون حول رسول الله «صلى الله عليه وآله» جلوس، فجري بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين سهيل القول حتى وقع الصلح على:

1- أن توضع الحرب بينهما عشر سنين.

2- أن يأمن الناس بعضهم بعضا.

3- أن يرجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عامه هذا، فإذا كان العام المقبل قدمها، فخلوا بينه وبين مكة، فأقام فيها ثلاثا.

4- ألا يدخلها إلا بسلاح الراكب، والسيوف في القرب، لا يدخلها بغيره.

5- أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه- وإن كان على دين

ص: 51

1- السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 221 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 210 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 280 و البداية و النهاية ج 4 ص 192 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 781 و عن عيون الأثر ج 2 ص 119 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 320 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 52.

محمد-رده إلى وليه.

6-من أتى قريشا ممن اتبع محمدا لم يردوه عليه.

7-وأن بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عيبة مكفوفة.

8-أنه لا إسلال (1).

9-ولا إغلال (2).

10-أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل.

وقد أضافت بعض المصادر إلى المواد العشر المتقدمة ما يلي: 11-أنه من قدم مكة من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» حاجا، أو معتمرا، أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله. .

و من قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر، وإلى الشام، يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله (3).

12-أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام، وتخرج قريش كلها من مكة،

ص: 52

1-الإسلال: السرقة، المعجم الوسيط ج 1 ص 448.

2-الإغلال: الخيانة.

3-راجع: كنز العمال ج 10 ص 306 و مدينة البلاغة ج 2 ص 281 و تفسير النيسابوري (مطبوع مع جامع البيان) ج 26 ص 49 و مجمع البيان ج 9 ص 118 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 441 و عن مدينة البلاغة ج 2 ص 281 و مجموعة الوثائق السياسية ص 82 و 83 عن ابن جرير، و أنساب الأشراف، و ابن زنجويه، و مكاتيب الرسول ج 3 ص 77 عنهم، و البحار ج 20 ص 334 و ميزان الحكمة ج 3 ص 2246 و جامع البيان ج 26 ص 125.

إلا رجل واحد منها، يخلفونه مع محمد «صلى الله عليه وآله» وأصحابه (1).

13- وأن لا يخرج من أهلها بأحد، إن أراد أن يتبعه.

14- وأن لا يمنع أحدا من أصحابه، إن أراد أن يقيم بها (2).

15- وأن يكون الإسلام ظاهرا بمكة، لا يكره أحد على دينه، ولا يؤذى، ولا يعير (3).

و جاء في آخر العهد: «شهد أبو بكر بن أبي قحافة . . . و كتب علي

ص: 53

-
- 1- راجع: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 45 و البحار ج 20 ص 362 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 436 و التنبيه والإشراف ص 221 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 78 عنهم وعن آخرين، و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 175 و إعلام الوری ج 1 ص 205.
 - 2- مكاتيب الرسول ج 3 ص 78 عن صحيح البخاري ج 2 ص 242 و صحيح مسلم ج 3 ص 1410 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 436 و البداية و النهاية ج 4 ص 234 و البحار ج 20 ص 372 و ج 38 ص 328 و الأموال ص 233 و 443 و كنز العمال ج 10 ص 316 و العمدة ص 201 و 325 و مسند أحمد ج 4 ص 298 و سنن الدارمي ج 2 ص 238 و عن صحيح البخاري ج 5 ص 85 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 5 و مجمع الزوائد ج 2 ص 75 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 168 و خصائص أمير المؤمنين ص 151 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 229 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 217 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 282 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 442.
 - 3- البحار ج 20 ص 352 و 362 عن تفسير القمي ج 2 ص 313 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 77 و 90 و نور الثقلين ج 5 ص 53 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 629.

بن أبي طالب» (1).

فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

فكره المسلمون هذه الشروط، وامتعضوا منها، وأبى سهيل إلا ذلك، فلما اصطلحوا، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، أأست نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

قال: بلى.

قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: علام نعطي الدنية في ديننا؟ ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني عبد الله، ورسوله، ولست أعصيه، ولن يضيعني، وهو ناصري» .

قال: أو ليس أنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف حقاً؟

قال: بلى، فأخبرتك أنك تأتيه العام؟

قال: لا.

قال: «فإنك آتية و مطوف به» .

فذهب عمر إلى أبي بكر متغيظاً ولم يصبر، فقال: يا أبا بكر: أليس هذا

ص: 54

نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟

قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصر، فاستمسك بعرزته حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق.

وفي لفظ: فإنه رسول الله.

فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله.

قال: أو ليس كان يحدثنا: أنه سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟

قال: لا.

قال: فإنك آتية و مطوّف به.

فلقي عمر من هذه الشروط أمراً عظيماً» (1).

ص: 55

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 53 عن: البخاري ج 4 ص 26 و 125، وعن مسلم ج 3 ص 1412 (94/1785) وراجع: الطبراني في الكبير ج 6 ص 109 وفي (ط أخرى) ج 20 ص 14 و ابن سعد ج 1 ق 1 ص 20 و انظر المجمع ج 3 ص 312 ج 5 ص 67. وراجع: نيل الأوطار ج 8 ص 187 و عين العبرة ص 22 و مناقب أهل البيت ص 336 و النص و الإجتهد ص 173 و الغدير ج 7 ص 185 و السنن الكبرى ج 9 ص 220 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 213 و الدر المنثور ج 6 ص 77 و تاريخ مدينة دمشق ج 57 ص 229 و البداية و النهاية ج 4 ص 200 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 334 و البحار ج 30 ص 339 و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 339 و إرواء الغليل ج 1 ص 58 و ج 8 ص 196 و مسند أحمد ج 4 ص 330.

وقال كما في الصحيح: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، وجعل يرد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكلام.

فقال أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول ما يقول، تعوذ بالله من الشيطان، واتهم رأيك.

قال عمر: فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياء، فما أصابني شيء قط مثل ذلك اليوم، وعملت بذلك أعمالا-أي صالحة-لتكفر عني ما مضى من التوقف في امتثال الأمر ابتداء، كما عند ابن إسحاق، وابن عمر الأسلمي.

قال عمر: فما زلت أتصدق، وأصوم، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا.

وروى البزار عن عمر بن الخطاب، قال: اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أردّ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأيي، وما ألتوت على الحق.

قال: فرضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبيت، حتى قال: «يا عمر تراني رضيت وتأبى؟»! (1).

ص: 56

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 53 عن الدولابي في الكنى ج 2 ص 69. وراجع: فتح الباري ج 5 ص 254 و ج 13 ص 245 و المعجم الكبير ج 1 ص 78 وفي (ط أخرى) ص 72 و مجمع الزوائد ج 1 ص 179 و ج 6 ص 146 والأحكام لابن حزم ج 6 ص 782 و كنز العمال ج 1 ص 372.

فقال سهيل: هات، اكتب بيننا وبينك كتابا، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليا-كما في حديث البراء عند البخاري في كتاب الصلح وكتاب الجزية، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المسور و مروان، وأحمد، والنسائي، والبيهقي والحاكم-وصححه عن عبد الله بن مغفل.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم» .

فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. اكتب في قضيتنا ما نعرف.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «اكتب: باسمك اللهم»

ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، اكتب في قضيتنا ما نعرف، اكتب محمد بن عبد الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي: امحه، فقال علي «عليه السلام»: ما أنا بالذي «أمحاه»، وفي لفظ «أمحاك» .

وفي حديث محمد بن كعب القرظي: فجعل علي يتلأ، وأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اكتب، فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد (1) انتهى.

ص: 57

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 54 وفي هامشه: عن البخاري ج 5 ص 357 (2699) وأحمد ج 4 ص 328 و 86 و ج 5 ص 23 و 33 والبيهقي ج 9 ص 220 و 227 و عبد الرزاق في المصنف (9720) والطبري في التفسير ج 26 ص 59 و 63 وابن كثير في التفسير ج 7 ص 324 وانظر المجمع ج 6 ص 145 و 146. وراجع: ميزان الحكمة ج 4 ص 3196 و مجمع البيان ج 9 ص 199 و الميزان ج 18 ص 269 و المناقب للخوارزمي ص 193 و البحار ج 20 ص 335 و ج 32 ص 542 و ج 33 ص 314 و وقعة صفين ص 509 و المسترشد ص 391 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 232 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 628 و ينابيع المودة ج 2 ص 18 و مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 366 و الأنوار العلوية ص 249 و عن الإحتجاج ج 1 ص 277 و تفسير القمي ج 2 ص 313 و نور الثقلين ج 5 ص 53.

وذكر محمد بن عمر: أن أسيد بن الحضير، وسعد بن عباد أخذوا بيد علي ومنعاه أن يكتب إلا: «محمد رسول الله»، وإلا فالسيف بيننا وبينهم.

فارتفعت الأصوات، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم، ويومئ بيده إليهم: اسكتوا.

فقال: أرنيه، فأراه إياه، فمحا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده، وقال: اكتب محمد بن عبد الله.

قال الزهري: وذلك لقوله «صلى الله عليه وآله»: لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لسهيل: على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف.

فقال سهيل: لا والله، لا تحدث العرب أننا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: على أنه لا يأتيك منا أحد بغير إذن وليه- وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

فقال المسلمون: سبحان الله، أكتب هذا؟ كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، و من جاء منهم إلينا سيجعل الله له فرجا و مخرجا» (1).

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات للتوضيح، أو للتصحيح، وهي التالية:

الاصطفا للقتال، و اللواء مع علي عليه السلام:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «.. ثم تلا بني المصطلق الحديبية، و كان اللواء يومئذ إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما كان في المشاهد كلها. و كان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال، ما ظهر خبره، و استفاض ذكره. و ذلك بعد البيعة التي أخذها النبي «صلى الله عليه

ص: 59

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 54 و في هامشه قال: انظر التخریج السابق و أخرجه أبو داود في الجهاد باب (167) و أحمد ج 4 ص 329 و 330 و السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 76. و راجع النصوص المتقدمة في: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 51-54 و صحيح مسلم ج 5 ص 175 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 510 و كنز العمال ج 10 ص 480 و الجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 277.

وآله» على أصحابه، و العهود عليهم في الصبر» (1).

ونقول:

إن كتب التاريخ التي بين أيدينا قد عجزت عن الجهر بما فعله علي «عليه السلام» حين صف القوم في الحرب للقتال . مع أن ذلك كان قد ظهر خبره، واستفاض ذكره .

فهل كان أسر الخمسين على يد علي بن أبي طالب «عليه السلام» ، وليس على يد محمد بن مسلمة؟

و هل كان أسر الاثني عشر الآخرين على يد علي «عليه السلام» دون سواه، و كان ذلك في ساحة الحرب، حيث رفعت فيها الألوية، و اصطف فيها الناس للقتال، و كان اللواء مع علي «عليه السلام» كما هو في سائر المشاهد، ثم أخفى ذلك الحاقدون، و قللوا من شأنه، و جعلوه مجرد مناوشات يسيرة لا أهمية لها . مع أنها هي التي أرعبت قريشا، و أرغمتها على الصلح، و لما «رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم، ضرع إلى النبي «عليه السلام» في الصلح، و نزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك .» حسبما رواه الشيخ المفيد «رحمه الله» (2).

قريش في مأزق:

لقد وجدت قريش نفسها أمام خيارات صعبة، لا تستطيع أن تتجرع مرارة أي واحد منها، و الخيارات هي التالية:

ص: 60

1- الإرشاد ج 1 ص 119 و المستجد في الإرشاد ص 73 و البحار ج 20 ص 358.

2- الإرشاد للمفيد ج 1 ص 119.

1- أن تمنع المسلمين من دخول مكة، حتى لو أدى ذلك إلى حرب شعواء. وهذا خيار صعب، من نواح عديدة. .

إحداها: أنها تخشى أن تدور الدوائر في هذه الحرب عليها.

الثانية: أن العرب يرون: أن مكة والبيت ليس ملكا لقريش، وإنما هي تقوم بمهمة سدانته، و تسهيل أمر زيارته. . وليس لها أن تمنع أحدا جاء للحج أو العمرة وزيارة البيت من الوصول إليه. .

فإن فعلت ذلك، فسوف تواجه النقد الشديد، والرفض الأكيد حتى من حلفائها، وربما تنتهي الأمور إلى حدوث انقسامات خطيرة فيما بينها وقد حصل ذلك بالفعل، كما أظهرته الوقائع. .

2- أن تسمح قريش للمسلمين بدخول مكة. . وفي هذا ما فيه أيضا: من كسر لهيبتها.

و من اعتراف بحق المسلمين بهذا الأمر، بعد أن كانت تصورهم للناس على أنهم جناة، وعتاة، وقطاع طرق، و مفسدون في الأرض. .

و من أنها لا تأمن من حدوث مفاجآت تجعل الأمور أكثر تعقيدا، كما لو حصل اعتداء من قبل سفهائها على بعض الوافدين، ثارا لأبائهم و إخوانهم الذين قتلوا في بدر، وأحد، والخندق. . وربما تتطور الأمور إلى ما هو أعظم وأدهى.

3- أن ترجعه «صلى الله عليه وآله» في هذا العام، و ترضى بأن تبذل له من الشروط ما يرضيه، ولكن هذا الاحتمال الأخير يجعل المبادرة بيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو عارف بما يريد، و يعرف سبل الوصول إليه، والحصول عليه، وهكذا كان. .

وقد صرحت النصوص: أنه قد زاد من رعب قريش ما رأته من سرعة أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى البيعة، و تسميرهم إلى الحرب (1).

و نستطيع أن نقول: إن قريشا كانت بين نارين:

فهي من جهة ترى: أن دخول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة على هذا النحو، سيكون بالنسبة لها ذلا شاملا، و ضعفا بارزا، بين العرب.

و ترى من جهة أخرى: أنها لا قدرة لها على الحرب، لأسباب مختلفة، فهي: 1- تعاني من ضائقة اقتصادية شديدة، و الحرب تحتاج إلى نفقات، و تضيق عليها استثمار موسم الحج في ذلك العام، و كان هذا الموسم على الأبواب.

2- إن الناس قد ملوا الحرب و ملتهم، و قتل كثير من رجالهم. و نشأت من ذلك اختلالات في العلاقات الاجتماعية، و مشكلات أسرية و قبلية. و نحو ذلك. .

3- قد تقدم: أن سيد الأحابيش قد خالفهم في هذا الأمر، و تهددهم، و فارقهم و كذلك الحال بالنسبة لعمر و بن مسعود، و من معه من ثقيف.

4- إن خزاعة أيضا كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مسلمهم و كافرهم. و هي تعيش في مكة مع قريش. .

5- إن الإسلام قد فشا فيما بين قبائل قريش، و أصبحت كل قبيلة تحتفظ بطائفة من أبنائها في القيود و السلاسل و السجون. .

6- إن المعركة لن تكون من الناحية العسكرية في صالح قريش، و هي

ص: 62

معركة رأوا: أنها ستكون في غاية الحدة و الشراسة، و أنها تحمل معها المزيد من الخسائر في الأموال و الأنفس. و مما يزيد في تضاول فرص النجاح لقريش ما رآه مبعوثهم من انقياد و خضوع، و تقان ظاهر للمسلمين في خدمة رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و إطاعة أوامره.

7- وقد أكدت بيعة الرضوان لقريش: أن الأمور في غير صالحها، فإن الالتزامات و العقود، تمنع من أي تعلق، أو تراجع.

فكيف إذا كانت بيعة على الموت و الفناء، حتى يتحقق لهم ما جاؤوا له.

و بذلك يتضح: أنه لا بد لقريش من عقد الصلح. فهو المخرج الوحيد لها من هذه الورطة. .

فبعثوا سهيل بن عمرو إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» ، و قالوا له: انت محمدا، فصالحه، و لا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا.

فأتاه سهيل بن عمرو. فلما رآه رسول الله «صلى الله عليه و آله» مقبلا، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى سهيل إليه تكلم، و أطال، و تراجع، ثم جرى بينهما الصلح.

بل إن الشيخ المفيد «رحمه الله» يقول:

«ولما رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم ضرع إلى النبي «عليه السلام» في الصلح، و نزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك. و أن يجعل أمير المؤمنين «عليه السلام» كاتبه يومئذ، و المتولي لعقد الصلح بخطه. .» (1).

ص: 63

معرفة النبي صلى الله عليه وآله بعدوه:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» حين رأى سهيل بن عمرو: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا» يدل على: معرفة الرسول «صلى الله عليه وآله» بطبائع عدوه، وميزاته، ومواقفه، وبكيفية تصرفات ذلك العدو، حتى إنه ليعرف نواياه بمجرد رؤية مبعوثيه، قبل أن يكلمهم، ويستخبرهم عما جاؤوا من أجله.

جلوس النبي صلى الله عليه وآله و آله و جلوس سهيل:

كما أن من الواضح: أن جلوس الرجل متربعا يشير إلى الاسترسال والهدوء، وراحة البال، ويرى أن الأمور تسير بشكل طبيعي وعادي. .
أما حين يبرك على ركبتيه، فإنه يكون في حالة تختزن معها الاستعداد للجدال والمماحكة، والسعي لحسم أمر يهمه، فيحتاج إلى جمع أطرافه إلى نفسه، وإظهار التماسك، والتصميم، والجدية في عمله من أجل إنجازه.
ولأجل ذلك نلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جلس متربعا، وأما سهيل بن عمرو فبرك على ركبتيه.

اختلاف نصوص العهد:

إن نصوص العهد قد اختلفت في كثير من ألفاظها، كالاختلاف في قوله: هذا ما صالح عليه محمد. . أو هذا ما قاضى عليه محمد.
اصطلحا. . أو اصطلاحوا.

هل وضعت الحرب عشر سنين كما تقدم (1)، أو ثلاث سنين (2)، أو أربع أو سنتان (3) هناك أقوال في ذلك؟!

ولعل تلك الاختلافات قد نشأت عن سوء حفظ الناقل، أو لأن بعضهم أراد النقل بالمعنى، أو لغير ذلك من أسباب.

كما أن هناك بعض المواد قد ذكر بعض الناقلين، دون البعض الآخر.

مصادر العهد:

وقد ذكر العلامة الشيخ علي الأحمدى «رحمه الله» طائفة من المصادر، يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص عهد الحديبية. فلاحظ الهامش (4).

ص: 65

1- راجع: أنساب الأشراف ج 1 ص 350 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 782 و الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 64 و العمدة ص 163 و مسند أحمد ج 4 ص 325 و عن سنن أبي داود ج 1 ص 630 و نصب الراية ج 4 ص 238 و خصائص الوحي المبين ص 160 و زاد المسير ج 3 ص 273 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 211 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 97 و الثقات ج 1 ص 301 و البداية و النهاية ج 5 ص 373 و نهج الإيمان لابن جبر ص 245 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 691.

2- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 54 و فتح الباري ج 5 ص 251 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 76.

3- راجع: مكاتيب الرسول للأحمدى ج 3 ص 89 و أنساب الأشراف ج 1 ص 351 و نصب الراية ج 4 ص 239 و عن عيون الأثر ج 2 ص 128.

4- مكاتيب الرسول ج 3 ص 79 و 80 عن المصادر التالية: تفسير علي بن إبراهيم ج 2 ص 336 و إعلام الورى للطبرسي ص 61 و سيرة ابن هشام ج 3 ص 366 و في (ط أخرى) ص 331 و الأموال لأبي عبيد ص 233 و 443 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 97 و في (ط قديم) ج 2 ق 1 ص 70 و كنز العمال ج 10 ص 303 و 306 و 312 و 316 و الطبري ج 2 ص 634 و الكامل ج 2 ص 204 و الأموال لابن زنجويه ج 1 ص 394 و السيرة الحلبية ج 3 ص 23 و دحلان بهامش الحلبية ج 2 ص 212 و ما بعدها، و الدر المنثور ج 6 ص 77 و 78 و المغازي للواقدي ج 2 ص 610 و 611 و الخراج لأبي يوسف ص 228 و رسالات نبوية ص 177-180 و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 203 و أنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص 349. و راجع: مدينة البلاغة ج 2 ص 281 و مسند أحمد ج 4 ص 325 و 330 و البخاري ج 3 ص 242 و 255 و ابن أبي شيبة ج 14 ص 233 و البحار ج 20 ص 333 و 334 و 335 و 352 و 362 و 368 و نيل الأوطار للشوكاني ج 8 ص 34-36 و تفسير الطبري ج 26 ص 61 و 63 و النيسابوري بهامش الطبري ج 26 ص 49 و نور الثقلين ج 5 ص 52 و مجمع البيان ج 9 ص 118 و البداية و النهاية ج 4 ص 168 و 175 و أبو الفتوح ج 5 ص 104 و البرهان ج 4 ص 193 و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 337 و 338 و الكافي ج 8 ص 326 و مرآة العقول ج 26 ص 444 و أعيان الشيعة ج 1 ص 269 و نشأة الدولة الإسلامية ص 296 عن جمع، و زاد المعاد لابن القيم ج 2 ص 125 و التاج ج 4 ص 399 و سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص 411. و راجع: المنتظم ج 3 ص 269 و مجموعة الوثائق السياسية: 77/11 عن جمع ممن قدمناه (و عن سيرة ابن إسحاق ترجمتها الفارسية و الجاحظ في الرسالة العثمانية ص 70 و إعجاز القرآن للبقلاني (ط مصر سنة 1315 هـ) ص 64 و إمتاع الأسماع للمقريزي ج 1 ص 297 و الوفاء لابن الجوزي ص 698 و سيرة الطبري رواية البكري فصل الحديبية مخطوطة آيا صوفيا. ثم قال: قابل شرح السيد الكبير للسرخسي ج 4 ص 61 و المبسوط للسرخسي ص 30 و 169 و إرشاد الساري للقسطلاني ج 8

ص 158 و كتاب الشروط للطحاوي ج 1 ص 4 و 5 و انظر كايثاني ج 6 ص 34 و اشپرنكر ج 3 ص 246). و أشار إلى الكتاب كل مؤرخ و محدث ذكر القصة، فلا نطيل بذكرها و راجع: المعيار و الموازنة ص 200 و المفصل ج 8 ص 98 و 99 و 135 و حياة الصحابة ج 1 ص 131 و الإرشاد للمفيد ص 54 و 55. و راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 73 و 203 و ج 2 ص 24 و ج 3 ص 184 و ثقات ابن حبان ج 1 ص 300 و سنن الدارمي ج 2 ص 237 و مسند أحمد ج 1 ص 342 و ج 3 ص 268 و ج 4 ص 86 و 325 و البخاري ج 3 ص 241 و 246 و ج 4 ص 126 و ج 5 ص 180 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 7 ص 134 و مسلم ج 3 ص 1409-1411 و اليعقوبي ج 2 ص 45 و 179 و كنز العمال ج 10 ص 307 و 313 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 179 و 180 و ج 9 ص 226 و ابن أبي شيبة ج 14 ص 435 و 438 و 439 و 449 و صبح الأعشى ج 6 ص 358 و 359. و راجع: القرطبي ج 16 ص 275 و ابن أبي الحديد ج 10 ص 258 و ج 12 ص 59 و ج 17 ص 257 و البحار ج 18 ص 62 و ج 20 ص 335 و 357 و 327 و مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و 136 و كشف الغمة ج 1 ص 210 و فتوح البلدان ص 49 و أدب الإملاء و الإستملاء ص 12 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 461 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 105 و 145 و الأخبار الطوال ص 194 و تاريخ دمشق (من فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام») ج 3 ص 151-157 و العمدة لابن بطريق ص 325 و 326 و الطبقات ج 2 ق 1 ص 74. انتهى كلام العلامة الأحمدي رحمه الله تعالى. .

ونوضح بعض الكلمات الواردة في هذا العهد على النحو التالي:

لا إسلال: الإسلال-كما قيل-هو السرقة الخفية. .

وقيل: هو الإغارة الظاهرة.

وقيل: هو سل السيوف.

قال البلاذري: الإسلال هو: دس السلاح و سلّه سرا، و الإغلال: الانطواء على غل (1).

ولعل المراد: أخذ العهد بأن لا يعين أحد المتعاقدين على الآخر، أو نفى الإغارة، أو نفى سل السيوف أو كل هذه المعاني مجتمعة. .

و يفيد هذا الشرط في: تحقيق الأمن على الأموال في تلك المدة، و الأمن من التخويف بالسلاح للأفراد من كلا الجانبين.

لا إغلال: أي لا خيانة خفية، أو لا تلبس الدروع.

ولعل المراد من ذلك الشرط: تحقيق حالة الأمن من الكيد و التآمر في الخفاء.

العيبة المكفوفة: أن يكف ما يحمله الإنسان في باطنه من حقد أو غل أو عداوة، فلا يظهر ذلك و لا يعلن به.

القرباب: هو شبه الجراب يطرح فيه الراكب سيفه بغمده، و سوطه، و قد يطرح فيه زاده، من تمر و غيره. .

و يقال له: (جلبان) أيضا.

ص: 68

ذكر القمي نص العهد، وجاء في آخره عبارة: «وكتب علي بن أبي طالب» (1).

ولكنه أتبعها بقوله: «وعهد على الكتاب المهاجرون والأنصار» فيحتمل أن يكون ذلك من إنشاء الراوي، ويحتمل أن تكون هذه العبارة قد وردت في نص الكتاب فعلاً.

هذا، وذكرت بعض المصادر: أن قريشا أبت إلا أن يكتب علي «عليه السلام» أو عثمان (2).

وتكاد تجمع المصادر على ذلك (3).

ص: 69

-
- 1- راجع: تفسير القمي ج 2 ص 313 و البداية و النهاية ج 4 ص 169 و البحار ج 20 ص 352 و تفسير الصافي ج 5 ص 36 و نور الثقلين ج 5 ص 53 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 629 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 78.
 - 2- المغازي للواقدي ج 2 ص 610 و السيرة الحلبية ج 3 ص 23 و السيرة النبوية لدحلان.
 - 3- مكاتيب الرسول ج 3 ص 58 عن المصادر التالية: الدر المنثور ج 6 ص 78 و الحلبية ج 3 ص 23 و 25 و دحلان بهامش الحلبية ج 2 ص 212 و المغازي للواقدي ج 2 ص 610 و المناقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 24 و ج 1 ص 73 و 203 و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 343 و الإرشاد للمفيد ص 54 و أنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص 349 و مسند أحمد ج 1 ص 342 و ج 3 ص 268 و ج 4 ص 86 و 325 و البخاري ج 3 ص 241 و 242 و ج 4 ص 126 و ج 5 ص 179 و مسلم ج 3 ص 1409-1411 و يعقوبي ج 2 ص 45 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 179 و ج 9 ص 226 و 227 و ابن أبي شيبة ج 14 ص 435 و 439 و البحار ج 18 ص 62 و ج 20 ص 327 و 333 و 335 و 351-353 و 357 و 362 و نيل الأوطار للشوكاني ج 8 ص 45 و تفسير الطبري ج 26 ص 61 و تفسير النيسابوري بهامش الطبري ج 26 ص 49. و راجع: نور الثقلين ج 5 ص 53 و مجمع البيان ج 9 ص 118 و القرطبي ج 16 ص 275 و ابن أبي الحديد ج 10 ص 258 و البرهان ج 4 ص 192 و 193 و البداية و النهاية ج 4 ص 169 و مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و فتح الباري ج 5 ص 223 و ج 7 ص 286 و الكافي ج 8 ص 326 و مرآة العقول ج 26 ص 444 و كشف الغمة ج 1 ص 210 و أدب الإماماء و الإستملاء ص 12 و صفين لنصر ص 508 و 509 و الكامل ج 2 ص 204 و الطبقات ج 2 ق 1 ص 71 و رسالات نبوية ص 178 و مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و المطالب العالية ج 4 ص 234.

ولكن البعض قد زعم: أن الكاتب هو محمد بن مسلمة (1).

وقد صرح ابن حجر: بأن هذا من الأوهام، ثم إنهم جمعوا بين القولين: بأن الكاتب هو علي «عليه السلام»، لكن محمد بن مسلمة نسخ من الكتاب نسخة أخرى أعطيت لسهيل بن عمرو (2).

ويمكن تأييد ذلك: بما رواه عمر بن شبة، عن عمرو بن سهيل بن عمرو، عن أبيه: الكتاب عندنا كاتبه محمد بن مسلمة.

قال العسقلاني: و يجمع: بأن أصل كتاب الصلح بخط علي - كما هو في

ص: 70

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 24 و 25 و السيرة النبوية لدحلان ج 3 ص 43 ورسالات نبوية ص 179.

2- راجع: المصادر المتقدمة.

الصحيح- ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو (1).

ونحن نخشى أن يكون إصرار هؤلاء على حشر اسم محمد بن مسلمة المهاجم لبيت الزهراء «عليها السلام»، يدخل في سياق سياساتهم لإنكار فضائل علي «عليه السلام» أو تشريك غيره معه فيها على الأقل، إن لم يمكن منحها بكل تفاصيلها لأعداء و مناوئي أهل البيت «عليهم السلام».

هذا. . وقد صرح أبو زميل سماك الحنفي: أنه سمع عبد الله بن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبية علي بن أبي طالب (2).

كما أن الزهري رغم أنه كان منحرفاً عن أهل البيت «عليهم السلام»، و كان معلماً لأولاد ملوك بني أمية، فإنه كان أكثر جرأة، في هذا الأمر، فقد روى عبد الرزاق عن معمر، قال: سألت عنه الزهري، فضحك، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء قالوا: عثمان (3).

محنة أبي جندل، و حوادث أخرى:

قالوا: وفي حديث عبد الله بن مغفل، عند الإمام أحمد، و النسائي، و الحاكم، بعد أن ذكر نحو ما تقدم، قال: «فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا إلى وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله

ص: 71

1- راجع: المصادر المتقدمة.

2- المصنف للصنعاني ج 5 ص 343 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 305 و البحار ج 31 ص 221 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 84 و الدر المنثور ج 6 ص 78 و النزاع و التخاصم ص 127.

3- المصنف ج 5 ص 343 و النزاع و التخاصم ص 127 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 84.

«صلى الله عليه وآله»، فأخذ الله بأسماعهم-ولفظ الحاكم بأبصارهم-فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»
: هل جئتم في عهد أحد؟ و هل جعل لكم أحد أماناً؟

فقالوا: لا.

فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ . (1).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والثلاثة، عن أنس، قال: لما كان يوم «الحديبية» هبط على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح، من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدعا عليهم، فأخذوا، فغفا عنهم (2).

وروى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقال له: ابن زنيم اطلع
الثنية «يوم

ص: 72

-
- 1- أخرجه: أحمد ج 4 ص 87 والبيهقي ج 6 ص 319 والحاكم في المستدرک ج 2 ص 461 وعن ابن الجوزي في زاد المسیر ج 7 ص 438 وانظر: الدر المنثور ج 6 ص 78 وأسباب نزول الآيات ص 257 والجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 281 وتفسير القرآن العظيم ج 4 ص 207 وفتح القدير ج 5 ص 53 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 54.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 54-56 وقال: أخرجه مسلم ج 3 ص 1442 (133/1808) وأحمد ج 3 ص 124 والدر المنثور ج 6 ص 76. والغرة: هي الغفلة. أي: يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم والفتك بهم.

فبعث نبي الله «صلى الله عليه وآله» خيلاً، فأَتوا باثني عشر فارساً، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «هل لكم عهد أو ذمة» ؟ قالوا: لا. فأرسلهم (1).

وروى الإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، عن سلمة بن الأكوع قال: إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح، فلما اصطَلَحنا، واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت في ظلها، فأَتاني أربعة من مشركي أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فأبغضهم، وتحولت إلى شجرة أخرى، فعلقوا سلاحهم، واضطجعوا.

فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم، فاخترطت سيفي فاشتدَّت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، وجعلته في يدي، ثم قلت: والذي كرم وجهه محمد «صلى الله عليه وآله» لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وجاء عمي عامر برجل من العبلات، يقال له: مكرز-من المشركين- يقوده حتى وقفناه على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فقال: دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثيابه، فعفا عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، وأنزل الله تعالى: وَهُوَ

ص: 73

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 54-56 وقال: أخرجه الطبري ج 26 ص 59 وذكره السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 76 وراجع: تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 207 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 278.

الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتُّدِيَكَمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ .

فبينما الناس على ذلك إذ أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.
وكان أبوه سهيل قد أوثقه في الحديد و سجنه.

فخرج من السجن، و اجتنب الطريق، وركب الجبال حتى أتى «الحديبية» ، فقام إليه المسلمون يرحبون به و يهشؤنه.
فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه بغصن شوك، و أخذ بتلبينه ثم قال: «يا محمد، هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترد» .
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «إنا لم نقض الكتاب بعد» .

قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا.

قال: «فأجزه لي» .

قال: ما أنا بمجيزه لك.

قال: «بلى فافعل» .

قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز و حويطب: بلى قد أجزناه لك. فأخذه، فأدخله فسطاطا، فأجازاه، و كف عنه أبوه.

فقال أبو جندل: أي معاشر المسلمين، أردّ إلى المشركين و قد جئت مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ و كان قد عذب عذابا شديدا.

فرفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته، وقال: «يا أبا جندل، اصبر، واحتسب، فإن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا، إنا قد

عقدنا مع القوم صلحا، و أعطيناهم و أعطونا على ذلك عهدا، وإنا لا نغدر» .

و مشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبي جندل، وقال له: اصبر، واحتسب، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب.

و جعل عمر يدني قائم السيف منه.

قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه.

قال: فضن الرجل بأبيه (1).

وقد كان أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح و الرجوع، و ما تحمل عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون.

فزادهم أمر أبي جندل على ما بهم، و نفذت القضية، و شهد على الصلح رجال من المسلمين و رجال من المشركين: أبو بكر، و عمر، و عبد الرحمن بن عوف، و عبد الله بن سهيل بن عمرو، و سعد بن أبي وقاص، و محمود بن

ص: 75

1- أخرجه: أحمد في المسند ج 4 ص 330 و 323 و 325 و البيهقي في دلائل النبوة ج 5 ص 331 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 54-56 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص و السيرة الحلبية ج 3 ص و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 322 و الكامل في التاريخ ج 2 ص و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 282 و النص و الإجتهد ص 177 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 93 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 227 و فتح الباري ج 5 ص 254 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 211 و أسد الغابة ج 5 ص 161 و البداية و النهاية ج 4 ص 193 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 783.

مسلمة، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ومكرز بن حفص وهو مشرك (1).

ونقول:

هناك نقاط نذكر القارئ بها، وهي التالية:

عمر وأبو جندل:

قد أوضح عمر: أنه يريد من أبي جندل أن يقتل أباه، مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد أن يرجع أبو جندل مع أبيه.

فما هذا السعي لنقض مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

وما هي النتائج التي سوف تترتب على قتل أبي جندل لأبيه، دون استئذان من النبي «صلى الله عليه وآله» ؟ !

وهل سوف يصدق الناس أن أبا جندل قد قتل أباه بدون رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟ !

وهل عرف عمر كيف ستتطور الأحوال مع قريش، وما هي الانطباعات التي سوف يتركها عمل كهذا على المنطقة بأسرها، وعلى الأجيال؟ !

هذه أسئلة تبقى تلح بطلب الإجابة. ولكن من أين.. وأنى؟ !

هل عندكم أمان أو عهد؟ ! :

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» للثلاثين رجلا: هل جئتم في عهد أحد؟ !

ص: 76

ثم قول: هل جعل أحد لكم أماناً؟ ! يدل على: أن هؤلاء الثلاثين كانوا من المشركين المحاربين للمسلمين. .

وقد ظهر: أنهم قد اقتحموا معسكر المسلمين بالسلاح. .

مما يعني: أنهم قد جاؤوا، بهدف الإيقاع بالمسلمين، فلا بد من أن يعدّوا من أسرى الحرب، الذين لا يشملهم عهد الحديبية.

وسهيل بن عمرو لم يطالب بهم، إن كانوا قد أسروا قبل كتابة العهد. .

وإن كانوا قد أسروا بعده فلا بد أن يعد ذلك نقضا للصالح، وليس لقريش أن تطالب بهم أيضا. بل يكون رضاها بفعلهم إعلانا لحالة الحرب مع النبي «صلى الله عليه وآله» . .

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» بادر إلى تخلية سبيلهم كرما منه ونبلا، ولم يكلف قريشا حتى أن تعتذر عما بدر منهم، فضلا عن أن تلتمس منه إطلاق سراحهم. .

وهذا إعلان آخر عن حقيقة ما يسعى إليه، ويعمل من أجله، وأنه ليس طالب حرب ولا ناشد زعامة، وليس مفسدا ولا ظالما، ولا معتديا على أحد، فكل ما تشيعه قريش ما هو إلا محض أكاذيب، وهو محض التجني والبغي، والمكر السيء، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وهذا الكلام هو نفسه يقال بالنسبة للثمانين رجلا الآخرين، الذين جاؤوا من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فأخذوا، ثم عفا عنهم «صلى الله عليه وآله» . .

اثنا عشر رجلا آخر:

و أما بالنسبة للاثني عشر مشركا الذين أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خيلا فأتوا بهم، حين قتل ابن زنيم. فالذي يبدو لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى أخذهم ثم إطلاق سراحهم، ليثبت لهم: أنه قادر على مواجهة بغيهم إلى حد إنزال الضربات القاصمة بهم، وأن مرونته معهم ليست ناشئة عن ضعف أو خوف. بل هي حكمة وروية، وعفو منه وتسامح، وتعظيم للحرم. .

ويوضح ذلك: أنه حين جيء بهم، قال لهم: «هل لكم عهد أو ذمة؟! فقالوا: لا. .». .

وذلك ليفهمهم: أنه لو أراد قتلهم، فإنه سيكون محقا؛ لأنهم معتدون، ومحاربون، وليس لديهم عهد يمنعهم من ذلك، كما أنهم لم يدخلوا في ذمة أحد، ليرى نفسه ملزما بمراعاة ذمته.

وهذا يعني: أنه لو قتلهم فليس لأحد أن يلومه في ذلك، أو يمنعه منه. .

ولكنه «صلى الله عليه وآله» عفا عنهم لكي يثوبوا إلى رشدهم، ولتكون هذه رسالة أخرى إلى كل أحد، تؤكد على: أنه لا يلجأ إلى القتل إلا حين لا يمكن دفع خطر العدو بدون ذلك.

ويؤكد ذلك: أن هذا العقوق قد تكرر منهم، ولم يكن مجرد حالة استثنائية، فقد عفا عن الثمانين مع الثلاثين الذين هاجموه، وطلبوا غرته لكي يوقعوا به. .

متى قتل ابن زنيم؟ !

وقد صرحت رواية سلمة بن الأكوع المتقدمة: بأن هذه الأحداث قد حصلت حينما كان سهيل بن عمرو و من معه يفاوضون رسول الله «صلى

اللّٰه عليه وآله» في أمر الصلح .

وإن كان سلمة قد سعى إلى أن ينسب لنفسه في روايته هذه بطولة لم تنقل لنا عن غيره، فنحن نصدقه فيما نقله من أن قتل ابن زعيم كان في هذا الوقت، ونشك فيما نسبته لنفسه من بطولات لم ينقلها أحد سواه.

واللافت: أن هذا الأمر قد تعودناه من سلمة بن الأكوع حيث نسب لنفسه بطولات عظيمة تقدم الحديث عنها، مع أنه لم ينقلها أحد سواه.

سهيل يضرب ولده:

والغريب في الأمر: أن سهيل بن عمرو، الرجل الأريب، والمجرب، والمعروف بحكمته، وتدبيره يخرج عن حالة التوازن، ويتجاوز كل الآداب واللباقات، ويتحول إلى جلاد شرس بمجرد أن رأى ابنه أبا جندل يلتجئ للمسلمين. . غير مبال في أن تتسبب تصرفاته الرعناء بنقض الصلح الذي جاء من أجله.

وقد كان باستطاعة النبي «صلى الله عليه وآله» أن يخضعه للتأديب، ويمنعه من تصرفاته تلك بالأسلوب الذي يستحقه، حتى لو أدى إلى نقض الصلح، ونشوب الحرب.

وسيكون محققا، حتى في نظر أهل الشرك، وسوف يوجّه كل اللوم إلى مبعوثهم الذي ارتكب هذه حماقة، وتحول من رجل عاقل أريب إلى رجل طائش أرعن، أوقعهم في مأزق خطير، قد يؤدي بكل تطوراتهم وخططهم. .

ولكنه «صلى الله عليه وآله» آثر مراعاة مصلحة الإسلام العليا، وذلك بحفظ حرمة بيت الله، وفسح المجال للوصول إلى الأهداف الكبرى، من

الصلف الذي لا يطاق:

وقد أمعن سهيل في صلفه ورعونته، وردّ كل طلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله». . إلى حدّ جعل مكرز بن حفص، و حويطب بن عبد العزى في موقع الإحراج الشديد، واضطرهما للتدخل لحفظ ماء الوجه من جهة، و حفظ فرصة عقد الهدنة و خشية على الصلح الذي جاؤوا من أجله من جهة أخرى، فإن المهم عندهم هو إبرامه و أن لا يتعرض لنكسة خطيرة، لا طاقة لقريش بتحملها، و لا قدرة لها على مواجهة تبعاتها و آثارها.

هل في موقف الرسول صلى الله عليه وآله تناقض؟ !

وقد يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لسهيل حين ضرب ولده بغضن شوك: إنا لم نقض الكتاب بعد، ولكنه عاد فقال لأبي جندل: إنا قد عقدنا مع القوم صلحا الخ. .

فهل بين كلاميه «صلى الله عليه وآله» تناقض؟ !

ونجيب: لا، لا تناقض بين الكلامين، فإن الاتفاق-كلاميا-كان قد تم بين الفريقين، فيصح أن يقال: قد عقدنا مع القوم صلحا. وقد قال «صلى الله عليه وآله»: عقدنا، و لم يقل: كتبنا.

أما كتاب الصلح، فلم تكن كتابته قد تمت. .

فيصح أن يقول: إنا لم نقض الكتاب بعد. فعبر بالكتاب، و قال عنه: إنه لم يقض بعد، أي لم يتم، و لم يعبر بعقد الصلح.

وبذلك يتضح: مدى الدقة في التعابير التي صدرت من النبي الكريم. .

وقد رأينا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلن: أن أهل الإسلام لا يغدرون بمن يعاقدونهم ويعاهدونهم، ويخاطب أبا جندل بهذا الخطاب، ويرفع بذلك صوته، ليسمعه سهيل وسواه، ثم يسعى عمر بن الخطاب لإقناع نفس أبي جندل بقتل أبيه سهيل بن عمرو وغيلة و غدر!! و يدني إليه قائم سيفه ليغريه بهذا الأمر الشنيع، الذي يتضمن نقضا و تكذيبا للرسول «صلى الله عليه وآله» . .

ثم إننا لا ندري، إلى ما ستؤول إليه الأمور لو أن أبا جندل فعل ذلك؟!

و كيف سينظر الناس إلى هذه الحادثة؟! وكيف ستستغلها قريش؟!

و ما هي النظرة التي سوف تتكون لدى الناس في تلك الحقبة، وسواها إلى يوم القيامة عن طاعة أصحاب النبي له «صلى الله عليه وآله» ، و مدى انصياعهم لأوامره، وقدرته على أن يلزمهم بالتعهدات و المواثيق التي يعطيها عنهم، بصفته رئيسا لهم؟!

أفلا يؤدي تصرف أخرق كهذا إلى تضييع كل جهود و جهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، و بوار أهدافه، و عقم كل تدبيره، و انقلاب الأمور رأسا على عقب، و ربما عودتها إلى نقطة الصفر، أو ما هو أدنى من ذلك؟! . .

غضب قريش من خزاعة:

وقد كان من الطبيعي: أن تغضب قريش من دخول خزاعة في حلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» . .

وكان أول رد فعل ظهر على هذه المبادرة هو: أن أحد المفاوضين، وهو حويطب بن عبد العزى، التفت إلى سهيل بن عمرو، وقال: بادأنا أخوالك بالعداوة، وقد كانوا يستترون منا، وقد دخلوا في عهد محمد وعقده!!

فقال سهيل: ما هم إلا كغيرهم، هؤلاء أقاربنا ولحمنا، قد دخلوا مع محمد، قوم اختاروا لأنفسهم أمرا، فما نصنع بهم؟!

قال حويطب: نصنع بهم: أن نصر عليهم حلفاءنا بني بكر.

قال سهيل: إياك أن يسمع منك هذا بنو بكر، فإنهم أهل شؤم، فيقعوا بخزاعة، فيغضب محمد لحلفائه، فينقض العهد بيننا وبينه.

قال حويطب: والله حظوت أخوالك بكل وجه. .

فقال سهيل: ترى أخوالي أعز عليّ من بني بكر؟! ولكن والله لا تفعل قريش شيئا إلا فعلته، فإذا أعانت بني بكر خزاعة، فإنما أنا رجل من قريش، وبنو بكر أقرب إليّ في قدم النسب، وإن كان لهؤلاء الخؤولة.

وبنو بكر من قد عرفت، لنا منهم مواطن كلها ليست بحسنة، منها يوم عكاظ (1).

ونقول:

إن هذا النص يشير: إلى حاجة قريش إلى هذا الصلح، وحرصها على إمضائه.

كما أنه يدل على: أن الثقة بين أركان الشرك كانت غير وطيدة ولا تصلح للاعتماد عليها. .

ص: 82

و يدل أيضا: على أن قريشا لم تجد في دخول بني بكر في حلفها ما يسعدها، لأن لها منها مواطن غير حميدة. .

ولكننا في المقابل نجد: أن خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله» . . رغم أنها لم تكن على دينه.

ولعل الأمر، والأضرّ والأشّر بالنسبة لقريش: أن خزاعة هي التي بادرت إلى الدخول في حلف عدوها في حركة أظهرت: أنها كانت تنتظر الفرصة، فلما واثتها بادرت إلى اقتناصها.

يضاف إلى ذلك: أن خزاعة قد أظهرت جرأة عظيمة حين دخلت في حلف النبي «صلى الله عليه وآله» ؛ في حين أنها لم تكن تعيش في منطقة نفوذه «صلى الله عليه وآله» ، ليقال: إنها بحاجة إلى مهادنته، وحماية نفسها من سائر القبائل بالدخول في حلفه.

بل هي بعملها هذا قد رفضت محيطها وتمردت عليه، وربطت مصيرها بمن هو بعيد عنها.

و من شأن هذا أن يسيء إلى سمعة قريش، ويضع علامات استفهام كبيرة على مصداقيتها، وعلى هيبتها، وعلى سياساتها و. . و.

صلح الحديبية لا يشمل النساء :

إشارة

وقد ذكرت النصوص التاريخية والحديثية: أن عددا من النساء قد هاجرن من مكة إلى المدينة بعد الحديبية، وأن قريشا قد طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله» ، أن يرجعهن إليها، فرفض «صلى الله عليه وآله» ذلك

معلنا: أن نصوص صلح الحديبية لا تشمل النساء (1).

وقد ذكرت بعض المصادر: أن العبارة الموجودة في الاتفاقية تقول: «فقال سهيل: على أنه لا يأتيك من (رجل)، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، و من جاءنا ممن معك لا نرده عليك» (2).

ص: 84

1- البحار ج 20 ص 339 و عن ج 89 ص 67 و عن فتح الباري ج 8 ص 488 و عن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 453 و نور الثقلين ج 5 ص 304 و جامع البيان ج 28 ص 88 و أسباب نزول الآيات ص 285 و زاد المسير ج 8 ص 8 و الجامع لأحكام القرآن ج 18 ص 61 و 64 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 376 و تفسير الجلالين ص 766 و الدر المنثور ج 6 ص 206 و لباب النقول ص 194 و تفسير الثعالبي ج 5 ص 420 و فتح القدير ج 5 ص 215 و الطبقات الكبرى ج 8 ص 13 و تاريخ مدينة دمشق ج 70 ص 220 و أسد الغابة ج 5 ص 475 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 647 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 790.

2- البحار ج 20 ص 334 و مجمع البيان ج 9 ص 116-119 و الكافي ج 8 ص 327 و كتاب سليم بن قيس ص 329 و مسند أحمد ج 4 ص 330 و عن صحيح البخاري ج 3 ص 181 و عن سنن أبي داود ج 1 ص 629 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 220 و عن فتح الباري ج 5 ص 252 و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 338 و صحيح ابن حبان ج 11 ص 223 و عن المعجم الكبير ج 20 ص 13 و نصب الراية ج 3 ص 248 و إرواء الغليل ج 1 ص 57 و جامع البيان ج 26 ص 129 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 213 و الدر المنثور ج 6 ص 77 و تاريخ مدينة دمشق ج 57 ص 229 و سير أعلام النبلاء ج 1 ص 192 و البداية و النهاية ج 4 ص 200 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 630 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 333.

فلا صحة لما يدّعيه البعض: من أن القرآن قد نزل بنقض العهد فيما يختص بإرجاع النساء (1).

على أنه: لو صح ذلك، فلا بد أن تتخذة قريش ذريعة للتشهير، ولسوف لا تقبل الاعتذار بهذا النقص القرآني، ما دامت لا تعترف بالقرآن، و لا- تراه، وحيا، وقد تجلّى ذلك من مواقف ممثلها سهيل بن عمرو حين كتابة العهد، حيث أصرّ على حذف كلمة رسول الله، وعلى استبدال: بسم الله الرحمن الرحيم ب: «باسمك اللهم» .

1-سبيعة الأسلمية:

و من النسوة اللواتي جئن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد الحديبية: «سبيعة بنت الحارث الأسلمية» .

وقيل: هي أسلمية، ولكنها غير بنت الحارث (2).

فإنها جاءت مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، وطيه، والنبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية.

فأقبل زوجها مسافر (من بني مخزوم، وقيل: بل زوجها هو صيفي بن الراهب في طلبها)، و كان كافرا، فقال: يا محمد، أردد عليّ امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا. وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد. .

فنزلت الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ

ص: 85

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 26 و الطبقات الكبرى ج 8 ص 230.

2- الإصابة ج 4 ص 325 و شرح أصول الكافي ج 12 ص 453 و البحار ج 20 ص 337 و نور الثقلين ج 5 ص 304 و زاد المسير ج 8 ص 8 و تاريخ المدينة ج 2 ص 492.

فَأَمْتَحِنُوهُمْ إِنَّ اللَّهَ أَغْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُمْ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ (1) . فاستحلفها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فما خرجت بغضا لزوجها، ولا عشقا لرجل منا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام: فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك.

فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» زوجها مهرها، وما أنفق عليها، ولم يردها عليه، فتزوجها عمر بن الخطاب (2).

2-أروى بنت ربيعة:

أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: وقد كانت أروى بنت ربيعة ممن فر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من نساء الكفار، فحبسها النبي «صلى الله عليه وآله» ، ولم يرجعها إليهم وزوجها خالد بن سعيد بن العاص (3).

3-أميمة بنت بشر:

و كانت أميمة بنت بشر عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، فزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» و «آله» سهل بن حنيف، فولدت عبد الله بن سهل (4).

ص: 86

1- الآية 10 من سورة الممتحنة.

- 2- راجع فيما تقدم: البحار ج 20 ص 337 و 338 والإصابة ج 4 ص 325 والسيرة الحلبية ج 3 ص 26 و تاريخ الخميس ج 2 ص 23.
- 3- البحار ج 20 ص 338 وعن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 453 و جامع البيان ج 28 ص 92.
- 4- البحار ج 20 ص 338 و راجع: الإصابة ج 4 ص 239 وفيه: أنها كانت تحت حسان بن الدحداحة، و جامع البيان ج 28 ص 92 و عن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 453.

4- أم كلثوم بنت عقبة:

وقد جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مسلمة مهاجرة من مكة أيضا، فجاء أخوها الوليد و عمارة إلى المدينة، فسألا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ردها عليهما.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء»، فلم يردها عليهما (1).

5- زينب ربيعة رسول الله صلى الله عليه وآله:

قال الشعبي: وكانت زينب امرأة أبي العاص بن الربيع قد أسلمت، ولحقت بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أتى أبو العاص مسلما، فرد النبي «صلى الله عليه وآله» زينب عليه بنكاح جديد، وقيل: بالنكاح الأول.

وقد تقدم: أن قضية زينب لا ارتباط لها بالحديبية، وأنه قد ردها عليه بنكاح جديد فراجع (2).

ص: 87

-
- 1- البحار ج 20 ص 339 و 373 و راجع: الإصابة ج 4 ص 491 و الإستهباب (مطبوع مع الإصابة) ج 4 ص 488 و السيرة الحلبية ج 3 ص 25 و 26 و تاريخ الخميس ج 2 ص 23 و 24 و عن فتح الباري ج 9 ص 345 و عن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 453 و نور الثقلين ج 5 ص 304 و الجامع لأحكام القرآن ج 18 ص 61 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 647.
 - 2- تقدم الحديث عن زينب وإرجاعها إلى زوجها في الجزء السابق من هذا الكتاب.

وفي بعض النصوص: أن أبا العاص هو الذي أذن لها بإتيان المدينة (1).

نساء لحقن بالمشركين:

أما بالنسبة للنساء اللواتي رجعن عن الإسلام، و عدن إلى بلاد الشرك فقد ذكر الزهري أنهن ست نساء، وهن:

- 1- أم الحكم بنت أبي سفيان، وكانت تحت عياض بن شداد الفهري.
 - 2- فاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد أن يهاجر أبت وارتدت.
 - 3- يروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان.
 - 4- عبدة بنت عبد العزى بن نضلة (أو فضلة)، كان زوجها عمرو بن عبدود.
 - 5- هند بنت أبي جهل، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل.
 - 6- كلثوم بنت جروول (أو أم كلثوم). كانت تحت عمر.
- فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أزواجهن من المسلمين مهور نسائهم من الغنيمة (2).

ص: 88

-
- 1- البحار ج 20 ص 364 عن إعلام الوری ج 1 ص 206 و تاريخ مدينة دمشق ج 67 ص 15 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 645.
 - 2- البحار ج 20 ص 341 و المحبر لابن حبيب ص 432 و عن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 455 و الميزان ج 19 ص 245 و الجامع لأحكام القرآن ج 88 ص 70.

هل عصى علي عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله؟! !

وزعم البخاري وغيره: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر عليا «عليه السلام»: أن يكتب في بداية عهد الحديبية: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: اكتب: باسمك اللهم.

فكتب «عليه السلام» ذلك.

ثم قال «صلى الله عليه وآله»: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، (فكتب)، فاعترض عليه سهيل، وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولا صددناك، ولكن اكتب اسمك، واسم أبيك.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليا «عليه السلام» بمحوها. .

فزعما: أن عليا «عليه السلام» قال: لا والله لا أمحاك أبدا.

أو قال: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، أو ما أنا بالذي أمحاه. . أو نحو ذلك.

فمحاه «صلى الله عليه وآله». .

أو فقال له «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها. أو أرني إياها، فأراه، فمحاه بيده. أو فأخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس يحسن أن

1- راجع المصادر التالية: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 34 و 35 والجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 275-277 وروح المعاني ج 9 ص 5 وعمدة القاري ج 14 ص 12 و 13 و ج 13 ص 275 وتفسير القمي ج 2 ص 312 و 313 وتفسير نور الثقلين ج 5 ص 52 و 53 وتفسير الصافي ج 5 ص 35 و 36 وتفسير البرهان ج 4 ص 192 و حبيب السير ج 1 ص 372 وتفسير الميزان ج 18 ص 267 ومجمع البيان ج 9 ص 118 والبحار ج 20 ص 352 و 359 و 333 و 371 و 363 و 357 و ج 33 ص 314 وصحيح مسلم ج 5 ص 173 و 174 وتاريخ الخميس ج 2 ص 21 والسيرة الحلبية ج 3 ص 20 والسيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 43 والكامل في التاريخ ج 2 ص 204 و ج 3 ص 320 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 636 و شرح بهجة المحافل ج 1 ص 316 و 317 والمواهب اللدنية ج 1 ص 128 وصحيح البخاري ج 2 ص 73 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص 390 ودلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 146 و 147 و حدائق الأنوار ج 2 ص 616 والأموال ص 232 و 233 وتفسير القرآن العظيم ج 4 ص 202 وتفسير الخازن ج 4 ص 156 و 157 و كشف الغمة ج 1 ص 210 والإرشاد للمفيد ج 1 ص 120 وإعلام الوري ص 97 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 54 و 53 وعن السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 5 وعن مستدرک الحاكم ج 3 ص 120 وعن تاريخ بغداد ونهاية الإرب ج 17 ص 230 وأصول السرخسي ج 2 ص 135 والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج 11 ص 222 و 223 ومسند أبي عوانة ج 4 ص 237 و 239 وصبح الأعشى ج 14 ص 92 والعثمانية ص 78 وتاريخ ابن الوردي ج 1 ص 215 و خصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص 150 و 151 ومسند أحمد ج 4 ص 298 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 2 ص 233-236 وإحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 419 و 420 و 637 و 638 و 641 و 642 و ج 18 ص 361 عن بعض من تقدم وعن مصادر أخرى فليراجع. و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 275 و مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 214 ومشكل الآثار ج 4 ص 173 والرياض النضرة ج 2 ص 191.

بل ذكر ابن حبان: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر عليا «عليه السلام» بمحو اسمه مرتين، فأبى ذلك فيهما معا (1).

وعن محمد بن كعب: أن عليا «عليه السلام» جعل يتلأأ ويبيكي، ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال له: اكتب، فإن لك مثلها، و تعطيها وأنت مضطهد.

فكتب ما قالوا (2).

ص: 93

1- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج 11 ص 222 و 223.

2- راجع: مجمع البيان ج 9 ص 119 و مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 214 و بحار الأنوار ج 20 ص 335 و ج 33 ص 314 و 316 و 317 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 54 و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص 390 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 147 و السيرة الحلبية ج 3 ص 20 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 43. و عن وعد النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأن له مثلها و هو مقهور راجع أيضا: تاريخ الخميس ج 2 ص 21 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 204 و حبيب السير ج 1 ص 372 و تفسير البرهان ج 4 ص 193 و البحار ج 20 ص 352 و 357 و تفسير القمي و الخرائج و الجرائح و غير ذلك كثير. و الخصائص للنسائي (ط التقديم بمصر) ص 50 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 1 ص 190 و ج 2 ص 588 و المغني لعبد الجبار ج 16 ص 422 و ينابيع المودة ص 159 و صبح الأعشى ج 14 ص 92.

وقد وجد أنصار الأمويين، وأتباع مناوئي علي وأهل البيت «عليهم السلام» -وجدوا بزعمهم- الفرصة سانحة لتوجيه ضربتهم، فقالوا: إذا كان الشيعة يحشدون الشواهد المتواترة على مخالفات صريحة، أو قبيحة، ومؤذية صدرت من عدد من الصحابة لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» . . فإن عليا «عليه السلام» قد وقع في نفس المحذور، حين رفض امتثال أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بمحو وكتابة ما يمليه عليه.

حتى لقد قال السرخسي: «لقد كان هذا الإباء بالرأي في مقابلة النص» (1).

وفي سؤال وجه للسيد المرتضى، جاء ما يلي: « . . ليس يخلو، إما أن يكون قد علم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر إلا بما فيه مصلحة، وتقتضيه الحكمة والبيّنات، وأن أفعاله عن الله سبحانه وبأمره. أو لم يعلم.

فإن كان يعلم، فلم خالف ما علم؟ !

وإن كان لم يعلمه، فقد جهل ما تدّعيه العقول من عصمة الأنبياء عن الخطأ، وجوّز المفسدة فيما أمر به النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا، إن لم يكن قطع بها.

وهل يجوز أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» توقف عن قبول الأمر، لتجويزه أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» معتبرا له و مختبرا؟ ! مع ما في ذلك لكون النبي «صلى الله عليه وآله» عالما بإيمانه قطعاً، وهو

ص: 94

خلاف مذهبكم، و مع ما فيه من قبح الأمر على طريق الاختبار بما لا مصلحة في فعله على كل حال.

فإن قلت: إنه يجوز أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أضمر محذوفا، يخرج الأمر به من كونه قبيحا.

قيل لكم: فقد كان يجب أن يستفهم ذلك، و يستعلمه منه، و يقول: فما أمرتني قطعا من غير شرط أضمرته أولا» (1).

ونقول:

أولا: لقد أجاب السيد المرتضى بما يتوافق مع مذاق المعترض في نظره للأمر، و نوضح مراده على النحو التالي:

لوسلمنا: صدور هذا الأمر من علي «عليه السلام»، فهو لا يدل على عدم عصمته، لأنه جَوَّز أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالمحو ليس أمرا حقيقيا، بل مجازة لسهيل، لا لأنه «صلى الله عليه وآله» يؤثر ذلك. فتوقف حتى يظهر: أنه مؤثر له.

و توقفه هذا يقوم مقام الاستفهام، ليتأكد له حقيقة هذا الطلب، و أنه أمر حقيقي، أو ليس بحقيقي (2).

قال العيني عن قوله «عليه السلام»: «ما أنا بالذي محاه: ليس بمخالفة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ لأنه علم بالقرينة أن الأمر ليس

ص: 95

1- رسائل الشريف المرتضى ج 1 ص 441 و 442.

2- رسائل الشريف المرتضى ج 1 ص 442.

وقال القسطلاني، والنووي: «قال العلماء: هذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي «صلى الله عليه وآله» تحتم محو على نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه، ولا أقره النبي «صلى الله عليه وآله» على المخالفة» (2).

ثانيا: إن هذه القضية موضع شك وريب من أساسها، وذلك لأسباب عديدة، سوف نوردتها في الفقرة التالية. .

الشك فيما ينسب لعلي عليه السلام:

إن شكنا في صحة ما ينسب إلى علي «عليه السلام» يستند إلى الأمور التالية:

أولاً: إن عليا «عليه السلام» يقول: «لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد: أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط الخ.». (3).

قال المعتزلي-وهو يشير إلى اعتراضات بعض الصحابة على النبي

ص: 96

1- رسائل الشريف المرتضى ج 1 ص 443.

2- شرح صحيح مسلم ج 12 ص 135.

3- نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 196 و 197 وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 179 و 180 و غرر الحكم ج 2 ص 288 (مع الترجمة الفارسية للأنصاري) و شرح أصول الكافي ج 12 ص 454 و البحار ج 38 ص 319 و الأنوار البهية ص 50 و المراجعات ص 330 و ينابيع المودة ج 1 ص 265 و ج 3 ص 436.

«صلى الله عليه وآله» في الحديثية-: «إن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، و الناس كلهم روه» (1).

و يؤكد ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «علي مع الحق، و الحق مع علي، يدور معه حيث دار»، أو «علي مع القرآن، و القرآن مع علي»، و نحو ذلك (2) فإن من يكون مع الحق و مع القرآن، لا يمكن أن تصدر منه مخالفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» و لا عصيان لأمره.

و يؤكد مدى طاعة علي للرسول «صلى الله عليه وآله»، قوله «عليه السلام»: أنا عبد من عبيد محمد (3).

فهل يمكن أن يقارن من هذا حاله بمن يقول عن نفسه: أنا زميل

ص: 97

1- شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 180.

2- راجع: دلائل الصدق ج 2 ص 303 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 18 ص 72 و عبقات الأنوار ج 2 ص 324 عن السندي في دراسات اللبيب ص 233 و كشف الغمة ج 2 ص 35 و ج 1 ص 141-146 و الجمل ص 81 و تاريخ بغداد ج 14 ص 321 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 119 و 124 و تلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) و ربيع الأبرار ج 1 ص 828 و 829 و مجمع الزوائد ج 7 ص 234 و نزل الأبرار ص 56 و في هامشه عنه و عن: كنوز الحقائق ص 65 و عن كنز العمال ج 6 ص 157 و ملحقات إحقاق الحق ج 5 ص 77 و 28 و 43 و 623 و 638 و ج 16 ص 384 و 397 و ج 4 ص 27 عن مصادر كثيرة جدا.

3- بحار الأنوار ج 3 ص 283 و التوحيد للصدوق ص 174 و الإحتجاج ج 1 ص 496 و الكافي ج 1 ص 90 و شرح أصول لكافي ج 3 ص 130 و 131 و عوالي اللآلي ج 1 ص 292 و الفصول المهمة ج 1 ص 168 و البحار ج 3 ص 283 و عن ج 108 ص 45 و نور البراهين ج 1 ص 430.

وقد بلغ التزامه بحرفية أوامره «صلى الله عليه وآله»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له في خير: «أذهب ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك».

فمشى هنيهة، ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: علام أقاتل الناس؟

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله (2).

ص: 98

-
- 1- راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج 3 ص 291 و الغدير ج 6 ص 212 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 590 و ج 3 ص 716 و الفايق في غريب الحديث ج 1 ص 400 و ج 2 ص 11.
 - 2- راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج 2 ص 93 و الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج 15 ص 380 و إسناده صحيح، و مسند أحمد ج 2 ص 384-385 و صحيح مسلم ج 7 ص 121 و سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 179 و خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 58 و 59 و 57 و ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج 1 ص 159 و الغدير ج 10 ص 202 و ج 4 ص 278 و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 1 ص 200 و مسند الطيالسي ص 320 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 110 و شرح أصول الكافي ج 6 ص 136 و ج 12 ص 494 و مناقب أمير المؤمنين ج 2 ص 503 و الأُمالي للطوسي ص 381 و العمدة ص 143 و 144 و 149 و الطرائف ص 59 و البحار ج 21 ص 27 و ج 39 ص 10 و 12 و النص و الإجتهد ص 111 و عن فتح الباري ج 7 ص 366 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 111 و رياض الصالحين ص 108 و كنز العمال ج 1 ص 86 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 82 و 83 و 84 و 85 و البداية و النهاية ج 4 ص 211 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 352 و جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج 1 ص 178 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 125 و ينابيع المودة ج 1 ص 154.

وقال ابن عباس لعمر، عن علي «عليه السلام» : إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غيّر ولا بدل، ولا أسخط رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيام صحبته له (1).

ثانيا: إن أعداء علي «عليه السلام» والمتربصين به السوء، والباحثين عن أي مغمز فيه كثيرون، لا يحدّهم حد، ولا يقعون تحت عد، ومنهم من حاربه بكل ما قدر عليه، فلو أنهم وجدوا في قضية الحديبية ما يوجب أدنى طعن، أو يبرر أي تحامل عليه لما تركوه. بل كانوا ملأوا الدنيا تشنعا عليه، وتقبيحا لما صدر منه. مع أننا لا نجد أحدا تفوه ببنت شفة في هذا المجال..

ثالثا: إن النصوص مختلفة في نسبة هذا الأمر إليه «عليه السلام»، بل في بعضها تصريح بما يكذب هذه النسبة من أساسها..

فقد أظهرت النصوص: أن اعتراض سهيل بن عمرو قد أثار حفيظة المسلمين، حتى أمسك بعضهم يد علي «عليه السلام»، ومنعه من الكتابة.

وفي بعضها ما يفيد: أن سهيلا قد وجه طلبه بمحو تلك الكلمات إلى علي نفسه، فرفض علي «عليه السلام» طلب سهيل، لا طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ص: 99

1- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 12 ص 51 ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج 5 ص 229 و ج 13 ص 454 و حياة الصحابة ج 3 ص 249 عنه وعن الزبير بن بكار في الموفقيات، وقاموس الرجال ج 6 ص 25 و الدر المنثور ج 4 ص 309.

فما كان من النبي «صلى الله عليه وآله» إلا أن بادر و طلب من علي «عليه السلام» أن يضع يده على الكلمة، حسماً للنزاع بين علي «عليه السلام» و سهيل، و إعزازاً منه «صلى الله عليه وآله» لعلي. حيث لم يشأ أن يكسر كلمته أمام عدوه (1).

وقد صرح علي «عليه السلام»: بأن المشركين هم الذين راجعوه في هذا الأمر (2).

بل في بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» هو الذي محاها، وقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: لولا طاعتك لما محتوها (3).

و الصورة التي يمكن استخلاصها من النصوص هي:

أن النزاع قد اشتد بين علي «عليه السلام» و سهيل بن عمرو، و أن علياً «عليه السلام»: قد محاسبم الله الرحمن الرحيم، و كتب باسمك اللهم. طاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» و قال له: لولا طاعتك لما محتوها.

ثم اشتدت المنازعة بين الصحابة و بين سهيل، و أخذوا بيد علي «عليه السلام». و رفض علي «عليه السلام» ما طلبه منه سهيل أيضاً، و ما جادله

ص: 100

1- راجع: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص 149 و إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج 8 ص 419 و الأمالي للطوسي ص 190 و 191 و البحار ج 33 ص 316 و راجع ج 20 ص 357 و الخرايج و الجرايح ج 1 ص 116 و صفين للمنقري ص 509.

2- صفين للمنقري ص 508.

3- راجع: كشف الغمة للأربلي ج 1 ص 310 و الإرشاد ج 1 ص 120 و عن إعلام الوري ص 97 و البحار ج 20 ص 359 و 363 و 357.

فيه، حتى تدخّل النبي «صلى الله عليه وآله»، مؤثرا الحفاظ على قوة موقف علي «عليه السلام»، فطلب منه أن يضع يده على الكلمة فوضعها، فمحاها «صلى الله عليه وآله» بيده.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» طلب محوها من علي «عليه السلام» لما تأخر في إطاعة أمره، ولم يكن «عليه السلام» ليطيع أمرا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أولا، ثم يقول له: «لو لا طاعتك لما محوتها»، ثم يعصيه بعد لحظة. فإن الطاعة إذا كانت تدعوه لمحو الأولى، فلا بد أن تدعوه لمحو الثانية. . خصوصا إذا كان ذلك في مجلس واحد.

و من الواضح: أن محو كلمة «رسول الله» ليس فيه إنكار لرسوليته «صلى الله عليه وآله»، كما أن محو كلمة بسم الله الرحمن الرحيم لا يلزم منه إنكار رحمانية الله، ورحيميته تبارك تعالى.

بل لا يتعدى الأمر حدود تسجيل ذلك على ورقة بينه وبين عدوه، أو عدم تسجيله عليها. .

فلا معنى للتحرج من محو كلمة «رسول الله» وعدم التحرج من محو كلمتي الرحمن الرحيم.

رابعا: إن من المعلوم: أن الأمر بشيء إذا جاء بعد الإلزام به، يفيد مجرد رفع الإلزام، والأمر ههنا من هذا القبيل، فقد كان إملاء النبي «صلى الله عليه وآله» ملزما لعلي «عليه السلام» ولغيره بحفظ ما أمر بكتابته وعدم محوه حتى لو طلب ذلك منه، من هو مثل سهيل بن عمرو. .

ولكن بعد أن احتدم الجدل بين علي «عليه السلام» والمسلمين من جهة، وبين سهيل بن عمرو من جهة أخرى، بادر النبي «صلى الله عليه وآله» عليه

وآله» إلى رفع الحظر، وإزالة الإلزام بالأمر، وصار بالإمكان التخلي عن ذلك النص، وبالإمكان إبقاؤه، وأصبح الأمر موكولا إلى الكاتب نفسه. ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بادر إلى رفع الحرج بأن وضع يده الشريفة على الكلمة ومحاسنها إعزازا لعل «عليه السلام» وتعلية لشأنه كما قلنا.

استنطاق النصوص:

وقد قلنا: إن النصوص لم تأت على نسق واحد:

1- فبعضها سكت عن التصريح بهذا الأمر، وذكر أنه «عليه السلام» قد كتب ما طلبه منه رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقد روى ابن حبان وغيره: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال بعد اعتراض سهيل: «اكتب محمد بن عبد الله، وسهيل بن عمرو، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» .

وقريب من ذلك أيضا: روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» (1).

والنصوص التي ذكرت القضية، وذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر عليا «عليه السلام» بكتابة اسمه مجردا، ولم تشر إلى أي تمتع من علي «عليه السلام» رواها كثير من المؤرخين، مثل اليعقوبي، وابن كثير

ص: 102

1- الثقات ج 1 ص 300 و 301 وراجع: الكافي ج 8 ص 269 عن الإمام الصادق مع بعض إضافات وتغييرات لا تضر. والبحار ج 20 ص 368 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 68 و تفسير البرهان ج 4 ص 194 و الإكتفاء للكلاعي ج 2 ص 240 و تاريخ ابن الوردي ج 1 ص 166 و حياة محمد لهيكل ص 374 و إكمال الدين ص 50.

وغيرهما، والرواة، مثل: الزهري، وابن عباس، وأنس بن مالك، وحتى مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة، وهو المروي أيضا عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه (1).

ص: 103

1- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 54 وراجع: البداية والنهاية ج 7 ص 277 و 281 وروح المعاني ج 9 ص 50 والكشاف ج 3 ص 542 و حول النص المنقول عن الزهري راجع: تاريخ الأمم والملوك ج 5 ص 634 و البداية والنهاية ج 4 ص 168 و أنساب الأشراف ج 1 ص 349 و 350 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 331 و 332 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 320 و 321 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 153 و تلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) و مسند أحمد ج 1 ص 86. و حول النص المنقول عن ابن عباس راجع: الرياض النضرة المجلد الثاني ص 227 و إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 522 و مسند أحمد ج 1 ص 342 و خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص 148 و 149 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 200 عن أحمد، وأبي داود، و مستدرك الحاكم ج 3 ص 151 و تلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) و صحاحه على شرط مسلم، و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 192. و روايتا أنس و مروان و المسور توجدان معا أو إحداهما، أو بدون تسمية، في المصادر التالية: صحيح البخاري ج 2 ص 79 و 78 و المصنف للصنعاني ج 5 ص 337 و مسند أحمد ج 3 ص 268 و ج 4 ص 330 و 325 و جامع البيان ج 25 ص 63 و الدر المنثور ج 6 ص 77 عنهم و عن عبد بن حميد، و النسائي، و أبي داود، و ابن المنذر، و صحيح مسلم ج 5 ص 175 و المواهب اللدنية ج 1 ص 128 و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص 370 و 371 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 198 و 200 و البداية والنهاية ج 4 ص 175 و مختصر تفسير ابن كثير ص 351 و 352 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 333 و السنن الكبرى ج 9 ص 220 و 227 و تاريخ الخميس ج 1 ص 21 عن المدارك، و تفسير الخازن ج 4 ص 156 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 105 و 146 و 147 و الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ج 11 ص 222 و 223 و الجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 277 و بهجة المحافل ج 1 ص 316. و زاد المعاد ج 2 ص 125 و مسند أبي عوانة ص 241. و حول ما روي عن علي «عليه السلام» و غيره راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 232 و قريب منه ما في ينابيع المودة ص 159 و مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 86 و 87 و مجمع الزوائد ج 6 ص 145 و قال: رواه أحمد و رجاله الصحيح. و مختصر تفسير ابن كثير ص 347 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 192 و تفسير المراغي ج 9 ص 107 و الدر المنثور ج 6 ص 78 عن أحمد، و النسائي، و الحاكم و صححه، و ابن جرير، و أبي نعيم في الدلائل، و ابن مردويه.

2-هناك نصوص صرحت: بأن بعض المسلمين قد أمسكوا بيد علي «عليه السلام» ، و منعوه من الكتابة.

ولهذا قوى بعضهم: احتمال أن يكون قوله «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة.

يريد به: لا تنطلق بسبب إمساكهم.

فبعد أن ذكر النص اعتراضات سهيل أولا.

و ثانيا قال: «فضج المسلمون منها ضجة هي أشد من الأولى، حتى ارتفعت الأصوات، وقام من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله» .

ص: 104

فغن واقد بن عمرو قال: «حدثني من نظر إلى أسيد بن حضير، وسعد بن عباد، أخذوا بيد الكاتب فأمسكاهما، وقالوا: لا نكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي الدنية في ديننا؟!»

فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم، ويومئ بيده إليهم: اسكتوا. وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون، ويقبل على مكرز بن حفص، ويقول: ما رأيت قوما أحوط لدينهم من هؤلاء القوم الخ. (1).

الحدث مستعار بكامل تفاصيله:

وبعد، فهل يمكننا أن نقول: إن هذا الحدث قد استعير بكامل تفاصيله من قضية أخرى.

نعم. لقد استعاروها بهدف إثارة الشبهات والتساؤلات حول أقدم شخصية بعد الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!

و الحدث الذي نعنيه هو:

أن تميم بن جراشة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد ثقيف، فأسلموا، وسألوه أن يكتب لهم كتابا فيه شروط، فقال: اكتبوا ما بدا لكم، ثم إيتوني به.

فأتوا عليا «عليه السلام» ليكتب لهم.

قال تميم: «فسألناه في كتابه: أن يحل لنا الربا والزنى. فأبى علي رضي

ص: 105

1- المغازي للواقدي ج 2 ص 610 و 611 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 54 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 296 وغاية البيان في تفسير القرآن ج 6 ص 58 و 59 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 43 و السيرة الحلبية ج 3 ص

اللّٰه عنه أن يكتب لنا.

فسألناه خالد بن سعيد بن العاص.

فقال له علي: تدري ما تكتب؟!

قال: أكتب ما قالوا، ورسول اللّٰه أولى بأمره.

فذهبنا بالكتاب إلى رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله»، فقال للقارئ: اقرأ. فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب. فوضع يده، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ الآية (1). ثم محاه.

وألقيت علينا السكينة، فما راجعناه.

فلما بلغ الزنى وضع يده عليها، وقال: وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا الآية (2)، ثم محاه. وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا (3).

من أسباب التزوير:

وأما دوافع إثارة بعض الشبهات حول طاعة أمير المؤمنين «عليه السلام» لرسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله»، فيمكن أن يكون منها ما يلي:

1- إن النصوص التي ذكرت هذه القضية قد صرحت: بأن النبي «صلى اللّٰه عليه وآله» حين أمر عليا «عليه السلام» بمحو ما كتب، قال له: أما إن لك مثلها، وستأتيها وأنت مضطر.

ص: 106

1- الآية 278 من سورة البقرة.

2- الآية 32 من سورة الإسراء.

3- أسد الغابة ج 1 ص 216 وقال: أخرجه أبو موسى و مكاتيب الرسول ج 3 ص 72.

أوقال له: اكتب، فإن لك مثلها، تعطيتها، وأنت مضطهد مقهور. فكتب ما قالوا (1).

فلأجل الحفاظ على ماء وجه معاوية، وحزبه الذين أصروا على محو كلمة «أمير المؤمنين» من وثيقة التحكيم، وظهر بذلك مصداق ما أخبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان لا بد من إثارة أجواء من الريب

ص: 107

1- راجع: الكامل في التاريخ ج 2 ص 220 و المعيار و الموازنة ص 200 و خصائص أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للنسائي ص 149 و 150 و إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 419. و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 43 و السيرة الحلبية ج 3 ص 20 و مجمع البيان ج 9 ص 118 و 119 و مناقب آل أبي طالب ج 3 ص 214 و البحار ج 20 ص 335 و 352 و 357 و 359 و 363 و 333 و ج 33 ص 314 و 316 و 317 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 54 و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص 390 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 147 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 179 و 180 و تاريخ الخميس ج 2 ص 21 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 204 و حبيب السير ج 1 ص 372 و تفسير القمي ج 2 ص 313 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 116 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 190 و ج 2 ص 588 و 232 و المغني لعبد الجبار ج 16 ص 422 و ينابيع المودة للقندوزي ص 159 و صبح الأعشى ج 14 ص 92 و الآمالي للطوسي ج 1 ص 190 و 191 و صفين للمنقري ص 508 و 509 و كشف الغمة للأربلي ج 1 ص 210 و الإرشاد للمفيد ج 1 ص 120 و إعلام الوری ص 97 و البرهان ج 4 ص 193 و نور الثقلين ج 5 ص 52 و الفتوح لابن أعثم ج 4 ص 8 و البداية و النهاية ج 7 ص 277 و الأخبار الطوال ص 194 عن تاريخ الطبري ج 5 ص 52 و عن فتح الباري ج 5 ص 286.

و الشك في علي نفسه، من أجل أن يخف وقع وأثر هذا الأمر على الناس.

2-إن نفس الطعن بقداسة علي «عليه السلام» ، وفي عصمته، و الحط من مقامه، و النيل منه، و ابتذال شخصيته، و نسبة الرذائل و المعاصي إليه، و تصغير شأنه، حتى يصبح كسائر الناس العاديين، أمر مطلوب، و محبوب لأعدائه، و مناوئيه. و بذلك تضعف حجة الطاعنين في مناوئيه، و يخرج أتباعهم من الإحراجات القوية التي تواجههم.

3-تكريس أبي بكر على أنه الرجل المميز بين جميع الصحابة، الذي كان يرى في الحديبية رأي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، و يدعو الناس للقبول منه، و التسليم له. .

قال دحلان: « . . و لم يكن أحد في القوم راضيا بجميع ما يرضى به النبي «صلى الله عليه وآله» ، غير أبي بكر الصديق (رض) ، و بهذا يتبين علو مقامه. و يمكن أن الله كشف لقلبه، و أطلعه على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح، كما أطلع على ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» ، فإنه حقيق بذلك (رض) ، كيف و قد قال النبي «صلى الله عليه وآله» : و الله، ما صب الله في قلبي شيئا إلا و صببته في قلب أبي بكر» (1).

4-إن هذه المزاعم بجعل علي و عمر في سياق واحد، من حيث إن هذا يشك في دينه في الحديبية، و ذاك يعصي أوامر الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» .

من شأنها أن توجد حالة من التوازن، ثم ترجع كفة الفريق الآخر من حيث

ص: 108

جعل أبي بكر فوق الجميع، بل هو في مستوى رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

لك مثلها يا علي:

وقد قلنا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي في الحديبية: لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد، أو مضطر .

و ظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله» في حرب صفين، وذلك حينما أخذوا بكتابة كتاب المودعة، فابتدأوا فيه بعبارة:

هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين و معاوية بن أبي سفيان .

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت: أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.

وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه، واسم أبيه، إنما هو أميركم، فأما أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه. فقال الأحنف: لا تمنح اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإني أتخوف، إن محتوها أن لا ترجع إليك أبدا، فلا تمحها.

فقال «عليه السلام» : إن هذا اليوم كيوم الحديبية، حين كتب الكتاب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» : هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» و سهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك و لم أخالفك، إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله، وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبد الله .

فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» : يا علي، إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، و لن يمحو عني الرسالة كتابي لهم: من محمد بن عبد الله،

فاكتبها، فامح ما أرادوا محوه، أما إن لك مثلها، ستعطيها و أنت مضطهد (1).

ضع يدي عليها:

وقد ذكرت المصادر المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ضع يدي عليها (أي على كلمة رسول الله)، فوضعها عليها، فمحاها «صلى الله عليه وآله» بيده (2).

فقد يظن ظان: أن هذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعرف القراءة. .

و يؤيد ذلك أيضا: الرواية المتقدمة عن الكتاب الذي كتبه لتميم بن جراشة و وفد ثقيف. .

و نقول:

أولا: إن قوله «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها، لا يدل على أنه لا يعرف القراءة، إذ قد يكون مجلسه «صلى الله عليه وآله» بعيدا عن مجلس علي «عليه السلام»، فيقول له من بعيد: ضع يدي على الكلمة الفلانية، لأنه «عليه السلام» هو المتمكن من قراءتها دونه «صلى الله عليه وآله» . .

ص: 110

-
- 1- البحار ج 32 ص 541 و 542 و صفين للمنقري ص 503 و 504 و المسترشد ص 391 و شرح النهج للمعتزلي ج 2 ص 232 و الدرجات الرفيعة ص 117 و ينابيع المودة ج 2 ص 18 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 628 و مصادر ذلك كثيرة.
 - 2- تقدمت المصادر الكثيرة لذلك، و منها على سبيل المثال: كشف الغمة للأربلي ج 1 ص 210 و الإرشاد للمفيد ج 1 ص 120 و إعلام الوری ص 97 و البحار ج 20 ص 329 و 363 و 357 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 87.

ولو قيل: لماذا لا يستعمل النبي «صلى الله عليه وآله» قدرته الغيبية والإعجازية في هذا المورد؟!

فالجواب: أن الإعجاز، وإعمال القدرات الغيبية تابع لمصالح يعرفها النبي «صلى الله عليه وآله» دوننا، فلا بد من التسليم له، وإيكال الأمر إليه. .

ثانيا: قد روى البخاري ما جرى في الحديدية، فقال: «فأخذ رسول الله الكتاب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله الخ.». (1).

ص: 111

1- صحيح البخاري (ط سنة 1309 هـ) ج 2 ص 73 والكافي ج 8 ص 326 والغارات ج 2 ص 755 والمستترشد ص 391 و 396 و شرح الأخبار ج 2 ص 50 و 135 وأوائل المقالات ص 224 والإرشاد ج 1 ص 120 والأمالى للطوسي ص 187 والعمدة ص 201 و 325 والبحار ج 20 ص 333 و 362 و ج 33 ص 315 و ج 38 ص 328 ومكاتب الرسول ج 1 ص 85 و ج 3 ص 82 ومسند أحمد ج 4 ص 298 و سنن الدارمي ج 2 ص 237 وعن صحيح البخاري ج 5 ص 174 وعن سنن أبي داود ج 1 ص 629 و مجمع الزوائد ج 6 ص 240 والمصنف لعبد الرزاق ج 10 ص 159 وعن المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 507 و 515 و السنن الكبرى للنسائي ج 5 ص 168 وصحيح ابن حبان ج 11 ص 212 وعن المعجم الكبير ج 10 ص 258 و ج 20 ص 13 و كنز العمال ج 10 ص 474 و 494 وإرواء الغليل ج 1 ص 57 وتفسير مجمع البيان ج 9 ص 197 ونور الثقلين ج 5 ص 68 و جامع البيان ج 26 ص 129 وتفسير القرآن العظيم ج 4 ص 213 و 217 و الدر المنثور ج 2 ص 157 و ج 6 ص 77 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 627 وإعلام الوري ج 1 ص 204 و 372 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 333 و 442 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 53 و 77 و تاريخ مدينة دمشق ج 57 ص 228 و البداية والنهاية ج 4 ص 200 و العبر و ديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 34.

وفي نص آخر: «فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب-وليس يحسن أن يكتب-فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله: أن لا يدخل الخ.». (1).

فقد دلت هاتان الروايتان على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو نفسه الذي كتب ما أراده.

ودلت الرواية الثانية على: أن ذلك قد كان منه «صلى الله عليه وآله» على سبيل الإعجاز، ويمكن تأييد هاتين الروايتين بما روي عن علي «عليه السلام»: أنه قال للخوارج، وهو يذكر لهم ما جرى في الحديبية: «قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك و اسم أبيك.

فقال: اللهم إنك تعلم أنني رسولك. .

ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده، ثم قال: يا علي، اكتب هذا ما صالح عليه الخ.». (2).

ثالثاً: قد تقدم: أن هناك ما يدل على: أن حديث امتناع علي «عليه

ص: 112

1- صحيح البخاري ج 3 ص 73 و مسند أحمد ج 4 ص 298 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 204 و خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص 150 و 151 و الأموال ص 233 و سنن الدارمي ج 2 ص 238 و السنن الكبرى ج 8 ص 5 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 173.

2- الرياض النضرة ج 2 ص 277 و إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 522 و راجع: مسند أحمد ج 1 ص 342 و خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص 148 و 149 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 179 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 215 و تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 464 و المناقب ص 262 و غير ذلك.

السلام» عن محو الكلمة إنما كان في مقابل سهيل، ولكنه لما قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: اكتب.. بادر إلى الكتابة، ولم يعص أمره «صلى الله عليه وآله»..

وهذا معناه: أن قوله «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها يصبح موضع شك من الأساس.. خصوصاً مع اختلاف نصوص هذه القضية إلى درجة تمنع الباحث من الاعتماد عليها.

رابعاً: إن هناك شواهد وأدلة كثيرة على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القراءة والكتابة.. فلا حظ ما سنذكره فيما يلي:

النبي صلى الله عليه وآله يقرأ و يكتب:

قال الشيخ الطوسي: «.. والنبي «عليه السلام» -عندنا- كان يحسن الكتابة بعد النبوة، وإنما لم يحسنها قبل البعثة» (1).

وقال السيد جواد العاملي: «والنبي معصوم مؤيد بالوحي. وكان عالماً بالكتابة بعد البعثة، كما صرح به الشيخ، وأبو عبد الله الحلي، واليوسفى، والمصنف في التحرير. وقد نقل أبو العباس، والشهيد في النكت، عن الشيخ، وسبطه أبي عبد الله الحلي الساكتين عليه..» (2).

فالشيخ الطوسي، قد أوضح لنا: أن القول بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ و يكتب هو قول أصحابنا من الشيعة.. كما أن العاملي قد بين أن

ص: 113

1- المبسوط ج 8 ص 120 و تفسير التبيان ج 8 ص 216 وأوائل المقالات ص 225 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 93.

2- مفتاح الكرامة ج 10 ص 10.

عدد من علمائنا الكبار قد صرح بهذا الأمر، وسكت عنه آخرون.

ونقول:

إن ما نستفيده من الروايات والشواهد الكثيرة: أن النبي نبي منذ ولد، وأنه كان قادراً على القراءة والكتابة قبل بعثته كرسول، وبعدها.

وستأتي الروايات الدالة على الأمر الثاني، أما الروايات الدالة على نبوته قبل بعثته فيمكن مراجعتها في كتب الحديث عند السنة والشيعة.

ولكن السياسة الإلهية، القاضية بتيسير الهداية للناس قد قضت بأن لا يمارس ذلك بصورة فعلية قبل البعثة، وبيان ذلك:

أولاً: إذا تحقق للناس: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يتعلم القراءة والكتابة قبل البعثة عند أحد، ثم رأوا: أنه بعد البعثة قادر على ذلك كأفضل ما يكون. فسوف يدركون: أن ذلك حصل له بالإقدار الإلهي، وبذلك تقوم الحجة عليهم، ولا يبقى عذر لمعتذر.

وهكذا يقال: بالنسبة لمعرفته بعلوم الأولين والآخرين، وسواها مما يعجز البشر عن نيله، مع أنه لم يقرأ في كتاب، ولم يدرس عند أحد.

والخلاصة: أن ظهور قدرته لهم على القراءة والكتابة، ومعرفته بجميع هذه العلوم من دلائل نبوته، وهو للبشرية جمعاء.

ولا ضرورة بعد ذلك إلى أن يبقى -كما يزعمون- عاجزاً عن القراءة والكتابة، مع معرفة الآخرين بها، فإن ذلك قد يشير لديهم إلى إحساس بأن ثمة نقصاً وغياباً في شخصيته، وقد ثبت بالبراهين العقلية والنقلية أنه منزّه عن كل عيب ونقص. .

ثانياً: إن القراءة والكتابة لا تقصد لذاتها، وإنما هي من العلوم الآلية

التي تقصد إلى غيرها. و نيل المعارف عن طريقها. .

فإذا كانت المعارف و العلوم حاضرة لدى الرسول «صلى الله عليه و آله» و يراها رأي العين. و هو يخبرهم بها، و يرون صدقه بصدقها، فإن البحث عن وسيلة أخرى عاجزة إلا عن إحضار خيالها، و صورتها لديه لا أكثر (1). يصبح سفها غير مقبول. . و يكون بذلك كالذي يجد حبيبه إلى جنبه، ثم يطلب النوم لعله يرى خياله في عالم الرؤيا.

و من المعلوم: أنه ليس كل عدم نقصا، و ليس كل وجدان كمالا. .

فإن معرفتنا نحن بالأ-مور و العلم بها كمال بالنسبة لنا، فإذا توقف ذلك على امتلاك آلات و أدوات، فإن حصولنا على العلوم الآلية و الأدوات الموصلة لها كمال لنا أيضا، و فقدانها نقص، لأنه يوجب حرماننا من كثير من المعارف التي نعجز عن الوصول إليها بدونها.

أما إذا كانت المعارف حاضرة بنفسها لدى العالم، و لا يحتاج إلى تلك الآلات الموصلة، كان ذلك عين الكمال. . و لا يكون فقدانها للآلات الموصلة نقصا له، بل يكون حضورها لديه بلا فائدة و لا عائدة هو السفه و النقص.

فمن يستطيع الوصول إلى أي مكان في العالم بمجرد إرادته، فإن ركوبه للدابة، و السعي إلى ذلك المكان، و تحمل المتاعب، و صرف الساعات

ص: 115

1- إشارة إلى الوجود اللفظي و الكتبي الذي يلزم منه حضور صورة الشيء في الذهن، لا حضور نفس الشيء لدى العالم. و إشارة إلى ذلك: حالة التخيل لأمر يسمع بها، و لم يكن قد رآها. فهي حاضرة حضورا تخيليا لا يصل إلى درجة حضور صورة الشيء في الذهن، فضلا عن حضور نفس الشيء لدى العالم.

و الأيام، أو الأشهر في الطريق، يعد سفها.

و لا يعد عدم اقتنائه للدابة أو السيارة عيباً و لا نقصاً، ما دام أنه لا لأجل عجزه عن الاقتناء، بل لغناه عنها مع توفر القدرة عليها في كل حين.

و هذا هو حال الأنبياء و الأوصياء «عليهم السلام» في ما يرتبط بعلومهم، فهم يعلمون بالأمور من خلال حضورها عندهم، و رؤيتهم لها بما أعطاهم الله إياه من تفضلات و مزايا، فلا يحتاجون إلى قراءة النقوش المكتوبة ليتمكنهم الحصول على صورة ذهنية لها، و هذا هو عين الكمال لهم، و سواء هو النقص.

ثالثاً: إن هناك أدلة من كلام المعصومين «عليهم السلام»، و شواهد أخرى، تدل على أن النبي «صلى الله عليه و آله» كان يعرف القراءة و الكتابة، فلا حظ ما يلي:

ألف: إننا نذكر من الشواهد الدالة على أنه «صلى الله عليه و آله» كان يقرأ ما يلي:

1- ما رواه الشعبي من أنه «صلى الله عليه و آله» قد قرأ صحيفة لعينة بن حصن، و أخبر بمعناها (1).

2- عن أنس قال: قال «صلى الله عليه و آله»: رأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، و القرض بشمانية عشر (2). فإن

ص: 116

-
- 1- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 98 عن تفسير النقاش و الجامع لأحكام القرآن ج 13 ص 352.
 - 2- سنن ابن ماجه ج 2 ص 812 و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 97 عنه، و مستدرک الوسائل ج 13 ص 395 و مسند أبي داود الطيالسي ص 155 و المعجم الأوسط ج 7 ص 16 و مسند الشاميين ج 2 ص 419 و الجامع الصغير ج 2 ص 5 و كنز العمال ج 6 ص 210 و تذكرة الموضوعات ص 66 و كشف الخفاء ج 2 ص 96 و الجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 240 و الدر المنثور ج 4 ص 153 و تفسير الثعالبي ج 1 ص 527 و كتاب المجروحين ج 1 ص 284 و الكامل ج 2 ص 337 و ج 3 ص 11 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 110 و سبل الهدى و الرشاد ج 9 ص 283.

المتبادر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرأ هذا المكتوب بنفسه، لا أنه قد علم بمضمونه من غيره.

ب: و من الشواهد الدالة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ و يكتب نذكر:

1- ما رواه الصدوق «رحمه الله» بسنده عن جعفر بن محمد الصوفي، عن أبي جعفر الجواد «عليه السلام» وفيه: «فقلت: يا ابن رسول الله، لم سمي النبي الأمي؟!

فقال: ما يقول الناس؟

قلت: يزعمون: أنه إنما سمي الأمي؛ لأنه لم يحسن أن يكتب.

فقال «عليه السلام»: كذبوا عليهم لعنة الله، أتى ذلك، والله يقول في محكم كتابه: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (1).

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟ . والله، لقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ و يكتب باثنين و سبعين لسانا، أو قال: بثلاثة و سبعين لسانا،

ص: 117

1- الآية 3 من سورة الجمعة.

وإنما سمي الأمي، لأنه كان من أهل مكة. ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا «(1)».

2-عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب، ويقرأ ما لم يكتب (2).

وأما الحديث الذي يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ما يكتب، فهو لا يريد نفي الكتابة عنه «صلى الله عليه وآله»، بل كلمة «ما» مفعول به ليقرأ. أي أنه يقرأ الذي يكتب.

وأما ما ورد في كثير من المصادر عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب.

فالمراد به: أنه كان يمارس القراءة، ولا يمارس الكتابة، وإن كان قادراً عليها.

قال المجلسي: كان يقدر على الكتابة، ولكن كان لا يكتب لضرب من المصلحة.

3-روى الصدوق بسنده عن علي بن أسباط وغيره، رفعه عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قلت: إن الناس يزعمون: أن رسول الله «صلى

ص: 118

1- علل الشرايع ص 124 و البحار ج 16 ص 132 و بصائر الدرجات ص 245 و البرهان (تفسير) ج 4 ص 332 و نور الثقلين ج 2 ص 78 و ج 5 ص 322 و معاني الأخبار ص 54 و الإختصاص ص 263 و الفصول المهمة ج 1 ص 412 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 199.

2- البحار ج 16 ص 133 و 134 و بصائر الدرجات ص 247 و البرهان ج 4 ص 333 و نور الثقلين ج 5 ص 322 و الفصول المهمة ج 1 ص 413.

اللّٰه عليه وآله» لم يكتب ولا يقرأ.

فقال: كذبوا لعنهم الله أتى يكون ذلك، وقد قال الله عز وجل: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (1).

فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟!

قال: فلم سمي النبي الأمي؟

قال: لأنه نسب إلى مكة، وهو قول الله عز وجل: لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا، فأما القرى مكة، فقيل أمي لذلك (2).

4- وعن الشعبي أنه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى كتب (3).

وقال المجلسي: قال الشعبي وجماعة من أهل العلم: ما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كتب وقرأ. وقد اشتهر في الصحاح وكتب التواريخ قوله «صلى الله عليه وآله»: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتابا لن

ص: 119

1- الآية 2 من سورة الجمعة.

2- البحار ج 16 ص 133 وعلل الشرايع ص 125 و تفسير البرهان ج 2 ص 332 و 40 و نور الثقلين ج 5 ص 323 و ج 4 ص 558 و بصائر الدرجات ص 246 و تفسير العياشي ج 2 ص 78.

3- الجامع لأحكام القرآن ج 13 ص 352 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 173 و البحار ج 16 ص 135 و سير أعلام النبلاء ج 14 ص 190 و ج 22 ص 468 و عن الإرشاد ج 1 ص 184 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 199 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 42 و عن فتح الباري ج 7 ص 386 و فيض القدير ج 4 ص 336 و تاريخ مدينة دمشق ج 34 ص 103.

تضلوا بعده أبدا (1).

ونقول:

إن استدلاله «رحمه الله» بالفقرة الأخيرة غير خال عن النظر و المناقشة، فإن قوله: أكتب لكم يتلاءم مع أمره لبعض من حضر بذلك. . و مع توليه الكتابة بنفسه أيضا. .

5- ونقل السيوطي عن أبي الشيخ، من طريق مجالد، قال: حدثني عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه و آله» حتى قرأ و كتب. فذكرت هذا الحديث للشعبي.

فقال: صدق. سمعت أصحابنا يقولون ذلك (2).

6- عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «كان علي «عليه السلام» كثيرا ما يقول: اجتمع التيمي و العدوي عند رسول الله «صلى الله عليه و آله»، و هو يقرأ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بَخْشَعٍ وَ بَكَاءٍ، فيقولان:

ما أشد رقتك لهذه السورة.

فيقول رسول الله «صلى الله عليه و آله»: لما رأيت عيني، و وعى قلبي، و لما يرى قلب هذا من بعدي.

فيقولان: و ما الذي رأيت، و ما الذي يرى؟! !

ص: 120

1- البحار ج 16 ص 135 و ج 22 ص 468 و عن الإرشاد ج 1 ص 184 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 199 و مستدرک الوسائل ج 3 ص 477 و شرح النهج للمعتزلي ج 10 ص 219 و ج 12 ص 87 و إعلام الوری ج 1 ص 265.

2- الدر المنثور ج 3 ص 131.

قال: فيكتب لهما في التراب: تنزل الملائكة والروح الخ. . (1).

فإن ظاهر هذه الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مارس الكتابة فعلاً. .

وقد ظهر مما تقدم: أنه لا مجال للقول: بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يقرأ ويكتب. وأن الصحيح هو خلاف ذلك، سواء قبل بعثته «صلى الله عليه وآله» أم بعدها.

ولكن ذلك قد كان بصورة إعجازية، على النحو الذي أوضحناه فيما تقدم.

ص: 121

1- الكافي ج 1 ص 249 ونور الثقلين (تفسير) ج 5 ص 323 و 633 ومدينة المعاجز ج 2 ص 448 والبحار ج 25 ص 71.

و المراقب لسير الأحداث في كتابة وثيقة الصلح يلاحظ:

1- أن النبي «صلى الله عليه وآله» في كتابته القضايا كان ضمن خطة أراد لها أن تنتهي إلى نتائج محددة، فهو يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. . مع أنه يتوقع الاعتراض عليها من قبل سهيل بن عمرو. . وقد حدث ذلك فعلا. .

ثم كان طبيعيا. . أن تثور ثائرة المسلمين. الذين لا يرضون بكسر كلمة نبيهم، ولا سيما في أمر لا ينبغي أن يعارضه المشركون فيه. . فإن كلمة «باسمك اللهم» لا تتعارض مع ما كتبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أن ما كتبه الرسول «صلى الله عليه وآله» ليس أمرا غريبا عن ذهنية الناس بالنسبة لما يصح نسبته إلى الله من صفات.

و كان قبول النبي «صلى الله عليه وآله» بما طلبه منه سهيل بن عمرو له دالتان:

إحدهما: أنها جسدت هذه المرونة التي لديه «صلى الله عليه وآله»، حيث ظهر: أنه «صلى الله عليه وآله» على استعداد للقبول بكل ما فيه تعظيم للبيت، و حقن للدماء. إذا لم يكن فيه تقريط بحقائق الدين.

و الثانية: أن يقبل أصحابه بهذا التراجع الذي يهيئهم لمواجهة ما هو

أشد عليهم وأقصى، كما سنرى. .

2- ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يكتب في الفقرة الثانية كلمة «رسول الله» مع أنه كان بإمكانه الاكتفاء بكلمة «محمد بن عبد الله»، فلو أنه فعل ذلك، فلن يخطر ببال سهيل بن عمرو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أغفل أمرا هاما، ثم أن يحتمل كون سبب إغفاله هذا هو تنازله عنه، أو أنه أصبح أمرا ثانويا عنده. أو أصبحت له أهداف أخرى، قد تكون هي الأولى عنده. .

3- ثم جاءت المفاجأة الأ-كبر والأ-خطر، والتي حاول البعض-وهو عمر بن الخطاب بالذات-أن يثير من أجلها عاصفة من التحدي لشخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلى حد التفكير بقيادة حركة تمرد ضده «صلى الله عليه وآله»، كما صرح به عمر نفسه، وذلك لأنه اعتبر أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى الدنية في دينه، ورضي بها.

فكان ذلك سببا في ظهور ما كان خافيا على كثيرين فيما يتعلق بطبيعة علاقة عمر بالنبي «صلى الله عليه وآله»، و مناحي توجهاته الفكرية، ونظراته العقائدية للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله». .

لا نعطي الدنية في ديننا:

قلنا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يسوق الناس باتجاه تلمس الرعاية الإلهية لهم، و لطف الله تعالى بهم، وإفهامهم أن كل ما يجري لهم وعليهم إنما هو بعين الله سبحانه. . وقد توالى الدلالات، للمعجزات والكرامات التي كان «صلى الله عليه وآله» يتعمد إظهارها لهم.

ولكنه كان في مقابل ذلك يريد رفع مستوى الوعي لديهم، من خلال

التعامل مع القضايا بواقعية، وبدقة، بالإضافة إلى زيادة درجة التحمل و الصبر حين يواجهون القضايا المصيرية في مفاصلها الدقيقة و الحساسة و الضاغطة على المشاعر و الأحاسيس. .

وقد كان إخباره «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بأنهم سوف يدخلون المسجد الحرام هو أحد مفردات هذه السياسات الرائعة، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» اكتفى ببيان بعض جوانب هذا الأمر، و هو: أن هذا الدخول سوف يحصل و سكت عن جانب آخر، و هو: أن هذا الدخول لن يكون في هذه السنة. و ترك أمر معالجة هذا الجانب المسكوت عنه للناس أنفسهم، ففهمه الأكثرون منهم بطريقة غير سليمة، و انساقوا وراء فهمهم هذا، و ظهرت منهم المواقف المتوافقة مع فهمهم الخاطئ هذا.

لقد فهموا: أنهم سيدخلون مكة في نفس تلك السنة، و ينحرون بدنهم، و يتمون فيها نسكهم. .

و اعتبروا: أن الرجوع من دون ذلك تكذيب للرسول «صلى الله عليه وآله»، و لكن عمر بن الخطاب قال في ذلك فأكثر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما قلت: ندخل مكة، و لم أقل في هذه السنة، حتى يكون الرجوع تكذيباً (1).

ص: 127

1- راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص و السيرة النبوية لدحلان ج ص و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 365 و 367 و البحار ج 29 ص 21 و عن تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 280 و 281 و الكامل ج 2 ص 77 و عن صحيح مسلم ج 5 ص 175 و المغازي للواقدي ج 2 ص 609.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تابع هؤلاء مسيرتهم في هذا الاتجاه، وتجاوز بعضهم حدود الاعتراض إلى حدود الشك في النبوة، حتى لقد نقل المؤرخون، عن عمر، أنه قال: «إني شككت في يوم الحديبية في النبوة. وتكلمت بما أخاف منه، وأتصدق، وأصلي كي تكون كفارة لذلك».

وقال عمر: «لو أن معي أربعين رجلاً لخالفته» (1).

وفي بعض الروايات: لو وجد مائة رجل.

أو قال: لو وجدت أعواناً لخالفتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كتابة الصلح.

وقالوا: «أنكر عليه عامة أصحابه، وأشد ما كان إنكاراً عمر».

وقال عمر في خلافته: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت» (2).

ص: 128

-
- 1- البحار ج 20 ص 350 و تفسير القمي ج 2 ص 312 و نور الثقلين ج 5 ص 52 و التفسير الصافي ج 5 ص 35.
 - 2- نقل ذلك العلامة الأحمدي «رحمه الله» في مكاتيب الرسول ج 3 ص 93 عن: السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 331 و عن كنز العمال ج 10 ص 316 و تأريخ الطبري ج 2 ص 634 و الحلبية ج 3 ص 22 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص 43 و الدر المنثور ج 6 ص 77 و المغازي للواقدي ج 2 ص 608 و 607 و 109 و رسالات نبوية ص 177 و 178 و مسند أحمد ج 4 ص 325 و 330 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 438 و 449 و البخاري ج 3 ص 256 و البحار ج 20 ص 335 و 350 و نيل الأوطار ج 8 ص 35 و 47 و جامع البيان للطبري ج 26 ص 63 و مجمع البيان ج 9 ص 118 و البداية و النهاية ج 4 ص 168 و البرهان ج 4 ص 193 و عبد الرزاق ج 5 ص 339 و زاد المعاد ج 2 ص 125 و حياة الصحابة ج 1 ص 131 و المناقب ج 1 ص 204 و تهذيب تأريخ ابن عساكر ج 7 ص 135 و صحيح مسلم ج 3 ص 1412 و فتح الباري ج 5 ص 255 و السنن الكبرى ج 9 ص 222 و الجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 277 و النص و الإجتهد ص 182 و شرح النهج لابن أبي الحديد ج 12 ص 59 و التاج ج 4 ص 227 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 106 و ج 1 ص 249.

و كثر الضجيج و علت الأصوات، و طال جدالهم وأشاروا إلى السيوف، و كادت الفتنة أن تقع، و كان الرسول «صلى الله عليه و آله» يسكنهم، و يهدئ من روعهم.

و قد حاول بعضهم: أن يعتبر ذلك دليل صلاح لدى هؤلاء، و عنوان إخلاصهم لهذا الدين، و غيرتهم عليه. . و أنهم رأوا في هذا الصلح ما حسبه دنية، و عارا، فلم يطيقوه، و ظهر منهم ما ظهر، و بدر من بعضهم ما بدر.

و نقول:

أولا: إن من يؤمن بنبوّة رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فلا بد أن يصوّبه في جميع ما يقول و يفعل، فيعتبر أنه لا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه، و الله لا يرضى للمؤمن الذل بل يريد قويا و عزيزا، بل هو لا يرى العزة إلا لأهل الإيمان.

قال تعالى: **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**. (1).

و قد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن الله سبحانه و تعالى قد

ص: 129

فوض للمؤمن كل شيء إلا أن يذل نفسه (1).

فهل يمكن أن يقال-بعد كل هذا-: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رضي بالذل لأهل الإيمان وأعطى الدنية في دينه. . وهل يمكن أن يكون قائل هذا النمط من الكلام تام الإيمان، عارفاً بحدوده واقفاً على حقائقه ودقائقه.

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يعطي الدنية، خصوصاً إذا كانت الدنية في الدين. . لأنه إن كان لم يدرك أن ما أعطاه دنية، وأدرك ذلك سائر الصحابة، فقد كان الآخرون أجدر منه بمقام النبوة. .

ويزيد الأمر تعقيداً: أنه قد أصر على موقفه، رغم التنبيه الشديد، حتى لقد طال الجدل، وأشاروا إلى السيوف، وكادت الفتنة أن تقع. .

فإن كان «صلى الله عليه وآله» عارفاً بأن ذلك دنية، وقد أقدم عليه، عن سابق تصميم وعزم. مع علمه بعدم رضا الله تعالى به. . فهو يخل بعصمته عن الذنب.

وإن كان لا يعلم أن الله لا يرضى به، فهو يخل بعصمته في وعي الأحكام وفي تبليغها، فإن قوله وفعله وتقريره حجة.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرح لعمر: بأنه ينفذ أمر الله تعالى، وأنه لو فعل خلاف ذلك لكان عاصياً له سبحانه، حيث قال له: ولن

ص: 130

1- الكافي ج 5 ص 63 و 64 والوسائل ج 11 ص 424 ومشكاة الأنوار ص 430 والفصول المهمة ج 2 ص 229 وعن البحار ج 64 ص 72 وميزان الحكمة ج 2 ص 982 ونور الثقلين ج 5 ص 336.

وفي نص آخر: لا أخالف أمره ولن يضئني (2).

وأنه مرعي من قبل الله سبحانه، حيث قال له: ولن يضئني.

والسؤال هو: ما معنى إصرار عمر على موقفه؟! فهل هو يتهم النبي «صلى الله عليه وآله» -و العياذ بالله- بالكذب على الله تعالى، أو أنه يتهمه بالاشتباه في فهم مراد الله عز وجل من أوامره ونواهيه. .

والأدهى من ذلك: أنه يذهب إلى أبي بكر ويوجه له نفس الأسئلة، فهل كان أبو بكر أصدق من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، أو أعرف منه عند عمر؟! .

رابعا: ومع غض النظر عما تقدم نقول: إنه قد يكون هناك أناس بسطاء، ينساقون مع حميتهم، ومع عصبياتهم، أو تثيرهم الشعارات، وتهزم ثباتهم، وتزلزل يقينهم الشبهات، فيعذرون في هذا الحماس، وتغفر لهم هذه الاعتراضات. من أجل ما علم من سلامة نيتهم، وطهر طويتهم. .

ولكن حين يتصدى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه إلى تنبيههم

ص: 131

1- راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص والمصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 515 وكنز العمال ج 10 ص 494 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 52.

2- المسترشد ص 538 والبحار ج 20 ص 333 وج 30 ص 561 ومسند أحمد ج 4 ص 325 وشرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 59 و زاد المسير ج 7 ص 162 وتفسير القرآن العظيم ج 4 ص 211 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 280 والبداية والنهاية ج 4 ص 192 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 782 وعن عيون الأثر ج 2 ص 120 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 320.

و تذكيرهم و التصريح لهم: بأنه ملتفت إلى جميع الحثيات و الخصوصيات التي يثيرونها، و قد صرح لهم «صلى الله عليه و آله»: بأنه إنما يعمل ما أَراده الله منه، فإن الاستمرار في المعارضة، في هذه الحال يصبح أمراً غير مقبول من أحد حتى من أمثال هؤلاء. .

خامساً: و الأنكى من ذلك: أن يبلغ الأمر ببعضهم حدّ الإعلان عن استعدادة لقيادة حركة تمرد ضد شخص رسول الله «صلى الله عليه و آله» لو توفر له من يعينه على ذلك، مائة رجل تارة، و أربعون رجلاً أخرى (1).

و هو يقصد بكلامه هذا أمراً عظيماً جداً و هائلاً، و هو أكثر و أخطر من مجرد الاستمرار بالمعارضة، فإن المفروض: أن أكثر الصحابة كانوا ثائرين معه، و كانوا يجادلون كما كان يجادل، فما الذي يريد منهم أكثر من ذلك، حتى ليتمنى أن يجد منهم أربعين رجلاً، ليعاونوه على القيام ضد الرسول «صلى الله عليه و آله» بالذات؟!!

سادساً: ما هذه الجرأة من الصحابة على مقام الرسول «صلى الله عليه و آله»؟!!

ولماذا الضجيج و علو الأصوات؟!!

ولماذا يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض؟!!

ولماذا يقدمون بين يدي الله و رسوله؟!!

ولماذا يخفضهم النبي «صلى الله عليه و آله» و يسكنهم و لا يستجيبون له. .

ص: 132

1- راجع: البحار ج 20 ص 350 و تفسير القمي ج 2 ص 312 و نور الثقلين ج 5 ص 52 و التفسير الصافي ج 5 ص 35.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ؟! (1).

وقال تعالى: . . لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ . . (2).

وقال تعالى لهم: . . أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . (3).

وقال: . . وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (4).

فلماذا لا يأترون بأمره، ولا ينتهون بنهيهِ؟!

سابعاً: لو عذرنا من أعلن بالاعتراض: بأنه قد ثارت حميته، وقاده عزه، وإباؤه، وشممه إلى اتخاذ هذا الموقف الحماسي الرفض، ولكن بماذا وكيف نعذر من أعلن أنه قد شك في دينه، وفي نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان هذا الشك قد حصل فعلاً، فكيف نطمئن إلى عودة اليقين إليه؟! . . والدخول في جملة المؤمنين أو المسلمين؟! . .

ولو أن هذا اليقين قد عاد بالفعل، فما الذي يجعلنا نطمئن إلى أن أموراً أخرى لم تنقضه مرة بعد أخرى، ليحل الشك محله من جديد؟! خصوصاً مع التصريح: بأن شكه في الحديبية لم يماثله أي شك آخر منذ أسلم، فقد

ص: 133

1- الآية 1 من سورة الحجرات.

2- الآية 2 من سورة الحجرات.

3- الآية 59 من سورة النساء.

4- الآية 7 من سورة الحشر.

قال: «ارتبت ارتيابا لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ» (1).

و هو كلام خطير جدا، حيث إنه يدل على كثرة ما عرض له من شكوك في دينه. . طيلة حياة الرسول «صلى الله عليه وآله»!! ولعل هذه الشكوك قد لا حقته بعد الحديبية أيضا!! ولا ندري هل زالت عنه تلك الشكوك كلها؟! أم لا؟! كما أننا لا ندري لماذا سهل ورود هذه الشكوك على هذا الرجل دون سواه من سائر الصحابة؟!

إلا أن يقال: إن غيره كان يشك مثله، لكنه لم يملك شجاعة التصريح بذلك.

ولا ندري كذلك، إن كانت شكوكه قد بقيت في محيط حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أم أنها قد راودته أيضا بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان ذلك قد حصل فعلا فماذا كان مصيرها؟! وما الذي يضمن لنا أن تكون هذه الشكوك لم تلاحقه إلى آخر حياته أيضا؟!

وكيف يمكن مقايسة هذا الرجل، بمن هو كالجبل الراسخ، الذي كان على بصيرة من أمره، وعلى بينة من ربه، حتى قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا»؟! (2).

ص: 134

1- راجع: المغازي للواقدي ج 2 ص 607 والمسترشد ص 535 و 539.

2- إسعاف الراغبين (مطبوع مع نور الأبصار) ص 108 وفتح البيان ج 4 ص 5 والصواعق المحرقة (ط الميمنية بمصر) ص 77 و ينابيع المودة ص 65 و 287 و طبقات الشافعية ج 4 ص 54 و مطالب السؤل ص 16 و أنموذج جليل (مطبوع مع إملاء ما من به الرحمن) ج 1 ص 18 و شرح النهج للمعتزلي ج 3 ص 181 و تفصيل النشأتين ص 46 و 62 و المناقب للخوارزمي (ط تبريز) ص 260 و عن بحر المناقب، و عن منال الطالب، و جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج 2 ص 50 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 317 و مواقف الشيعة ج 1 ص 89.

وقال: «ما شككت في الحق مذ رأيت»؟! (1).

فإن كل ما جرى من ضجيج وعجيج و من وصول الأمر إلى حد الخطورة و الفتنة يفيدنا في معرفة الدافع الحقيقي وراء بيعه الرضوان، فإن تجديد البيعة، كما أسلفنا، إنما يلجأ إليها عند الخوف من عدو داخلي، لا من عدو خارجي!!

شكوك عمر استمرت إلى الطائف:

روى عبد الرحمن بن سيابة والأجلح-جميعاً-عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خلا بعلي بن أبي طالب «عليه السلام» يوم الطائف، أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا و تخلو به دوننا؟

فقال: «يا عمر، ما أنا انتجيت، بل الله انتجاه» .

قال: فأعرض عمر و هو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: . . لَتَدْخُلَنَّ

ص: 135

1- يبايع المودة ص 65 و خصائص الأئمة ص 107 و الإرشاد ج 1 ص 254 و حلية الأبرار ج 2 ص 63 و البحار ج 20 ص 335 و ج 29 ص 562 و ج 32 ص 237 و 336 و مناقب أهل البيت ص 75 و ميزان الحكمة ج 1 ص 148 و ج 2 ص 1026 و 1499 و شرح النهج للمعتزلي ج 1 ص 207 و 211 و ج 18 ص 374 و العدد القوية ص 195 و يبايع المودة ج 1 ص 83 و 203 و ج 3 ص 450.

الْمَسَّ جِدَّ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ. فلم ندخله وصددنا عنه، فناداه النبي «صلى الله عليه وآله»: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام» !
(1).

ونقول:

إن هذا الحديث قد تضمن أمورا عديدة، نكتفي منها بالإشارة إلى ما يلي:

1-إن عمر بن الخطاب لا يزال يحمل في نفسه قضية الحديبية، معتبرا إياها مأخذا على رسول الله «صلى الله عليه وآله». . حتى أصبح يقيس الأمور عليها. .

2-إن كلامه يستبطن: اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بالكذب والتدليس عليه وعلى المسلمين.

3-إن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام» ، لم يكن قد سمعه منه لأول مرة، لأنه كان قد قاله لعمر بالذات في يوم الحديبية نفسه. .

4-إنه قد سبق للنبي «صلى الله عليه وآله» أن أحضر عمر في عمرة القضاء، وبيّن له أنهم قد دخلوا مكة، وأن ما يجري في عمرة القضاء كان تصديقا لما كان قد أخبرهم به عن دخول مكة.

استمرار شكوك عمر إلى حجة الوداع:

ويبدو أن شكوك عمر بن الخطاب قد استمرت إلى عام الفتح و كان

ص: 136

1- الإرشاد للمفيد ج 1 ص 153 والبحار ج 21 ص 169 وإعلام الوري ج 1 ص 235.

«صلى الله عليه وآله» يسعى لإزالتها. .

ولا ندري إن كان قد حصل ذلك أم لا؟!

فقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما كان عام الفتح أخذ المفتاح، وقال: ادعوا إلي عمر بن الخطاب، فقال: هذا الذي كنت قلت لكم (1).

بل استمرت هذه الشكوك إلى حجة الوداع فقد ذكروا: أنه «لما كان في حجة الوداع وقف بعرفة، وقال: أي عمر، هذا الذي قلت لكم: إني رسول الله. والله، ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية» (2).

فهل صدق عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل تخلى عن مواقفه وشكوكه السابقة؟!

الجواب: لا.

فإن عمر قد بلغ درجة اليقين، ولكن في الاتجاه المعاكس!! حيث حكم على النبي «صلى الله عليه وآله» في مرض موته بأنه يهجر، أو غلبه الوجد بناء على الرواية القائلة: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجد.

و أما إذا أخذنا بالرواية التي تقول: إنه قال: ما باله أهجر استفهموه؟. فربما يستفاد منها: أنه كان لا يزال باقيا على شكه. .

والله العالم بالحقائق.

ص: 137

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 63 والمسترشد ص 540 والبحار ج 20 ص 141 والنص والاجتهاد ص 172 وشرح النهج للمعتزلي ج 15 ص 25.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 63.

ويقولون: إنه لما فرغ النبي «صلى الله عليه وآله» من قضية الكتاب قال: «قوموا فأنحروا، ثم احلقوا» .

فوالله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فاشتد ذلك عليه، فدخل على أم سلمة فقال: «هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا و يحلقوا فلم يفعلوا» .

وفي رواية: «ألا ترين إلى الناس أمرهم بالأمر فلا يفعلونه-وهم يسمعون كلامي، وينظرون وجهي» ؟ .

فقلت: يا رسول الله، لا تلمهم، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح، يا نبي الله، اخرج ولا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فجلى الله تعالى عن الناس بأم سلمة.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» واضطبع [\(1\)](#) بثوبه، فخرج، فأخذ الحربة، ويمم هديه، وأهوى بالحربة إلى البدن رافعا صوته: «بسم الله والله أكبر» ونحر.

فتواثب المسلمون إلى الهدي، وازدحموا عليه ينحرونه، حتى كاد

ص: 138

1- الاضطباع: أخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، انظر النهاية ج 3 ص 73 وسبل الهدى والرشاد ج 5 ص 56.

بعضهم يقع على بعض.

وأشرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصحابه في الهدى، فنحر البدنة عن سبعة، وكان هدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين بدنة.

وكان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، فلما صده المشركون رد وجهه البدن (1).

قال ابن عباس: لما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها (2).

فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدنه حيث حبسوه، وهي الحديبية، وشرذ جمل أبي جهل من الهدى وهو يرعى، وقد قلد وأشعر. وكان نجيباً مهرياً، في رأسه برة من فضة. أهداه ليغيظ بذلك المشركين. فمر من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، وخرج في أثره عمرو بن عنمة بن عدي الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه، حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه.

قيل: ودفعوا فيه عدة نياق.

ص: 139

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 56 وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج 3 ص 257 وأبو داود في الجهاد باب 167 وأحمد ج 4 ص 331 والبيهقي في الدلائل ج 4 ص 106 وعبد الرزاق الحديث رقم (9720) والطبري و 26 ص 63 وابن أبي شيبة و 14 ص 450.
 - 2- أخرجه أحمد في المسند و 4 ص 330 والبيهقي في دلائل النبوة ج 5 ص 331 و راجع: تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 215 والدر المنثور ج 6 ص 79 وفتح القدير ج 5 ص 57 و البداية و النهاية ج 5 ص 207 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 376 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 57.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو لا أن سميناه في الهدى فعلنا»، ونحره عن سبعة، ونحر طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، بدنان ساقوها.

وروى ابن سعد، عن أبي سفيان، عن جابر قال: نحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين بدنة عام الحديبية، البدنة عن سبعة، وكنا يومئذ ألفا وأربعمائة، ومن لم يضح أكثر ممن ضحى.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» مضطربا في الحل، وإنما يصلي في الحرم.

وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند «المروة» مع رجل من أسلم، فلما فرغ الرسول «صلى الله عليه وآله» من نحر البدن دخل قبة له من آدم حمراء، ودعا بخراش -بمعجمتين- بن أمية بن الفضل الكعبي، فحلق رأسه، ورمى شعره على شجرة كانت إلى جنبه من سمرة خضراء، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه، وأخذت أم عمارة طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض، وتسقيه، فيبرأ.

وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما.

وحلق بعض المسلمين، وقصّر بعض. فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأسه من قبته وهو يقول: رحم الله المحلقين.

قيل: يا رسول الله والمقصرين قال: «رحم الله المحلقين ثلاثا».

ثم قال: و«المقصرين» (1).

وروى ابن أبي شيبة، عن ابن عباس، أنهم قالوا: يا رسول الله، ما بال المحلقين ظهرت عليهم الترحيم؟

قال: لأنهم لم يشكوا (2). ورواه البيهقي موقوفاً.

وبعث الله تعالى ريحا عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتهما في الحرم كما رواه ابن سعد، عن مجمع بن يعقوب، عن أبيه.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بالحديبية تسعة عشر يوماً، ويقال عشرين ليلة، ذكره محمد بن عمر، وابن سعد. قال ابن عائد: وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوته هذه شهراً ونصفاً (3).

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات، وهي التالية:

ص: 141

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 57 وفي هامشه قال: أخرجه الحاكم ج 4 ص 230 و البيهقي ج 5 ص 236 و الدعاء للمحلقين متفق عليه من حديث ابن عمر. راجع: البخاري ج 3 ص 561 (1727) و مسلم ج 2 ص 945 (317/1301) و البحار ج 20 ص 354 و عن فتح الباري ج 5 ص 256 و تفسير القمي ج 2 ص 314 و نور الثقلين ج 5 ص 54 و البداية و النهاية ج 4 ص 193 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 633 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 323.

2- أخرجه البيهقي في الدلائل ج 4 ص 151 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 57 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 283 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 784.

3- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 56 و 57 و عن عيون الأثر ج 2 ص 125.

التبرك:

أما بالنسبة لموضوع التبرك بشعر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبغير ذلك نقول: إن ذلك من بديهيات الإسلام، فراجع كتاب التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه الله» .

ما نحره صلى الله عليه وآله عند المروة:

وقد أراد «صلى الله عليه وآله» أن يطعم الناس في مكة من بعض البدن التي كان يريد أن ينحرها، تألفيا لهم على الإسلام، وكسرا للحواجز التي كانوا يسعون لإقامتها بين الناس وبينه، فأرسل عشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة كما تقدم.

الهدى عن سبعة:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان ينحر الهدى الواحد عن سبعة أشخاص.

ونقول:

إن ذلك غير جائز في مذهب أهل بيت النبوة «عليهم السلام»، الذين هم أدري بما في البيت. فلا شك في أن ذلك مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» . .

حلمهم الكبير الطعن في علي عليه السلام:

تقدم أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن كتب كتاب الصلح: «قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى

ص: 142

قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس.

فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك الخ. (1).

و السؤال هو:

هل كان علي «عليه السلام» ضمن الذين رفضوا خلق رؤوسهم في الحديدية، حين قال «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله المحلقين»، ليكون ذلك من موجبات الطعن في عصمته، أم أنه كان قد أطاع أمر الرسول «صلى الله عليه وآله» في ذلك؟

و الجواب:

أولا: إنه لا شك في أن عليا أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يعص أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا في هذه الواقعة، ولا في غيرها، فهو يقول: «وإني والله لم أخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم أعصه في

ص: 143

1- راجع: تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 283 و البداية و النهاية ج 4 ص 200 و مسند أحمد ج 4 ص 331 و عن صحيح البخاري ج 3 ص 182 و السنن الكبرى للبيهقي ج 5 ص 215 و ج 9 ص 220 و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 340 و مسند ابن راهويه ج 4 ص 14 و عن المعجم الكبير ج 20 ص 14 و إرواء الغليل ج 1 ص 58 و جامع البيان ج 26 ص 130 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 214 و الدر المنثور ج 6 ص 77 و تاريخ مدينة دمشق ج 57 ص 229 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 335 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 56 و ج 11 ص 191.

ثانيا: رغم تحفظنا على حديث أم سلمة، لأنه يظهر أنها «رحمها الله» قد أدركت أمرا غفل عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكننا نقول فيه:

إنه وإن كان ظاهره العموم و الشمول لجميع أصحابه «صلى الله عليه وآله»، لكن التأمل فيه يقتضي حمله على العموم و الشمول لجميع المعترضين عليه «صلى الله عليه وآله» الرافضين لإطاعة أمره دون غيرهم.
أي فالمراد: ما قام رجل ممن كانوا قد اعترضوا على الصلح، و اغتموا له.

لأن المستفاد من الروايات هو: أن ثمة فريقا من الناس كان يجب عليهم الحلق في عمرتهم تلك، و لكنهم لم يطيعوا أمر الرسول «صلى الله عليه وآله»، و لا- قاموا بما لزمهم القيام به، بل تلكأوا في بادئ الأمر، و تعللوا، ثم إنهم حين وجدوا أن لا مناص من التحلل آثروا أن يتحللوا بالتقصير؛ لا بالحلق؛ و ذلك بسبب ما عرض لهم من شك.

و يوضح ذلك النصوص التالية: 1- روى ابن هشام، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: و المقصرين يا رسول الله؟

ص: 144

1- راجع: الأمالي للمفيد ص 235 و الأمالي للشيخ الطوسي ص 11 و نهج البلاغة ج 2 ص 171 و حلية الأبرار ج 2 ص 85 و البحار ج 32 ص 464 و 595 و عن ج 74 ص 397 و شرح النهج للمعتزلي ج 5 ص 181 و كشف الغمة ج 2 ص 4.

قال «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

قال «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

قال «صلى الله عليه وآله»: والمقصرين.

فقالوا: يا رسول الله، فلم ظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين.

قال «صلى الله عليه وآله»: لم يشكّوا (1).

فالشاكون إذن قد أحلوا من إحرامهم بالتقصير، مع أن وظيفتهم كانت هي الحلق، امتثالاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

تذكير: قال السهيلي: إن الذين قصروا هم: فقط عثمان، وأبو قتادة، ولم يقصر غيرهما (2).

2- يفهم من رواية القمي: أن بعض الذين لم يسوقوا الهدى كانوا قد

ص: 145

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 57 عنه، وعن ابن أبي شيبة، ودلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 151 وعن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 784 و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 283 و مسند أحمد ج 1 ص 353 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1012 و شرح صحيح مسلم للنووي ج 9 ص 50 و عن فتح الباري ج 3 ص 449 و ج 5 ص 256 و عن المصنف لابن أبي شيبة ج 4 ص 301 و كنز العمال ج 5 ص 237 و إرواء الغليل ج 4 ص 285 و الدر المنثور ج 6 ص 81 و البداية و النهاية ج 4 ص 193 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 323.
 - 2- السيرة الحلبية ج 3 ص 23.

خلقوا امتثالا وطاعة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعضهم قصر اكتفاء في التحليل بالتقصير، ولم يمثلوا أمره «صلى الله عليه وآله» بالخلق، وأن فيمن ساق الهدى من كان شاكا أيضا.

قال القمي: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: انحروا بدنكم، واخلقوا رؤوسكم، فامتنعوا، وقالوا: كيف ننحر ونخلق، ولم نطف بالبيت، ولم نسع بين الصفا والمروة؟! .

فاغتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وشكا ذلك إلى أم سلمة، (ربما ليظهر رجاحة عقلها ودينها-وهي امرأة-على عقولهم، وهم أصحاب الدعاوى العريضة) .

فقلت: يا رسول الله، انحرت أنت، واخلق.

فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وخلق، ونحر القوم على حين يقين، وشك وارتباب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» تعظيما للبدن: رحم الله المحلقين.

وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله، والمقصرين؛ لأن من لم يسق هديا لم يجب عليه الخلق.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثانيا: رحم الله المحلقين، الذين لم يسوقوا الهدى.

فقالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟

فقال: رحم الله المقصرين» (1).

ص: 146

فرسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أظهر رضاه و محبته للمحلقين، و تدمره من الذين اكتفوا بالتقصير، و هذا يفيد: أن الذين قصرُوا هم الذين خالفوا أمر الرسول «صلى الله عليه وآله» .

فظهر: أن المخالفين لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» و الشاكين ليسوا هم جميع المسلمين الحاضرين في الحديبية، بل هم فريق بعينه كما دلت عليه النصوص.

و لا شك في أن عليا «عليه السلام» ليس منهم، و ليس هناك نص تاريخي يصرح: بأن عليا «عليه السلام» كان بين الذين لم يحلقوا، فإن طاعته للرسول «صلى الله عليه وآله» و التزامه الحرفي بأوامره و نواهيه كالنار على المنار و كالشمس في رابعة النهار، و قد أشرنا أكثر من مرة إلى ما جرى في خيبر، حينما أمره «صلى الله عليه وآله» بالذهاب و عدم الالتفات، فوقف و لم يلتفت و قال: على ما أقاتلهم يا رسول الله؟ .

و تلك هي الآيات الشريفة لم تنزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقررّة لعصمته، كآية التطهير، و تثبيت الفضل و الكرامة له على من عداه له، لأنه هو وحده المطيع لله و لرسوله «صلى الله عليه وآله» ، كآية النجوى و غيرها.

هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى تبين مدى حرصه «عليه السلام» على طاعة أوامر الرسول «صلى الله عليه وآله» حرفيا. يجدها المتتبع لسيرته صلوات الله و سلامه عليه. .

وقد روى مسلم عن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن ابن عباس، وابن سعد، والبيهقي، والحاكم عن أبي عمرة الأنصاري، والبخاري، والطبراني، والبيهقي عن أبي خنيس الغفاري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انصرف من «الحديبية» نزل بمر «الظهران» ، ثم نزل ب «عسفان» ، وأرملوا من الزاد، فشكا الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنهم قد بلغوا من الجوع الجهد، وفي الناس ظهر، فقالوا: ننحره يا رسول الله، وندهن من شحومه، و نتخذ من جلوده أحذية، فأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، لا تفعل، فإن يكن في الناس بقية ظهر يكن أمثل، كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غدا جياعا رجالا؟! ولكن إن رأيت أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم فتجمعها، ثم تدعو فيها بالبركة، فإن الله سيبلغنا بدعوتك.

ودعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس ببقايا أزوادهم، وبسط نطعا، فجعل الناس يجيئون بالحفنة من الطعام وفوق ذلك، فكان أعلاهم

من جاء بصاع تمر، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال سلمة: فتناولت لأحرر، كم هو؟ فحررته كربيضة عنز، ونحن أربع عشرة مائة.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدعا بما شاء الله أن يدعو، فأكلوا حتى شبعوا، ثم حشوا أوعيتهم، وبقي مثله، فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، والله لا يلقي الله تعالى عبد مؤمن بهما إلا حجب من النار» .

ثم أذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الرحيل، فلما ارتحلوا أمطروا ما شاؤوا وهم صائفون، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» و نزلوا، فشربوا من ماء السماء. ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخطبهم، فجاء ثلاثة نفر، فجلس اثنان مع النبي «صلى الله عليه وآله» و ذهب واحد معرضا، فقال رسول الله: «ألا أخبركم عن الثلاثة؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: أما واحد فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فتاب فتاب الله عليه، أما الثالث فأعرض. فأعرض الله عنه» (1).

ص: 152

1- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 58 عن مسلم، والبيهقي، وابن سعد، والحاكم، والبزار، والطبراني، والواقدي، وعن صحيح البخاري ج 1 ص 24 وعن صحيح مسلم ج 7 ص 9 و سنن الترمذي ج 4 ص 171 و السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 232 و مجمع الزوائد ج 8 ص 304 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 453 و صحيح ابن حبان ج 1 ص 287 و كتاب الدعاء ص 534 و المعجم الأوسط ج 4 ص 29 و عن المعجم الكبير ج 3 ص 249 و رياض الصالحين ص 571 و كنز العمال ج 10 ص 239 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 348 و البداية والنهاية ج 6 ص 125.

ونلاحظ على ما تقدم ما يلي: أَلَف: إن الناس لم يبادروا إلى نحر الإبل التي معهم، رغم حاجتهم إلى الطعام إلا بعد استئذان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك. وهذا يعطينا درساً في ضرورة الانضباط والمراجعة للقائد في كل أمر له ارتباط بالحالة العامة. .

ب: إن قول عمر: كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جوعاً رجلاً؟! غير مفهوم لنا، فإن نحر بعض الإبل لا يلزم منه أن يلقي العدو رجلاً، فإن الحرب لا تكون على الإبل، وإنما تكون على الخيل أو بدونها. .

ج: إذا نحروا الإبل، واستفادوا من لحومها، فإنهم لا يبقون جوعاً. .

د: إن ما يحتاجونه في كل يوم للنحر والأكل لا يزيد على أربعة عشر جملاً، وهو مقدار يسير في جملة ما يفي بحاجات ألف وأربع مائة رجل. .

فلو أنهم نحروا خلال ثلاثة أيام، أو أربعة: ستين من الإبل ثم يكونون بقرب المدينة، فذلك معناه: أن يصبح مائتا رجل على أقل تقدير -بلا ظهر يركبونه في سفرهم. إذا كان كل ثلاثة، أو أربعة يعتقبون بعيراً ويبقى مع النبي «صلى الله عليه وآله» ألف ومائتا مقاتل، لم يتأثر وضعهم بشيء مما يجري، وهؤلاء قادرون على مواجهة العدو، ومعهم الظهر الكافي، ولا يعانون من جوع، ولا من غيره. .

هـ: وكيف عرف عمر بن الخطاب هذا الأمر، وجهله النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟! . .

و: وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» عارفاً بهذا الرأي الصالح فلماذا لم يبادر من عند نفسه إلى ذلك الحل وصبر حتى اقترحه عليه عمر بن

الخطاب؟ ! ألم يكن «صلى الله عليه وآله» هو الذي بادر إلى إثارة آبار الحديبية بالسهم الذي ألقاه فيها، ثم صنع لهم الكثير من المعجزات في سفر الحديبية بالذات؟ ! .

أم يعقل: أنه كان يرعاهم في سفر الذهاب، ثم تخلى عنهم في حال الإياب؟ !

ولماذا يتخلى عنهم؟ !

نوم المسلمين عن صلاتهم:

وروى البيهقي من طريق المسعودي، عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود قال: لما أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من «الحديبية» جعلت ناقته تثقل، فأنزل الله تعالى: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** فأدركنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من السرور ما شاء، فأخبرنا أنها أنزلت عليه، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرس بنا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «من يحرسنا» ؟

فقلت: أنا يا رسول الله.

فقال: «إنك تنام» .

ثم قال: «من يحرسنا» ؟

فقلت: أنا.

فقال: أنت.

فحرستهم، حتى إذا كان وجه الصبح أدركني قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» : **إنك تنام**، فما استيقظت إلا بالشمس، فلما استيقظنا قال

رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «إن الله لو شاء أن لا تناموا عنها لا تناموا، ولكنه أراد أن يكون ذلك لمن بعدكم» .

ثم قام فصنع كما كان يصنع، ثم قال: «هكذا لمن نام أو نسي من أمتي» .

ثم ذهب القوم في طلب رواحلهم، فجاؤوا بهن غير راحلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، قال: فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «اذهب ههنا» ، ووجهني وجهها، فذهبت حيث وجهني، فوجدت زمامها قد التوى بشجرة ما كانت تحلها الأيدي.

قال البيهقي: كذا قال المسعودي عن جامع بن شداد: إن ذلك كان حين أقبلوا من الحديبية (1).

ثم روى من طريق شعبة-و ناهيك به-عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود قال: أقبلنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون مراد المسعودي بذكر الحديبية: تاريخ نزول السورة حين أقبلوا من الحديبية فقط، ثم ذكر معه حديث النوم عن الصلاة، و حديث الراحلة، و كانا في غزوة تبوك.

قلت: لم ينفرد المسعودي بذلك، قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا منذر، عن شعبة، عن جامع بن شداد به، و لا مانع من التعدد (2).

ص: 155

1- دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 155.

2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 59 و 60.

ونقول:

إن من الواضح: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا ينام عن صلاته، وليس في هذا النص ما يدل على ذلك.

بل هو صريح: بنوم أصحابه «صلى الله عليه وآله» عن صلاتهم، فعلمهم كيف يصنعون إذا اتفق لهم ذلك. .

وسأتي إن شاء الله المزيد من الحديث عن هذا الأمر في غزوة تبوك.

صلح الحديبية أعظم الفتح:

قالوا: روى البيهقي عن عروة، قال: قفل رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعا، فقال رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت، وصدّ هدينا. وردّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه.

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم.

ويسألوكم القضية.

ويرغبون إليكم في الأمان.

ولقد رأوا منكم ما كرهوا.

وأظفركم الله تعالى عليهم، وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتح.

أنسيتم يوم أحد؟؟

إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟!

أنسيتم يوم الأحزاب؟

ص: 156

إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ؟ !

فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمر منا (1).

وكان الناس قصر رأيهم عما كان.

وكان أبو بكر يقول: ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، وكان الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين ربه.

والعباد يعجلون، والله تعالى لا يعجل لعجلة العبد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بدنه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ينحرف بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب:

ص: 157

1- راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 58 و 59 وفي هامشه عن: شرح المواهب اللدنية ج 2 ص 211 و الدر المنثور ج 6 ص 68 و السيرة الحلبية ج 3 ص 24 و السنن الكبرى ج 6 ص 325 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 96 عن إعلام الوری ص 61 و عن الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 105 و عن شرح الشفاء للقاري ج 1 ص 121 و عن السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 469 و عن المصنف لابن أبي شيبة ج 4 ص 429 و 458 و 501 و ج 15 ص 318 و النص و الإجتهد ص 182 و عن عيون الأثر ج 2 ص 125.

بسم الله الرحمن الرحيم فحمدت الله تعالى الذي هداه للإسلام (1).

وروى الإمام أحمد، و البخاري، و الترمذي، و النسائي، و ابن حبان، و ابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر. يعني: «الحديبية» فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد عليّ.

فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، نزلت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات فلم يرد عليك، فحرت بعيري، ثم تقدمت أمام الناس، و خشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، فرجعت و أنا أظن أنه نزل في شيء، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ من الدنيا و ما فيها: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ. (2).

وروى ابن أبي شيبة، و الإمام أحمد، و ابن سعد، و أبو داود، و ابن جرير، و ابن المنذر، و الحاكم-وصححه-و ابن مردويه، و البيهقي في الدلائل، عن مجمع بن جارية الأنصاري قال: شهدنا «الحديبية» مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما انصرفنا عنها إلى كراع الغميم إذا الناس يوجفون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟

قالوا: أوحى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على راحلته عند «كراع الغميم»،

ص: 158

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 63 و 64.

2- الآيتان 1 و 2 من سورة الفتح.

فاجتمع الناس إليه فقرأ عليهم: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** الفتح.

فقال رجل من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»: أو هو فتح؟

فقال: «أي والذي نفسي بيده إنه فتح»

زاد ابن سعد: فلما نزل بها جبريل قال: ليهنئك يا رسول الله، فلما هنأه جبريل هنأه الناس (1).

وروى عبد الرزاق والإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والشيخان والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، عن أنس قال: «لما رجعنا من «الحديبية» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنزلت علي ضحى آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا» ثلاثا.

قلنا-وفي لفظ قالوا-: هنيئا مريئا لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا

ص: 159

1- أخرجه أحمد في المسند ج 3 ص 420 وأخرجه أبو داود في الجهاد باب: (فيمن أسهم له سهما) وذكره الحافظ بن كثير في التفسير ج 4 ص 197 والبيهقي في الدلائل ج 4 ص 155 وراجع: صحيح مسلم ج 5 ص 176 والمعجم الكبير ج 19 ص 445 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 635 والبحار ج 21 ص 8 وعن سنن أبي داود ج 1 ص 622 والمستدرک للحاكم ج 2 ص 131 و 459 و السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 325 وعن فتح الباري ج 7 ص 340 وعن المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 509 والمعجم الأوسط ج 4 ص 121 و سنن الدار قطني ج 4 ص 60 ونصب الراية ج 4 ص 278 وعن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 184 ونور الثقلين ج 5 ص 48 و جامع البيان ج 26 ص 93 و الجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 261 و الدر المنثور ج 6 ص 68 و فتح القدير ج 5 ص 46 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 105 و تهذيب الكمال ج 32 ص 364.

يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟

فنزلت، -وفي لفظ، فنزلت عليه-: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، حتى بلغ فوزاً عظيماً «(1)».

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود والنسائي، وابن جرير، وغيرهم عن ابن مسعود قال: «أقبلنا من الحديبية مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي، وكان إذا أتاه اشتد عليه، فسري عنه، وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا «(2)».

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات نوجزها على النحو التالي:

ص: 160

-
- 1- أخرجه: ابن حبان ذكره الهيثمي في موارد الظمان ص (436) (1760) والبيهقي ج 5 ص 217 وأحمد ج 4 ص 152 والحاكم ج 4 ص 460 وذكره السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 71 والخطيب في التاريخ ج 3 ص 319 والبيهقي في الدلائل ج 4 ص 155 وراجع: مسند أبي يعلى ج 6 ص 20 وصحيح ابن حبان ج 2 ص 94 والمعجم الأوسط ج 7 ص 100 وجامع البيان ج 26 ص 92 ومعاني القرآن ج 6 ص 492 وأسباب نزول الآيات ص 256 وتفسير الجلالين ص 712 ولباب النقول ص 177 وفتح القدير ج 5 ص 46 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 60.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 60 عن البخاري في التفسير ج 8 ص 582 (4833) والبيهقي في الدلائل ج 4 ص 155 والدر المنثور ج 6 ص 68 وفتح القدير ج 5 ص 46.

النبي صلى الله عليه وآله يذكرهم:

قد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، حين أنكر البعض أن يكون ما جرى في الحديبية فتحا صار يذكرهم بما كان منهم في أحد، حيث هاجمهم المشركون في عقر دارهم، فانهزموا فيها شر هزيمة، ولم يذكرهم بما فعله علي «عليه السلام» في أصحاب الألوية، حيث دحر قوى الشرك.

ثم ذكرهم بما كان في وقعة الخندق، حيث هاجمهم المشركون أيضا في دارهم ولم يستطيعوا أن يبرزوا لمقاومتهم، وكان منهم ما كان، ولم يشر إلى قتل علي «عليه السلام» لعمر بن عبد ود في الخندق، وهزيمة الأحزاب بسبب ذلك.

وذلك من أجل أن يقارنوا بين ما جرى لهم هناك وما جرى لهم في الحديبية، فإن المسلمين في الحديبية هم الذين حضروا إلى بلاد المشركين، حتى بلغوا مشارف عاصمتهم، ولم يجرؤ المشركون على مواجهتهم، بل رضوا بأن يدفعوهم عن بلادهم بالراح.

ثم هم يرضون بدخول المسلمين بلدهم بعد عام، ومعهم سيوفهم في القرب.

وبعقد معاهدة معهم تضمنت شروطا لم يكن المسلمون يحلمون بأن يعطيها لهم أهل الشرك.

أبو بكر.. في موازنة رسول الله صلى الله عليه وآله:

والذي يقرأ أحداث صلح الحديبية في الروايات المزعومة يجد: أن ثمة تشابها فيما بين حركات وكلمات، ومواقف كل من أبي بكر، ورسول الله «صلى

اللّٰه عليه وآله» . .

ونحن نرى: أن ثمة تعمدا لإظهار هذا الانسجام والتوافق، لكي ينال أبو بكر فضيلة ترتفع به إلى مستوى الرسول «صلى اللّٰه عليه وآله» في الوعي للقضايا، وفي الحكمة، والتدبير، والرصانة والاتزان . .

وينال عمر بن الخطاب في المقابل فضيلة الغيرة الفائقة، والحماس المنقطع النظير، والشدة في الحفاظ على العزة والكرامة الإسلامية . .
ولينقلب من ثم الخطأ إلى صواب، والرذيلة إلى فضيلة!! ويصبح الشك في النبوة والرسالة صريح الإيمان، وعصاة التقوى! فتبارك اللّٰه أحسن الخالقين!!

تبرك سهيل بن عمرو:

وقد أظهرت الروايات: أن سهيل بن عمرو كان يتبرك بشعر رسول اللّٰه «صلى اللّٰه عليه وآله» .

وقد قلنا مرات كثيرة: إن التبرك من بديهيات هذا الدين، وأن النصوص المثبتة له قد تصل إلى المئات. فراجع كتاب التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه اللّٰه» .

ص: 162

ثم إن سورة الفتح وكذلك تصريحات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و نصوص عهد الحديبية بالذات، أظهرت: أن الإسلام قد حقق في الحديبية أمورا هامة و أساسية جدا، لا مجال للتعرض لها في كتاب كهذا، فلا بد من الاختصار على الإلماح السريع إلى بعضها، فنقول:

1-إن السورة قد اعتبرت ما جرى في الحديبية فتحا مبينا. و صرح بذلك الرسول «صلى الله عليه وآله»، و قد أظهرت الوقائع هذا الأمر بصورة جلية أيضا.

2-قد نسبت السورة هذا الفتح إلى الله سبحانه، بمعنى: أن الله تعالى هو الذي هيا لهذا الفتح. حيث يتضح لمن رصد حركة الأحداث: أنه «صلى الله عليه وآله» لو استجاب لرغبة أصحابه لما حصل على هذا الفتح العظيم، الذي أوجب دخول المنطقة بأسرها في الإسلام من دون قتال، و أظهر ظلم قريش وعدوانيتها، و أظهر ضعفها، و سماحة الإسلام، و نبيل مقاصده، و جلّى مكانم القوة فيه، و عرّف الناس بالبون الشاسع بين حقيقة أهداف المسلمين، و المشركين، ثم هم مع ذلك كله قد رجعوا سالمين، و من دون أية خسائر تذكر. .

3-لقد أوضحت الآيات: أن من جملة ما حققه صلح الحديبية هو: أن الله تعالى قد جعل الأمور باتجاه أرغم قريشا على اتخاذ موقف من شأنه أن يسقط مزاعمها في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؛ فإن الصلح قد ركز القناعة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يسعى في قطع الأرحام، ولم يكن يمارس العدوان والبغي، وأنه إنما يطالب بالكف عن الظلم وعن البغي، وأنه الوصول، الودود، الرحيم، الرضي، الذي يتعامل بالصفح والعفو حتى عن أعدى أعدائه .

وهذا هو ما أشار إليه قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . فقد هيا الصلح قريشا للإقرار: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مذنباً في حقها، بل هي سوف تبرؤه من الذنب، حتى حين تسير الأمور باتجاه لا ترضاه، أو باتجاه ما ترى أنه لا يخدم مصالحها الخاصة.

وبعد . فإننا نستطيع أن نفهم الكثير من نتائج هذه الهدنة من ملاحظة نفس الشروط التي وضعت في وثيقة الصلح، و من هذه النتائج والفوائد:

ألف-أن الصلح قد أفسح المجال أمام الكثير من المشركين والمسلمين للتلاقي في مكة وفي المدينة وغيرهما، و طرح القضايا فيما بينهم على بساط البحث، والتقى الأصدقاء والأهل، وذوو الأرحام ببعضهم، وبذلوا لهم النصيحة، من موقع المحبة والإخلاص والصدق.

وقد أسهم كل ذلك: في اتضاح كثير من الأمور التي كانت مبهمة لدى المشركين فيما يختص بحقائق الإسلام، و ما يسعى إليه المسلمون. وتكونت لدى الكثيرين منهم قناعات جديدة سهلت عليهم الدخول في هذا الدين، أو هي على الأقل قد أسهمت في تخفيف حدة العداء له، و التقليل من

ب-يضاف إلى ذلك: أن الكثيرين من المشركين قد شاهدوا عن قرب أحوال النبي «صلى الله عليه وآله»، وربما بعض معجزاته، وعانوا حسن سيرته، وحميد طريقته، وجميل أخلاقه الكريمة، وعرفوا الكثير عن طبيعة تعاطيه مع القضايا، وأدركوا: أن ما يسعى إليه ليس هو التسلط على الآخرين، واكتساب الامتيازات على حسابهم، بل هو يريد: أن يحقق لهم المزيد من الرفعة والشوكة، والكرامة والعزة. .

وهذا أمر لم يعرفوه ولم يألفوه في زعمائهم، الذين يريدون: أن يتخذوا مال الله دولا، وعباد الله خولا. .

فلا بد أن تميل نفوسهم إلى الإيمان، وبيادر خلق منهم إلى الإسلام ويزداد الآخرون له ميلا (1).

وكان ذلك أعظم الفتح، فقد دخل الإسلام في تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك، بل أكثر (2).

بل لقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «فما انقضت

ص: 167

1- السيرة الحلبية ج 3 ص و مكاتيب الرسول ج 3 ص 94 و شرح صحيح مسلم للنووي ج 12 ص 140 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 80 و السيرة النبوية لدحلان ج 2.

2- تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 283 و النص و الإجتهد ص 183 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 94 و عن فتح الباري ج 5 ص 257 و البداية و النهاية ج 4 ص 194 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 324 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 64 و الكامل في التاريخ ج 2 و السيرة النبوية لدحلان ج 2.

تلك المدة (وهي سنتا الهدنة) حتى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة» (1).

ج-إن شروط الصلح: قد مكنت من إظهار الإسلام في مكة، بعيدا عن أي ضغوط حتى النفسية منها، فلم يعد أحد يمنع أحدا من الدخول في الإسلام، فدخل فيه من أحب. ولم يعد الداخل في هذا الدين يخشى الاضطهاد، والأذى، بل هو قد أصبح آمنا حتى من ممارسة بعض الضغوط النفسية ضده، حيث لم يعد التعبير به مسموحا بمقتضى المعاهدة. .

و لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار طريق الحرب، فإن ضررا بالغاسوف يلحق بهؤلاء المسلمين المستضعفين؛ لأن قريشا سوف تشتد عليهم، ولربما قتلت الكثير منهم، كما أن جيوش المسلمين لا تعرف المسلم من غير المسلم منهم، خصوصا مع ما هم عليه من التقية والتستر، كما أنهم لا يعرفون من أصبح له ميل ورغبة في الدخول في هذا الدين، لكنه غير قادر على المبادرة إلى ذلك في هذا الوقت، بل يكون مجبرا على مجاراة أهل الشرك، والتظاهر بحرب المسلمين معهم. . وهذا سوف ينتهي بقتل عدد كبير من هؤلاء أيضا. .

فكان الصلح سببا في حفظ هؤلاء، وأولئك، وهو صلح سعت إليه قريش نفسها، وظهر إعزاز الله تعالى لأولياءه، ولدينه.

د-إن هذا العهد، قد جعل المسلمين في مأمن من جانب قريش،

ص: 168

1- البحار ج 20 ص 363 وإعلام الوري ص 61 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 175 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 94 وإعلام الوري ج 1 ص 205 والكافي ج 8 ص 326 وقصص الأنبياء للراوندي ص 344.

فتفرغوا لنشر الإسلام في سائر القبائل، ليصبح المحيط الإسلامي أكثر اتساعاً، ويتم التحول من حالة حصار للإسلام في المدينة، و ضواحيها القريبة، إلى حالة حصار لقريش في مكة، بل حصارهم في بعض زواياها، وكان الإسلام ينتشر في مكة بسرعة، فدخل كل بيت، وشمل كل القبائل والشعب والأفخاذ.

فما حققه «صلى الله عليه وآله» في هذا الصلح أضعاف أضعاف ما تحقق في حروبه الدفاعية مع قريش وسواها، حسبما تقدم.

ويكفي للتدليل على ذلك، أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد بعث بعد الحديبية سراياه وبعوثه في مهمة الدعوة إلى الله تعالى، فلم تبق كورة ولا مخلاف في اليمن والبحرين، واليمامة إلا وفيها رسل النبي «صلى الله عليه وآله»، والناس يدخلون في دين الله أفواجا (1).

وإذا كان قد جاء إلى الحديبية بألف وأربع مائة أو نحو ذلك، فإنه جاء بعد سنتين فقط بعشرة آلاف مقاتل، وفتح الله له مكة، ودخلها من غير قتال (2).

هـ - دخول النبي «صلى الله عليه وآله» مكة في العام التالي، وأداء مناسك العمرة، من دون قتال. .

ص: 169

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 3 ص 95.

2- راجع: البداية والنهاية ج 5 ص 351 والطبقات الكبرى ج 2 ص 134 والمنقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 24 والكامل في التاريخ ج 2 ص 90 والسيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 787 ومستدرک الوسائل ج 4 ص 81 والدر المنثور ج 6 ص 408 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 541.

و هذا يمثل اعترافا من قريش بقوة الإسلام، و بأن للمسلمين الحق في ممارسة شعائر دينهم حتى في مكة، و بأنها كانت ظالمة لهم في حرمانهم من هذا الحق.

كما أن ذلك يعطي الآخرين مزيدا من الجرأة على التعامل مع المسلمين، و ليس لقريش أن تعترض على أحد في ذلك، أو أن تمارس ضده أية ضغوط، لأن ذلك سوف يفهم على أنهبغي، و ابتزاز لا مبرر له. . و لا بد أن يسقط ذلك هيبتها، و يسوق الناس إلى المقارنة بين طريقتها في التعامل، و بين طريقة أهل الإسلام، و تكون النتيجة هي المزيد من التعاطف معهم ضدها. .

هذا بالإضافة إلى أن هذا النصر قد أعطى المسلمين شحنة روحية، و زادهم ثقة بأنفسهم، و تصميمًا على المطالبة بحقوقهم، و وطد الآمال بالوصول إليها و الحصول عليها، و إن طال السرى. .

و-إن النبي «صلى الله عليه و آله» كان يملك الجيش المتحمس، و القادر و المستعد لكل التضحيات. .

و هو مع ذلك قد رجع عن إتمام عمرته، و أحل و نحر البدن في موضعه، مقابل وعد أعطي له بأن يعود إلى مكة في العام التالي معتمرا، و زائرا، و معظما للبيت، لكي يمكن المسلمين و المشركين من الاجتماع بأهلهم و ذويهم.

و ذلك من شأنه أن يعرف الناس عمليا: أن جميع ما كانت تبثه قريش من إشاعات عن أنه «صلى الله عليه و آله» لا يعظم البيت، و أنه يسعى لإفساد حياة الناس، و يريد قطع الأرحام، هو محض افتراء لا واقع له، و الشواهد كلها على خلافه.

فها هو الجيش القادر والمستعد لدخول مكة عنوة، وها هي قريش في غاية الضعف والوهن، ولا يلومه أحد لو أنه سدد الضربة القاضية لها. فإنها كانت ولا تزال تسعى جاهدة لا ستتصل شأفته، وإعفاء آثاره، ومحوها من الوجود والحياة. .

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤثر الرجوع عنها رغم ذلك كله، رغبة في حقن الدماء وإيثارا لتعظيم البيت، وسعيا في صلة الأرحام، وفي تخفيف آلام الناس.

ز-إن قريشا قد رأت كيف أن عددا من ملوك العرب والعجم كانوا بعد الحديبية يخطبون ودّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ورأت أن باذان عامل كسرى قد دخل في الإسلام، وأسلم أيضا عدد من ملوك العرب والعجم، وأرسل الملوك، مثل المقوقس وملك الحبشة وغيرهما الهدايا إلى إليه «صلى الله عليه وآله» .

كما أن أبا سفيان قد رأى تعظيم قيصر ملك الروم لكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» . .

فأسهم ذلك كله في ترسيخ هيئته «صلى الله عليه وآله» لدى قريش، واضطرها إلى أن تخفف من غلوائها. ووجدت نفسها مضطرة للاستسلام له في فتح مكة حتى دخلها من دون قتال. .

ح-إن ثمرات هذا الصلح قد بدأت بالظهور في لحظة إبرامه، حيث إنه لما كتب فيه: «وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل» .

توثبت خزاعة، وقالوا: «نحن في عقد محمد وعهده» . .

و توثبت بنو بكر، فقالوا: «نحن في عقد قريش وعهدهم» .

وخزاعة كانت تعيش مع قريش في مكة ومحيطها، وكانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم تعد قريشا-التي ظهر أن الحرب قد أكلتها وأوهنت قواها-وحدها في مكة، بل أصبح شركاء محمد «صلى الله عليه وآله» و حلفاؤه يعيشون معها، وليس لها أحد في المدينة يجهر بالتحالف، أو يعترف بالشراكة لها، أو بالتعاون معها. .

هذا بالإضافة إلى: أنها تضطر بمقتضى الصلح إلى رفع اليد عن مصادرة حرية حتى من أسلم من أبنائها، وأصبح لهم الحق في أن يعيشوا معها دون أن تتمكن من إلحاق أي أذى بهم.

وبذلك يكون معسكر الشرك قد انقسم على نفسه بصورة أعمق وأوثق، وأوضح وأصرح. وأصبح هذا الانقسام محميا بالعهود والمواثيق. .

فإذا انضم ذلك إلى ما نتج عن وساطة الحليس، وعمر بن مسعود، حيث رجع ابن مسعود بمن معه إلى الطائف، واتخذ الحليس موقفا صارما من قريش. فإن الأمر يصبح أشد خطورة عليها، وزادها مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحديبية، وكذلك عقده وعهده معها وهنا على وهن.

ط-وقد رضي المشركون بالفوز بانتصار وهمي، وشكلي، حين سجلوا على أنفسهم عهدا، وأعطوا وعدا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يقضي بنقض كل قراراتهم السابقة، ويشير إلى: أن كل تلك الحروب التي شنتها ضده «صلى الله عليه وآله» والمسلمين طيلة السنوات الست السابقة كانت ظالمة وبلا فائدة ولا عائدة. .

فإنها قد اعترفت: بأن للنبي «صلى الله عليه وآله» الحق في زيارة البيت

و أداء المناسك، فلماذا شنت عليه كل تلك الحروب؟! و أدخلت كل تلك المصائب و البلايا على الناس؟! و خلقت هذا الكم الكبير من العداوات بين القبائل و الفئات المختلفة؟! .

إن نفس هذا الاعتراف و العهد يجعل نفس هذا التأخير إلى العام المقبل أيضا بلا معنى، بل هو يدخله في دائرة العدوان أيضا، لأن مبرراته المعلنة هي: أنهم يريدون إرضاء عنجهيتهم، و تنفيس كربتهم.

ي-إن هذا الشرط الذي نقر منه المسلمون كان إنجازا عظيما لهم لو تدبروا فيه، فإن من يريد الفرار إلى المشركين يكون فراره رحمة للمسلمين؛ لأن وجوده بين المسلمين بعد أن ارتد عن الدين، و نكص على عقبيه، ليس فقط سيكون بلا فائدة و لا عائدة، بل سيكون مضرا لهم، فيما لو سعى في إثارة الشبهات بين الضعفاء من الناس، أو إذا مارس التجسس على المسلمين، و عرّف المشركين بنقاط ضعفهم، أو أعلمهم بطبيعة تحركاتهم و بتدبيراتهم في المواقع التي يجب أن تبقى طي الكتمان عنهم. .

و أما المسلم الذي يريد الخروج إلى المسلمين فيمنعه المشركون، فإن وجوده بين المشركين-و هو متمسك بدينه-سيكون مفيدا جدا؛ لأنه و هو بينهم لا بد أن يمارس شعائر دينه، و ربما تسنح له فرص كثيرة لطرح قضية الإيمان مع الكثيرين ممن يتصلون به، أو يبذلون جهدا لإقناعه بالتخلي عن دينه و العودة إلى ما كان عليه. . و قد يوفقه الله تعالى لإقناع بعضهم، أو لإثارة تساؤلات لديهم. .

و لعل هناك من يلمس في سلوكه الرسالي، ما يجعله مهينا لاختيار الإيمان على الشرك. .

و لعله لأجل ذلك و سواه قال «صلى الله عليه وآله»: «نعم. إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، و من جاء منهم إلينا فسيجعل الله له فرجا و مخرجا» (1).

ك- إنه بعد أن أصبح المسلمون في راحة من جهة قريش، راسل «صلى الله عليه وآله» الملوك من حوله. . فأرسل كتب الدعوة إلى الإسلام إلى كسرى، و قيصر، و المقوقس، و غيرهم. و كان ذلك بعد الحديبية في السنة السادسة أو السابعة بعد الهجرة (2).

و هذا يفسح المجال للشعوب لتتسامع بأنباء بعثته، و تلتفت إلى دعوته، كما أن ذلك يؤكد هيئته في كل المحيط الذي يعيش فيه.

ل- إنه في ظل صلح الحديبية انطلق النبي «صلى الله عليه وآله» إلى يهود خيبر الذين كانوا و ما يزالون يعلنون الحرب على الإسلام و المسلمين،

ص: 174

1- راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 679 و الكافي ج 8 ص 326 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 92 و عن فتح الباري ج 5 ص 253 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 54 و عن صحيح البخاري ج 5 ص 357 و مسند أحمد ج 4 ص 328 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 220 و 227 و المصنف لعبد الرزاق (9720) و جامع البيان ج 26 ص 59 و 63 و تفسير القرآن العظيم ج 7 ص 324 و أخرجه: أبو داود في الجهاد باب (167) و السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 78 و السيرة النبوية لدحلان ج 2.

2- راجع: مكاتيب الرسول (ط دار صعب) ج 1 ص 113 عن الطبقات الكبرى ج 1 ص 258 و 259 و عن الكامل في التاريخ ج 2 ص 80 و عن تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 288 و تاريخ أبي الفدا ج 1 ص 148 و التنبيه و الإشراف ص 225.

وينشئون التحالفات مع أعدائهم ويحرضون ويتآمرون، ويشيرون المشكلات الكبيرة والخطيرة، كلما سنحت لهم الفرصة، وواتاهم الطرف.

وكان اليهود أكبر قوة ضاربة و متماسكة في منطقة نقطة الارتكاز للوجود الإسلامي، فقد كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل من اليهود في المنطقة، فزحف إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» في ألف وأربع مائة مقاتل..

وهو أمر لم يكن متيسرا له «صلى الله عليه وآله» قبل الحديبية، فإنه لم يكن يستطيع أن يخلي المدينة من أهلها ليقود جيشا يجمع فيه كل القوى المقاتلة، ويترك المدينة من دون قوة تدافع عنها؛ لأن قوى الشرك كانت تنتظر تلك اللحظة لكي تنقض على عاصمة الإسلام وقلبه النابض.

وقد منع عهد الحديبية قريشا من مهاجمتها، ومن أن تمديد العون لليهود خير، ولغيرهم. وكانت سائر القبائل القريبة أضعف وأهون من أن يخشى منها أمر من هذا القبيل. لأنها تعرف العواقب الوخيمة التي تنتظرها لو سارت في هذا الاتجاه.

وانتصر المسلمون على اليهود وأسقطوا كبرياءهم في المنطقة كلها: في خيبر، وفدك، ووادي القرى وتيماء.. وغير ذلك..

م-ثم هناك الانطلاقة الكبرى إلى خارج المحيط الذي كان يعيش فيه المسلمون، وذلك في غزوة مؤتة التي أظهر فيها ثلاثة آلاف جندي أعظم البطولات في مواجهة جيش يضم عشرات الألوف، الأمر الذي أعطى للدولة البيزنطية انطبعا حاسما وقويا عن بسالة الإنسان المسلم، وأفهمهم: أنهم مقدمون على تحولات ومتغيرات كبيرة، قد يكون لها أعظم الأثر على

مستقبل حياتهم السياسية، و الدينية و الاجتماعية. . وغيرها. .

ن-إن قريشا قد اضطرت إلى الاعتراف بقوة المسلمين، و أنها أصبحت متكافئة معها، و أنها قوة لها حضورها، و لا بد أن تتعامل معها معاملة الند للند. و لو لا أنها رأت فيها ذلك، لم تقدم على عقد الصلح معها.

وقبل الحديبية لم تكن قريش على استعداد للاعتراف بهذا التكافؤ، بل ظلت تعتبر المسلمين حالة تمرد شاذة، لا بد من السيطرة عليها، و إخضاعها، و لا يجوز أن يسمح لها-بوصفها شرذمة خارجة عن القانون-: بأن تبقى على ما هي عليه، بل لا بد من إنزال أقصى الضربات بها، و التخلص منها بصورة، أو بأخرى.

س-و الغريب في الأمر هنا: أن المشركين بعد مدة يسيرة يقدمون التماسا، و يوسّطون لدى النبي «صلى الله عليه و آله» و سطاء ليرضى بإعفائهم من الشرط الذي اعتبروه نصرا لهم، و اعتبره المسلمون إعطاء للدين من دينهم. .

فإن أبا بصير عتبة بن أسيد، و أبا جندل، و ثلاث مائة من المسلمين و أكثرهم من الذين حبسهم المشركون في مكة قد تسللوا منها، و لكنهم لم يأتوا إليه «صلى الله عليه و آله» ، لعلمهم بأنه سوف يردهم إلى مكة، بل ذهبوا إلى سيف البحر، فكانوا لا تمر عير لقريش إلا أخذوها، و قتلوا من فيها.

فأرسلت قريش أبا سفيان إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» يسألونه و يتضرعون له بأن يبعث إلى أبي جندل ليأتي إليه، و إن كل من أتى منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» فهو له. .

أبو بصير يقتل أسريه، و يعتصم بالساحل:

روى عبد الرزاق، و الإمام أحمد، و عبد بن حميد، و البخاري، و أبو داود، و النسائي، عن المسور بن مخرمة، و البيهقي، عن ابن شهاب الزهري (1): أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» لما قدم المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد-بوزن أمير-بن جارية الثقيفي، حليف بني زهرة مسلما، قد أفلت من قومه، فسار على قدميه سعيا.

فكتب الأخنس بن شريق، و أزهري بن عبد عوف الزهري إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» كتابا، و بعثا خنيس بن جابر، من بني عامر بن لؤي، استأجراه ببيكر، ابن لبون، و حملاه على بعير، و كتبوا يذكران الصلح الذي بينهم، و أن يرد إليهم أبا بصير، فخرج العامري و معه مولى له يقال له: كوثر دليلا، فقدا بعد أبي بصير بثلاثة أيام، فقرأ أبي بن كعب الكتاب على رسول الله «صلى الله عليه و آله» فإذا فيه:

قد عرفت ما شارطناك عليه، و أشهدنا بينك و بيننا، من رد من قدم عليك من أصحابنا، فابعث إلينا بصاحبنا.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» أبا بصير أن يرجع معهما، و دفعه

ص: 177

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 61 و قال في هامشه: أخرجه البخاري ج 5 ص 329 في الشروط، و أبو داود في الجهاد باب 167 و أحمد ج 4 ص 331 و البيهقي في الدلائل ج 4 ص 107 و في السنن ج 9 ص 221 و عبد الرزاق في المصنف (9720) و انظر: البداية و النهاية ج 4 ص 176.

إليهما فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟

فقال: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر. وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا» .

فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين؟!!

قال: «انطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك فرجا ومخرجا» .

فخرج معهما، وجعل المسلمون يسرون إلى أبي بصير: يا أبا بصير، أبشر، فإن الله جعل لك فرجا ومخرجا، والرجل يكون خيرا من ألف رجل، فافعل وافعل: يأمرونه بقتل الذين معه.

وقال له عمر: أنت رجل، ومعك السيف، فانتهدبها به عند صلاة الظهر بذي الحليفة، فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين، صلاة المسافر، و معه زاد له من تمر يحمله، يأكل منه. ودعا العامري وصاحبه ليأكلا معه، فقدموا سفرة فيها كسر، فأكلوا جميعا، وقد علق العامري سيفه في الجدار وتحادثا.

ولفظ عروة: فسل العامري سيفه ثم هزه فقال: لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل.

فقال له أبو بصير: أصارم سيفك هذا؟

قال: نعم.

قال: ناولنيه أنظر إليه إن شئت، فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد.

قال ابن عقبة: ويقال: بل تناول أبو بصير السيف بفيه، وصاحبه نائم، فقطع إيساره، ثم ضربه به حتى برد، و طلب الآخر، فجمز مذعورا مستخفيا.

وفي لفظ: و خرج كوثر هاربا يعدون نحو المدينة، و هو عاض على أسفل ثوبه قد بدا طرف ذكره، و الحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، و أبو بصير في أثره، فأعجزه. و أتى رسول الله «صلى الله عليه و آله» و هو جالس في أصحابه بعد العصر، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله» حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرا. فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: «ويحك ما لك» ؟

قال: قتل و الله صاحبكم صاحبي، و أفلت منه و لم أكد. و إني لمقتول.

و استغاث برسول الله «صلى الله عليه و آله»، فأمنه، و أقبل أبو بصير فأناخ بغير العامري. و دخل متوشحا سيفه. فقال: يا رسول الله قد وفيت ذمتك، و أدى الله عنك، و قد أسلمتني بيد العدو، و قد امتنعت بديني من أن أفتن.

فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: «ويل أمه مسعر حرب»!! (1).

ص: 179

1- مسعر حرب، أي: موقدها، انظر المعجم الوسيط ج 1 ص 432 و البحار ج 20 ص 336 و مسند أحمد ج 4 ص 331 و عن صحيح البخاري ج 3 ص 183 و عن سنن أبي داود ج 1 ص 63 و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 341 و المعجم الكبير ج 20 ص 15 و إرواء الغليل ج 1 ص 59 و مجمع البيان ج 9 ص 199 و جامع البيان ج 26 ص 131 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 214 و الدر المنثور ج 6 ص 78 و إكمال الكمال ج 1 ص 59 و ج 2 ص 3 و تاريخ مدينة دمشق ج 12 ص 13 و ج 57 ص 230 و أسد الغابة ج 3 ص 360 و سير أعلام النبلاء ج 3 ص 346 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 284 و البداية و النهاية ج 4 ص 201 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 335 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 62.

وفي لفظ: «محش حرب، لو كان معه رجال»!! (D).

وفي لفظ: «له أحد»! .

قال عروة، و محمد بن عمر: وقدم سلب العامري لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ليخمسه، فقال: «إني إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه. ولكن شأنك بسلب صاحبك، و اذهب حيث شئت» .

وفي الصحيح: أن أبا بصير لما سمع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد» ! عرف أنه سيرده. فخرج أبو بصير، و معه خمسة كانوا قدموا معه مسلمين من مكة حين قدم على الرسول «صلى الله عليه وآله» ، فلم يكن طلبهم أحد حتى قدموا سيف البحر.

ولما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير العامري اشتد عليه، وقال: ما صالحنا محمدا على هذا.

فقال قريش: قد برئ محمد منه، قد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق، فما على محمد في هذا؟

فأسند سهيل ظهره إلى الكعبة وقال: و الله لا أؤخر ظهري حتى يودي هذا الرجل.

قال أبو سفيان بن حرب: إن هذا لهو السفه، و الله لا يودي -ثلاثا-

ص: 180

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 62 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 284 و البحار ج 20 ص 336 و 363 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 227 و أسد الغابة ج 5 ص 150 و السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 788 و عن عيون الأثر ج 2 ص 131.

و أنى قريش تديه، وإنما بعثته بنو زهرة؟

فقال الأخنس بن شريق: والله ما نديه، ما قتلناه، ولا أمرنا بقتله، قتله رجل مخالف؛ فأرسلوا إلى محمد يديه.

فقال أبو سفيان بن حرب: لا، ما على محمد دية ولا غرم، قد برئ محمد. ما كان على محمد أكثر مما صنع. فلم تخرج له دية.

فأقام أبو بصير وأصحابه بسيف البحر، وقال ابن شهاب: بين العيص وذي المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قريش.

قال محمد بن عمر: لما خرج أبو بصير لم يكن معه إلا كف تمر، فأكله ثلاثة أيام، وأصاب حيتانا قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها. وبلغ المسلمين الذين قد حبسوا بمكة خبر أبي بصير، فتسللوا إليه.

قال محمد بن عمر: كان عمر بن الخطاب هو الذي كتب إليهم بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي بصير: «ويل أمه محش حرب لو كان له رجال»، وأخبرهم أنه بالساحل.

وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المشركين بالحديبية، فخرج هو وسبعون راكبا ممن أسلموا فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هدنة المشركين، وكرهوا الثواء بين ظهراني قومهم، فنزلوا مع أبي بصير.

ولما قدم أبو جندل على أبي بصير سلم له الأمر، لكونه قرشيا. فكان أبو جندل يؤمهم. واجتمع إلى أبي جندل-حين سمع بقدومه-ناس من بني غفار، وأسلم، و جهينة، وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل - كما عند البيهقي عن ابن شهاب- لا تمر بهم غير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا

من فيها، وضيقوا على قريش، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه.

و مما قاله أبو جندل بن سهيل في تلك الأيام:

أبلغ قريشا عن أبي جندلأنا بذى المروة في الساحل

في معشر تخفق راياتهم بالبيض فيها و القنا الذابل

يأبون أن تبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل

أو يجعل الله لهم مخرجاًو الحق لا يغلب بالباطل

فيسلم المرء بإسلامهويقتل المرء و لم يأتل

فأرسلت قريش إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا سفيان بن حرب، يسألونه ويتضرعون إليه: أن يبعث إلى أبي بصير و أبي جندل و من معهم.

وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه، فهو لك حلال، غير محرج أنت فيه.

وقالوا: فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره.

فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بصير و أبي جندل يأمرهما: أن يقدموا عليه. و يأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم و أهليهم، فلا يتعرضوا لأحد من بهم من قريش و عيراتها.

فقدم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أبي بصير و هو يموت. فجعل يقرؤه، و مات و هو في يديه، فدفنه أبو جندل مكانه، و جعل عند قبره مسجداً.

و قدم أبو جندل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، و معه ناس من أصحابه. و رجع سائرهم إلى أهليهم، و أمنت بعد ذلك عيرات قريش.

قال عروة: فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية: أن طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» خير لهم فيما أحبوا وفيما كرهوا من رأي من ظن أن له قوة هي أفضل مما خص الله تعالى به رسوله «صلى الله عليه وآله» من الفوز والكرامة.

ولما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام القضية، وخلق رأسه قال: «هذا الذي وعدتكم» (1).

مصير أبي بصير:

إن من الأمور التي تؤلم الإنسان وتؤذي روحه هو أن يبذل جهدا مضنيا، حتى إذا رأى: أنه قد حصل على مبتغاه ابتلي بفقده، فكيف إذا استبدل بضده. فإن المصيبة عليه ستكون أعظم، والألم سوف يكون أشد.

وبمقدار ما يكون ذلك الشيء الذي يسعى له ثمينا وعزيزا، وغاليا لديه، بمقدار ما تتعذب روحه لفقده، وتعظم مصيبته فيه، فكيف إذا كان أثمن وأعلى ما في الوجود عليه، وأعز عليه من كل عزيز، وهو مستعد لأن يبذل من أجله ماله، وولده، وحتى روحه التي بين جنبيه، فكيف يمكن لنا أن نتصور حاله حين يفقده، بعد أن وجده؟!!

وهذا بالذات هو ما جرى لأبي بصير الذي أفلت من قومه، وجاء إلى المدينة سعيا على قدميه، والآمال العذاب تراود خاطره، بأن يملك حريته،

ص: 183

1- راجع: سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 61-63 والبحار ج 20 ص 141 وشرح النهج للمعتزلي ج 12 ص 60 وج 15 ص 25.

و يكون مع أهله وأحبابه، حيث العزة والكرامة، والمحبة، والقلوب الصافية، والعاطفة المتوهجة، و حيث يكون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، خير الخلق، وأشرف الكائنات. .

و لم تدم فرحته ثلاثة أيام حتى حلت به الكارثة، فقد وصل كتاب قریش، يطالب بإرجاعه إليها، ليوافق السجن، والقيود والذل، والعذاب، والأذى النفسي، والمهانة، والفتنة في الدين وما إلى ذلك. .

فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يرجع مع الرسولين، ودفعه إليهما. . وقال له: نفس الكلمات التي كان قالها لأبي جندل حين سلّمه لأبيه سهيل بن عمرو، حين كتابة صلح الحديبية.

أبو بصير يقتل أسره:

و يذهب أبو بصير مع أسريه، ويسير معهما على طريق العذاب والآلام، و هو يرى أن أسريه محاربون له ولدينه، و معتدون على حريته و على كرامته، و هو لم يعقد معهم عهدا يعطيهم الحق بقهره و ظلمه، و بالعدوان عليه. . و يرى أن له كل الحق بدفع السوء عن نفسه، وأن لا يمكنهم من إلحاق الأذى به.

كما أنه ليس لمحاربه و أسره أن يغفل الاحتياط لنفسه، وأن يطالب بالأمان من ناحيته. . فإذا قصر في حفظ نفسه، و ظفر به عدوه فلا يلو من إلا نفسه، فأبو بصير لم يعتد على أسره و لم يظلمه حتى حين يباشر قتله، بل هو قد مارس حقه الطبيعي بالدفاع عن نفسه.

النبي صلى الله عليه وآله يجير المشرك:

وقد كانت إجارة النبي «صلى الله عليه وآله» لذلك الهارب من أبي بصير، تفضلا منه «صلى الله عليه وآله» وكرما، فإن الأمر يرجع إليه في أن يستجيب له أو لا يستجيب. . ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يخيب من أمله، ويطلب معونته، حتى لو كان مخالفا لدينه، و ساعيا في إلحاق الأذى به. .

النبي صلى الله عليه وآله لا يجيب أبا بصير:

وقد لا حظنا: أنه حين قال أبو بصير للنبي «صلى الله عليه وآله»: «فت ذمتك. لم يجبه «صلى الله عليه وآله» بشيء، لا سلبا ولا إيجابا. إذ لا مجال للإجابة بالنفي؛ لأن ذلك غير واقعي، وليس من المصلحة الإجابة بالإيجاب، حتى لا تسيء قريش فهم القضية، وتتخذ ذلك ذريعة لاتهامه «صلى الله عليه وآله» مما هو بريء منه. .

ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه رجال:

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» أطلق كلاما عاما، يصف فيه أبا بصير، دون أن يتمكن أحد من اتخاذه ذريعة لتسجيل مؤاخذه مباشرة عليه، حيث ذكر «صلى الله عليه وآله»: «أن أبا بصير قادر على أن يسعر حربا لو كان معه رجال.

وهو وإن كان وصفا له بأمر عام يمكن أن يستفاد منه الإغراء بأمر من هذا القبيل. . ويمكن المناقشة والتشكيك القوي في أن يكون قد قصد ذلك منه فإنه لم يحدد زمان ومكان هذه الحرب التي يحب أن يسعرها هذا الرجل. .

ولكن لأبي بصير أن يفهم: أن نفس سماع النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا الكلام، وبهذه الطريقة لا بد أن يكون له مغزى ويتضمن توجيهها خفيا عليه أن يعرفه، وأن يسعى لتحقيقه. . وهو: أن عليه أن يجد رجالا، وأن يسعر حربا على أعدائه وأن يخلص نفسه من الورطة التي هو فيها. .

النبي صلى الله عليه وآله يقبل خمس السلب:

وقد صرحت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرض أن يأخذ خمس سلب ذلك القتل، موضحا له أن سياسته هي أن لا يعطي قريشا ما ينفعها في توجيه أي تهمة له، فقال:

«إني إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت» .

وبذلك يكون قد أعلمه: أن عمله كان مشروعا، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل له: لا خمس عليك فيه، بل أفهمه: أن الخمس ثابت في هذا السلب، ولكن ليس من المصلحة أن يأخذه منه. . لأن قريشا سوف تدفع بالأمور باتجاه توجيه التهمة الصريحة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه وراء قتل الرجل، وأنه هو الأمر بذلك.

قريش تعيش الإرباك والانقسام:

وبالرجوع إلى خلافا قريش في دية المقتول، نخرج بالنتائج التالية:

1- إن قريشا لم تستطع أن تدي ذلك القتل، ولم تتفق على رأي في من يجب أن يديه.

2-إن قريشا بمن فيها أبو سفيان قد برأت النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يكون هو المطالب بدفع الدية. ولم يستطع أحد منهم أن يدفع هذا القول، أو أن يسجل تحفظا عليه.

مما يعني: أن أسلوب النبي «صلى الله عليه وآله» في التعامل مع هذا الأمر كان غاية في الدقة والحكمة.

3-إن قريشا حتى وهي تواجه مشكلة تمس كبرياءها، وتري أنها تمثل عدوانا عليها، قد تعاملت مع تلك المشكلة بالمنطق القبلي، الذي يكرس الحقد والانقسام العشائري، خصوصا حين يقول أبو سفيان: أتى قريش تدييه، وإنما بعثته بنو زهرة.

أسلم و غفار و جهينة مع أبي جندل:

وقد كانت قبائل أسلم، و غفار، و جهينة، تسكن حول المدينة، وهي قبائل من الأعراب، كان فيهم طائفة من المنافقين، أخبر عنها القرآن الكريم بقوله: وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ . (1).

ويلاحظ: أن من هذه القبائل أشخاصا انضموا إلى أبي جندل، ونحسب أن ذلك لكونهم وجدوا الفرصة سانحة للحصول على المال، من التجارات التي يصادرها أبو جندل، حيث ظهر لهم: أنه قد اتخذ موقعا حساسا على طريق قوافل قريش التجارية. .

ص: 187

واللافت: أن سائر القبائل لم ينفر من أفرادها ما يدعو إلى الإشارة إليها بالبنان كما كان الحال بالنسبة للقبائل الثلاث التي سلف ذكرها. .

ذل قريش:

وقد ألمحنا فيما سبق: إلى أن ما فعله أبو جندل و أبو بصير، قد أوقع قريشا في مأزق حقيقي، وجدت أن إرسال الكتب و الرسائل لا يفيد في إخراجها منه.

كما أن إرسال أناس عاديين لا يكفي في ذلك، فاضطرت إلى إرسال أحد قادتها الكبار، الذي عرف بشدة الطغيان و الجحود، و بجمع الجموع، و قيادة الجيوش لحرب الرسول «صلى الله عليه و آله» ، و هو أبو سفيان بن حرب، أرسلته إلى رسول الله «صلى الله عليه و آله» لتطمئن إلى انحلال العقدة، و الخروج من الأزمة.

واللافت هو: أن طلب قريش من الرسول «صلى الله عليه و آله» لم يكن طلبا عاديا، بل كان طلب الضارح الملح، الذي يظهر المزيد من المسكنة و الضعف، لاستجلاب رضاه «صلى الله عليه و آله» ، الذي كانت تسعى في استئصال شأفته، و خضد شوكته.

وقد كان تدخله هذا تفضلا منه، و نبلا و كرما، فهو «صلى الله عليه و آله» يساعد حتى عدوه الذي طالما شن عليه الحروب، و قتل الخلاء و الأصفياء، و سعى في طمس هذا الدين، و إبطال جهود جميع الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين يساعد على حفظ السلام، و بسط جناح الأمن، مع أنه «صلى الله عليه و آله» لم يكن مطالبا، لا من ناحية أدبية، و لا

من ناحية سياسية، ولا بأي ميزان عرفه الناس آنئذ، بدفع هؤلاء المظلومين عما يطالبون به، وما يسعون إليه، فإن هؤلاء الذين أخذوا بكظم قريش لم يأتوا إليه، ولم ينطلقوا من عنده، ولا كان عملهم تنفيذا لأوامر صدرت منه، وإنما هي مبادرة منهم لم تنص المعاهدة بمسؤوليته عن أي شيء تجاهها.

ص: 189

الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحهم

الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين خير و الحديبية

ص: 191

هناك أشخاص جرت عادة بعض المؤرخين على تخصيصهم بالذكر في بعض الموارد في السيرة النبوية الشريفة، مع أنهم يهملون أو يكادون، ذكر أشخاص قد ساهموا بصورة عميقة في بناء القوة الفكرية أو السياسية، أو المعنوية أو غيرها للمجتمع الإسلامي. وكان لهم أثرهم الكبير في حفظ الدين وفي نشره، وسهروا الليالي، وقدموا التضحيات الجسام من أجله وفي سبيله. .

نعم، إنهم يهملون هؤلاء. حين لا يحالفهم الحظ في أن يسلبوهم ذلك كله، لينحلوه إلى أعدائهم و منائهم.

و حين تضطربهم الوقائع، ويفرض عليهم الواقع، الذي لا يجدون منه خلاصا ولا عنه مناصا إلى الاعتراف بشيء من تضحيات و جهاد هؤلاء الذين يكرهون التنويه بذكرهم، والإعلان بمآثرهم، فإن تحريفهم و تلاعبهم بالحقائق، يصل إلى حد يصبح معه الإهمال و التجاهل أولى و أحفظ للحق، وأنفع للخلق، حيث يصبح السباب و التجريح أخف شناعة و قباحة من الكذب الصريح، الموجب لتحريف حقائق الدين، و تضييع جهد و جهاد الأولياء المخلصين. . و انسداد أبواب الهداية عن العالمين.

وقد نجد في هذا الفصل نماذج لأشخاص أريد التسويق لهم، من خلال الادعاءات العريضة التي يطلقونها، والانتفاخات الاستعراضية التي يقومون بها، لأن ذلك يخدم نفس الأهداف التي كان لهؤلاء الأشخاص دور في مساعدة أصحابها لبلوغها، أو لأنهم قد شاركوا في العمل على استبعاد نهج أصيل، ومحاصرة قيم الحق، وإضعاف حركة أناس يريدون لذلك النهج أن يفرض نفسه و لتلك القيم أن يكون لها دورها في واقع الحياة بقوة و حزم، و بعمق و رسوخ، وإباء و شموخ. .

و حيث إننا قد التزمنا بمراعاة و مجارة كُتّاب السيرة في ذكر ما أحبوا ذكره، فإننا نشير في هذا الفصل إلى نفس النقاط التي ذكروها، و نحاول أن لا نمر عليها مرور الكرام، بل نسجل بعض ما نجد ضرورة لتسجيله من توضيحات أو تصحيحات، مع التزام جانب الاختصار الذي نرجو أن لا يصل إلى حد الإخلال، و الله الولي، و الموفق، و الهادي إلى سبيل الرشاد. .

وفاة أم رومان:

قالوا: إن أم رومان بنت عامر، بن عويمر، أم عائشة ماتت في سنة ست. و كانت أولا عند عبد الله بن سخرية، فولدت له الطفيل، ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة.

فلما ماتت نزل النبي «صلى الله عليه وآله» في قبرها، فلما دليت فيه قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : «من أراد أن ينظر إلى امرأة من الحور العين

فليُنظر إلى هذه» (1). وهذا هو قول محمد بن سعد، وإبراهيم الحربي.

ونقول:

قد ذكرنا في الجزء الخاص بحديث الإفك من كتابنا هذا، في فصل: «شخصيات و مضامين غير معقولة»: أن هذا الكلام موضع شك، وأن آخرين يقولون: إنها عاشت بعد النبي «صلى الله عليه وآله» دهرا طويلا، حيث ماتت في خلافة عثمان (2).

ويستدلون على ذلك:

أولا: برواية مسروق بن الأجدع عنها، وقد ولد مسروق أول سني الهجرة، وروى عنها حديث الإفك في خلافة أبي بكر أو عمر، وسمع منها حديث الإفك، وهو بعمر خمس عشرة سنة (3).

ص: 197

-
- 1- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 26 و طبقات ابن سعد ج 8 ص 202 و الروض الأنف ج 4 ص 21 و وفاء الوفاء ج 3 ص 897 و السيرة الحلبية ج 2 ص 79 و المستدرک للحاکم ج 3 ص 473 و الجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 610 و كنز العمال ج 12 ص 146 و فيض القدير ج 6 ص 197 و أسد الغابة ج 5 ص 583 و عن الإصابة ج 8 ص 392 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 164.
 - 2- تاريخ الخميس ج 2 ص 26 و تهذيب التهذيب ج 2 ص 468 عن البخاري في تاريخه: الأوسط و الصغير، و عن الإصابة ج 8 ص 392 و فيض القدير ج 6 ص 197 و عن مقدمة فتح الباري ص 371.
 - 3- الإصابة ج 4 ص 451 و تهذيب التهذيب ج 12 ص 468 و راجع: فتح الباري ج 7 ص 337 و إرشاد الساري ج 6 ص 343.

ولكن كثيرين أنكروا هذا (1)، بل لقد قال السهيلي: إن مسروقاً ولد بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف، ولم ير أم رومان قط (2).

فالحكم بإرسال رواية مسروق بن الأجدع عنها، استناداً إلى عدم الخلاف في ولادته أولى. .

ثانياً: قد حاول العسقلاني إثبات بقائها إلى ما بعد سنة أربع أو خمس أو ست لكي يؤيد سماع مسروق منها بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» . . بالاستناد إلى روايتين:

إحدهما: رواية تخيير النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه. حيث أمر «صلى الله عليه وآله» عائشة أن تشاور أبويها: أبا بكر، وأم رومان. .

والأخرى: حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أضياف أبي بكر وفيه: «وإنما هو أنا وأبي، وأمي، وامراتي الخ. .» .

وعبد الرحمن قد هاجر بعد الحديبية في سنة سبع أو ثمان بل هو قد أسلم يوم الفتح (3). فدل ذلك على حياة أمه إلى ما بعد هذا التاريخ.

ص: 198

1- راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج 4 ص 452 و الروض الأنف ج 4 ص 21 و الإصابة ج 4 ص 452 و فتح الباري ج 7 ص 337 و 338 و تهذيب التهذيب ج 12 ص 468.

2- الروض الأنف ج 4 ص 21 و السيرة الحلبية ج 2 ص 79 و تهذيب الكمال ج 35 ص 360 و عن مقدمة فتح الباري ص 371.

3- راجع: الإصابة ج 4 ص 451 و 452 و فتح الباري المقدمة ص 371 و ج 7 ص 337 و ج 8 ص 401 و تهذيب التهذيب ج 12 ص 468 و 469 و رواية تخيير النبي «صلى الله عليه وآله» نسائه في مسند أحمد ج 6 ص 212 و فيض القدير ج 2 ص 187 و جامع البيان ج 21 ص 190 و عن تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 489.

1-قد ذكرنا في حديث الإفك: أن حياتها إلى سنة تسع لا تثبت بقاءها إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلا عن أن تثبت سماع مسروق منها، وهو إنما ولد بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف.

2-إن رواية أضياف أبي بكر قد عبرت بكلمة «وأمي»، فلعله نزل زوجة أبيه بمنزلة أمه.

3-إن كلمة «وأمي» لا توجد في جميع نسخ البخاري، بل هي موجودة -فقط- في نسختي الكشمهيني، والمستملي.

4-إن عبد الرحمن يقول: فقالت له امرأته، أو فقال لامرأته، وهذا يؤيد أن تكون زوجة أبيه، وليست أمه على الحقيقة.

5-إن رواية الأضياف تقول: إن أبا بكر قد قال لزوجته: يا أخت بني فراس. . وهذا دليل آخر على أن المقصود ليس هو أم رومان؛ حيث إنها ليست فراسية، فراجع ما ذكرناه حول ذلك في الجزء الخاص بحديث الإفك.

6-إن التخيير لم يكن سنة تسع -كما يدعيه هؤلاء- بل كان قبل ذلك؛ لأن سورة الأحزاب التي وردت فيها آية التخيير قد نزلت -كما يقول نفس هؤلاء- سنة أربع أو خمس، أي حين زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بزینب بنت جحش.

بل لقد صرحت رواية مسلم وغيره: بأن آية التخيير قد نزلت حين تظاهرت عليه عائشة و حفصة، فاعتزلهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسعا وعشرين ليلة، وذلك قبل أن يفرض الحجاب على نساء النبي «صلى الله عليه وآله» (1).

وقد تقدم: أن الحجاب قد فرض -حسبما يدعون- عند زواجه بزينب بنت جحش، ونحن قلنا سابقا: إنه قد فرض قبل ذلك. فلا نعيد. .

وأما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نزل في قبر أم رومان، فهو مما رواه محبوبها.

وقد عودنا هؤلاء أنهم إكراما لعائشة، ولأبي بكر، على استعداد لاقتحام كل المسلمات، وإيقاع أنفسهم في المتناقضات.

فإذا احتاجت عائشة إلى رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان، فإن أم رومان تعود إلى الحياة بعد عشرات السنين من موتها، ومسروق بن الأجدع يولد قبل زمان ولادته بعشر أو بعشرات من السنوات.

وإذا احتاجوا أم رومان لإظهار فضيلة لها من حيث إنها زوجة لأبي بكر، فإنها قد تموت قبل زمان موتها الحقيقي بعشرات السنين، لكي ينزل النبي «صلى الله عليه وآله» في قبرها، وينشئ لها المدائح والتقاريظ البديعة. .

ونبقى نحن في أتون الحيرة والشك، فلا ندري من و ما نصدق!! هل

ص: 200

1- راجع: صحيح مسلم ج 4 ص 188 و 187 و 189 و 190 و الدر المنثور ج 6 ص 242 و 243 عنه وعن ابن مردويه وعبد بن حميد و مسند أبي يعلى ج 1 ص 150 و عن تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 415 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 496 و كنز العمال ج 2 ص 528 و الجامع لأحكام القرآن ج 18 ص 189.

نصدق بموتها؟ أم بحياتها؟! . . أم نكذب هذا وذاك؟!

ونقول:

إنه ليس لها أي دور مميز يفرض على الناس أن يهتموا بتدوينه، وإنما يراد استخدام خصوصية كونها أما لعائشة وزوجا لأبي بكر لتسويق ما يريدون تسويقه من اختراعات وابتداعات، تهدف إلى تبييض وجه هذا أو ذاك.

ولعل هذا الاحتمال الأخير هو الأولى بالقبول، والأقرب إلى الاعتبار، والمنسجم كل الانسجام مع ما عرفناه وألفناه من هؤلاء وعنهم. .

إسلام أبي هريرة:

ويقولون: إن أبا هريرة قد أسلم في سنة سبع، وقدم على النبي «صلى الله عليه وآله» في وقعة خيبر، وسيأتي الحديث عن ذلك حين الحديث عن خيبر إن شاء الله تعالى. .

إسلام عمران بن حصين:

وذكروا: أن عمران بن حصين قد أسلم في سنة سبع أيضا (1).

وروي: أنه كان من المنحرفين عن علي «عليه السلام» أيضا (2)، وأن عليا «عليه السلام» سيّره إلى المدائن، وذلك أنه كان يقول: إن مات علي، فلا

ص: 201

1- نزهة الناظر و تنبيه الخاطر ص 21 وأضواء على السنة المحمدية ص 116 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 508.

2- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 77.

أدري ما موته، وإن قتل، فعسى أني إن قتل رجوت له (1).

والظاهر: أنه قد رجع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، و صار من شيعته، فإن الفضل بن شاذان قد عده في السابقين الذين رجعوا إلى علي «عليه السلام» (2).

أو أنه كان مترددا، فتارة يكون معه، و تارة يكون عليه، كما يدل عليه روايته لحديث تسليم أبي بكر و عمر على علي «عليه السلام» بإمرة المؤمنين (3).

و حديث سعيه لإقناع عائشة بالرجوع عن حرب علي «عليه السلام» (4).

و أما حديثه في تحليل المتعة (5) فلا يدل على موالاته لعلي «عليه السلام»، و لا على معاداته لمنائيه.

ص: 202

1- راجع: شرح النهج للمعتزلي ج 4 ص 77.

2- إختيار معرفة الرجال ص 38.

3- إختيار معرفة الرجال ص 94 و الأمالي ص 19 و اليقين ص 285 و 316 و مدينة المعاجز ج 1 ص 62 و البحار ج 37 ص 311 و 323 و 335 و مواقف الشيعة ج 3 ص 100.

4- البحار ج 32 ص 140 و الكافئة ص 21 و مواقف الشيعة ج 2 ص 35.

5- راجع: مصادر حديثه هذا في كتابنا: زواج المتعة.

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل في سنة سبع أبان بن سعيد بن العاص في سرية من المدينة نحو نجد، فقدم أبان في أصحابه على النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في خيبر، بعد ما افتتحها، وإن حزم (جمع حزام) خيلهم الليف، ولم يقسم لهم النبي «صلى الله عليه وآله» من غنائم خيبر.

وكان أبان قد أسلم بين الحديبية و خيبر. وهو الذي أجاز عثمان بن عفان حينما بعثه النبي «صلى الله عليه وآله» ليعلم أهل مكة بما جاء له (1).

وقد ادعى أبو هريرة: أنه كان حاضرا، حين قدوم هؤلاء أيضا، فقال: «قلت: يا رسول الله، لا تقسم لهم».

قال أبان: «وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضأن»؟! .

ص: 205

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 وقال: كذا في حياة الحيوان. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 128 عن أبي داود في سننه، وعن أبي نعيم في مستخرجه، وعن تمام الرازي في فوائده، و البداية والنهاية ج 4 ص 207 وعن فتح الباري ج 7 ص 377 و تاريخ مدينة دمشق ج 6 ص 133 وعن صحيح البخاري ج 5 ص 82 و شرح معاني الآثار ج 3 ص 244 و المعجم الأوسط ج 3 ص 307 و نصب الراية ج 4 ص 266 و أحكام القرآن ج 3 ص 74.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا أبان اجلس.

فلم يقسم لهم (1).

ملاحظة: قيل في معناه: أن الوبر حيوان صغير، كالسنور، وهي دابة وحشية، تسمى غنم بني إسرائيل.

أراد أبان بقوله هذا: أن يظهر احتقاره لأبي هريرة، وأنه ليس بالموضع الذي نفسه فيه.

ثم شبهه بتلك الدابة الوحشية، ثم قال: إنه مجرد راع تحدر إليهم من رأس جبل اسمه «ضأن»، يقع في أرض دوس.

هذا. . ولكن هناك رواية أخرى تذكر: أن أبا هريرة هو الذي طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسهم له في خير.

فقال بعض ولد سعيد بن العاص: لا تسهم له يا رسول الله.

فقلت: هذا قاتل ابن قوئل.

فقال أبان بن سعيد بن العاص: وا عجباً لو بر تدلى علينا. وفي رواية أنه قال: «واعجباً لك، وبر تدأداً (أي هجم علينا بغتة) من قدوم (أي من طرف) ضأن. ينعى عليّ قتل رجل أكرمه الله على يديّ، ومنعه أن يهينني بيده الخ.». (2).

ص: 206

1- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 128 و البداية و النهاية ج 4 ص 207.

2- سبل الهدى والرشاد ج 6 ص 128 وفي هامشه عن البخاري (كتاب المغازي) ج 7 ص 529 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 393 وعن فتح الباري ج 7 ص 377 وعن البداية و النهاية ج 4 ص 236 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 393 و شيخ المصيرة ص 45.

ونقول:

إن لنا على ما تقدم ملاحظات، هي التالية:

1-إذا كان أبو هريرة حديث الإسلام، فلماذا يبادر إلى هذا التدخل القوي فيما لا يعنيه، ضد رجل قد أسلم حديثاً، وبادر إلى الجهاد في سبيل الله، وعاد هو وأصحابه سالمين؟! فهل كانت هناك ترات وإحن قديمة بينه وبين أبان؟! أم أنه أراد أن يعلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحكام الشريعة؟! أم أن ذلك مجرد حشوية وفضول منه؟! .

2-إذا كان أبان بن سعيد لم يشارك في غزوة خيبر، فاستحق الحرمان من مغانمها، فإن أبا هريرة أيضاً لم يشارك في تلك الغزوة، فلماذا يريد أن يأخذ لنفسه، ثم يريد حرمان غيره من ذلك؟!

بل إن غيره كان أولى منه؛ لأنه عائد من جهاد آخر، واجه فيه الأخطار، وأبو هريرة ومن معه كانوا في راحة وأمن وسلام. .

3-إن أبان قد أعلن أمام النبي «صلى الله عليه وآله» وسائر من حضر: أن أبا هريرة ليس أهلاً لأن يشير بشيء، لضعفه وقلة غنائه، فهو مجرد دابة شاردة، وهو لا يحسن إلا رعي الغنم في رأس جبل ضال، أو ضأن.

ويفهم من أبي الحسن الفاسي:

أن ما قصده أبان بكلامه هو: أن أبا هريرة ملصق في قريش (أو في هذه الجماعة المقاتلة المؤمنة)، كلبصق ما يعلق بوبر الشاة من شوك و غيره مما يتدلى عليها (1).

ص: 207

1- راجع: شيخ المضيرة ص 46 وعن فتح الباري ج 7 ص 377.

4-إن مطالبة الدوسيين بالمشاركة في الغنيمة مع عدم مشاركتهم في الحرب، فيه دناءة ظاهرة.

5-رغم أن أبان قد أعلن بما يفيد تحقير وازدراء أبي هريرة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يدافع عن أبي هريرة، ولا اعترض على أسلوب أبان في إهائته له. ولا طيب خاطر أبي هريرة ولو بكلمة واحدة، مع أنه جاءه لتوه، ومع أنه بحكم الضيف بالنسبة إليه. .

بل هو قد اكتفى بالقول لأبان: يا أبان، اجلس.

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يسكت عن نصره المظلوم، فكيف إذا كان هذا المظلوم قد تعرض للظلم في حضرته «صلى الله عليه وآله» . .

وقد ورد في دعاء الإمام السجاد «عليه السلام» : «و أعوذ بك من مظلوم ظلم في حضرتي فلم أنصره» (1).

6-إن إشراكهم في الغنائم لم يكن عن استحقاق منهم لها.

بل هو مجرد عمل أخلاقي، بدليل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كلم أصحابه في أن يشركوهم في الغنيمة، ففعلوا.

حكم الظهار:

وقالوا: إن حكم الظهار نزل في سنة ست قبل خيبر، وقيل: بعد

ص: 208

1- راجع: الصحيفة السجادية الكاملة ص 189 و شرح الصحيفة السجادية للأبطحي ص 187 و ميزان الحكمة ج 2 ص 1780 و ج 3 ص 1859.

وذلك: أن أوس بن الصامت غضب على زوجته خولة بنت ثعلبة ذات يوم، وقال لها: «أنت علي كظهر أمي» .

وكان ذلك أول ظهار في الإسلام، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية .

ثم ندم على ما قال، فأتت خولة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وعائشة تغسل رأسه، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني، وأنا ذات مال وأهل، فلما أكل مالي، وذهب شبابي، ونفضت بطني، وتفرق أهلي ظاهر مني.

فقال «صلى الله عليه وآله»: حرمت عليه.

فبكت، وصاحت، وقالت: أشكو إلى الله فقري، وفاقتي، ووجدي، وصبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ما أراك إلا حرمت عليه.

فجعلت ترفع صوتها باكياً، وتقول: اللهم إني أشكو إليك.

فبينما هي على تلك الحالة إذ تغير وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» للوحي، فنزل جبرئيل «عليه السلام» بقوله تعالى:

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الْآيَات.

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوس بن الصامت، فتلى عليه الآيات المذكورة، وقال له: أعتق رقبة.

ص: 209

فقال: ما لي قدرة.

قال: فصم شهرين متتابعين.

قال: إني إذا لم أكل في اليوم مرتين كلّ بصري.

قال: فأطعم ستين مسكيناً.

قال: لا أجد، إلا أن تعينني منك بعون وصلة.

فأعانه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخمسة عشر صاعاً، وكانوا يرون: أن عند أوس مثلها، وذلك لستين مسكيناً، لكل مسكين نصف صاع (1).

وبعض النصوص تقول عن أوس: إنه «كان به لمم، فإذا اشتد لممه ظاهر من امرأته» (2).

ص: 210

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 25 و 26 وراجع: نور الثقلين ج 5 ص 254 و الدر المنثور ج 6 ص 179 و 180 و 181 و 182 و 183 عن ابن المنذر، وأبي داود، وأحمد، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، والحاكم، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وسعيد، بن منصور، و النحاس. وراجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 29 و البحار ج 22 ص 58 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 392 وعن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 409 و جامع البيان ج 28 ص 4 و 5 و أحكام القرآن ج 3 ص 570 و أسباب نزول الآيات ص 274 و الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 271 و أسد الغابة ج 1 ص 146.

2- الدر المنثور ج 6 ص 180 عن سعيد بن منصور، وابن مردويه، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم، وصححه، و السيرة الحلبية ج 3 ص 29 و الآحاد و المثناني ج 5 ص 332 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 341 و الطبقات الكبرى ج 3 ص 547 و ج 8 ص 379 و أسد الغابة ج 5 ص 417.

ونقول:

إننا نعتقد: أن الرواية الأصح هي التالية:

روى القمي، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أنها حين أخبرت النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمر، قالت: فانظر في أمري.

فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً أقضي فيه بينك وبين زوجك، وأنا أكره أن أكون من المتكلفين.

فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». . إلى أن أنزل الله عز وجل قرآناً. .

إلى أن قالت الرواية: فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المرأة فأتته، فقال لها: جيئي بزواجك.

فأتت به، فقال له: أقلت لا مرأتك هذه: «أنت حرام كظهر أمي»؟ .

فقال: قد قلت لها ذلك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قد أنزل الله تبارك وتعالى فيك وفي امرأتك قرآناً، وقرأ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (1).

فضم إليك امرأتك، فإنك قد قلت منكراً من القول وزوراً، وقد عفا الله عنك وغفر لك، ولا تعد.

ص: 211

فانصرف الرجل، و هو نادى على ما قال لامرأته، و كره الله عز و جل ذلك للمؤمنين بعد.

و أنزل الله: وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ. . الآية (1).

و نقول:

إننا إذا لا حظنا هذه الرواية، و الرواية المتقدمة، فسنجد ما يلي:

1- إن هذه الرواية تقول: إن ذلك الرجل لم يكفر بإطعام ستين مسكينا. بل عفا الله عنه. . ثم وضع ذلك على من جاء بعده، و فعل ذلك، ما دام أنه لم يتعظ بما جرى لذلك الرجل.

و لعل عفو الله عز و جل عن أوس بن الصامت إنما كان لأجل شدة حاجته، و عدم قدرته على التكفير.

و الظاهر: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» أمره بإطعام ستين مسكينا، فأخبره بأنها ليست عنده، فقال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: أنا أتصدق عنك، فأعطاه تمرا لإطعام ستين مسكينا، فقال: اذهب، فتصدق بها.

فقال: و الذي بعثك بالحق، لا أعلم بين لابتيتها (و هي جانبا المدينة) أحدا أخرج إليه مني و من عيالي.

ص: 212

1- راجع: نور الثقلين ج 5 ص 254 و 255 و البرهان (تفسير) ج 4 ص 301 و 302 و تفسير القمي ج 2 ص 353 و التفسير الصافي ج 5 ص 143 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 15 ص 506 و البحار ج 22 ص 72 و عن ج 101 ص 166 و الكافي ج 6 ص 152 و قريب منه في الدر المنثور ج 6 ص 180 عن ابن مردويه عن ابن عباس.

قال: فاذهب، و كل، و أطعم عيالك (1).

2- إن هذه الرواية تقول: إن الآيات قد نزلت في غياب المرأة، لا في حضورها. كما زعمته الرواية الأولى.

3- إنها تقول، و كذلك رواية ابن عباس (2): إن النبي «صلى الله عليه و آله» لم يعط المرأة جواباً، و الرواية الأولى تقول: إنه أجابها مباشرة بأنها قد حرمت على زوجها.

4- إن الرواية الأولى قد ذكرت: أنه «صلى الله عليه و آله» قال لها: ما أراك إلا حرمت عليه.

و في بعض نصوصها: ما أمرنا بشيء من أمرك، أراك إلا قد حرمت عليه (3). فهل كان النبي «صلى الله عليه و آله» يفتي برأيه؟ ! ثم يظهر خطؤه!! . أم أنه يخبر عن حكم الله الثابت الذي أطلعه الله سبحانه و تعالى

ص: 213

1- نور الثقلين ج 5 ص 257 عن الكافي ج 6 ص 155 و تهذيب الأحكام ج 8 ص 15 و 321 و مستدرك الوسائل ج 15 ص 409 و 411 و النوادر ص 66 و دعائم الإسلام ج 2 ص 274 و من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 532 و الإستبصار ج 4 ص 57 و الوسائل ج 15 ص 551 و علل الدارقطني ج 10 ص 239.

2- راجع: الدر المنثور ج 6 ص 180 و 181 و 182 عن النحاس، و ابن مردويه، و البيهقي، و عبد بن حميد، و الطبراني.

3- السيرة الحلبية ج 3 ص 29 و السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 385 و تفسير القرآن للصنعاني ج 3 ص 277 و جامع البيان ج 28 ص 7 و أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 558 و عن تفسير ابن كثير ج 4 ص 343 و الدر المنثور ج 6 ص 180 و 183 و الطبقات الكبرى ج 8 ص 379 و تاريخ المدينة ج 2 ص 393.

عليه، ثم نسخه الله؟ !

فإن كان يفتي برأيه، و يخطئ فيه، فإنه لا يكون مأمونا على شرع الله سبحانه، كما أن ذلك لا ينسجم مع حقيقة كونه لا ينطق عن الهوى . .

وإن كان قد أخبر عن حكم الله تعالى، ثم نسخ الله حكمه، فلما ذا نسب ذلك إلى رأي نفسه، و يقول: ما أراك إلا حرمت عليه؟ !

5-و أما الروايات التي صرحت: بأن أوسا كان به لمم، فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فهي أيضا مردودة، بأن الظهار في حال اللمم ليس له أثر، و لا يوجب التحريم، لأن اللمم نوع من الجنون (1)يوجب سقوط عبارة المظاهر عن التأثير.

و لأجل ذلك نقول:

إنه إذا صح أنه قد كان في أوس لمم، فإنه إنما ظاهر في بعض صحواته، كما صرحت به بعض الروايات فراجع (2).

6-إنهم يزعمون: أن أوس بن الصامت كان أعمى، مع أنهم يقولون: إنه قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إذا لم آكل في اليوم مرتين (أو ثلاث) كلّ بصري» (3)و هو يدل على أنه لم يكن أعمى. .

ص: 214

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 29.

2- الدر المنثور ج 6 ص 181 عن ابن سعد، و الطبقات الكبرى ج 3 ص 547 و ج 8 ص 379.

3- السيرة الحلبية ج 3 ص 29 و البحار ج 22 ص 58 و عن تفسير مجمع البيان ج 9 ص 409 و أسباب نزول الآيات ص 274 و سنن الدار قطني ج 3 ص 218 و مسند الشاميين ج 4 ص 8 و الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 271 و عن الدر المنثور ج 6 ص 180.

وقول العسقلاني: المراد: أن بصره يكلّ لو كان مبصرا، لا يفيد في ترقيع الخروق التي في هذه الرواية، فإنه خلاف الظاهر جدا (1).

تحريم الخمر:

وقالوا: إن الخمر قد حُرمت في السنة السادسة من الهجرة. سنة الحديبية، وبه جزم الدمياطي (2).

وهناك أقوال أخرى، تحدثنا عنها في الجزء السادس من هذا الكتاب في فصل: فاطمة وعلي ومناوئوهم. . فراجع ما ذكرناه في ذلك الفصل.

وهناك بعض الكلام عن تحريم الخمر وما يرتبط بذلك من أمور، حاول الحاقدون والمناوئون لأهل البيت «عليهم السلام» أن يكيّدوهم بها وانصب اهتمامهم على الكيد لعلي وحمزة صلوات الله وسلامه عليهما. .

ونحن نحيل القارئ الكريم إلى ما ذكرناه في ذلك الموضوع أيضا.

أسطورة سحر النبي صلى الله عليه وآله:

وزعموا: أنه في شهر محرم من السنة السابعة، وقيل سنة ست: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» (3).

ص: 215

-
- 1- السيرة الحلبية ج 3 ص 29.
 - 2- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 26 و السيرة الحلبية ج 3 ص 29 وعن فتح الباري (المقدمة) ص 65 و ج 10 ص 25 وعمدة القاري ج 10 ص 82.
 - 3- سبل الهدى والرشاد ج 3 ص 410 و ج 12 ص 68 و ج 10 ص 57 و تاريخ الخميس ج 2 ص 40 والطبقات الكبرى ج 2 ص 196 وعن فتح الباري ج 10 ص 192.

فعن عائشة، قالت: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إنه يخيل إليه: أنه يفعل الشيء و ما فعله، حتى إذا كان ذات يوم عندي دعا الله، ودعاه، ثم قال: أشعرت يا عائشة: أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ !

قلت: و ما ذاك يا رسول الله؟ !

قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، و الآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟

قال: مطبوب.

قال: و ما طبه؟

قال: لبىء بن الأعصم اليهودي، من بني زريق.

قال: في ماذا؟

قال: في مشط، و مشاطة، و جف طلعة ذكر.

قال: فأين هو؟

قال: في بئر ذي أروان.

قال: فذهب النبي «صلى الله عليه وآله» في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها، و عليها نخل، ثم رجع إلى عائشة، فقال: و الله، لكأن ماءها نقاعة الحناء، و لكأن نخلها رؤوس الشياطين.

قلت: يا رسول الله، فأخرجته؟ !

قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله و شافاني، و خشيت أن أثور على الناس فيه شرا.

ص: 216

و أمر بها فدفنت (1).

أي: أنه أمر بالبئر فدفنت.

وفي نص آخر، عن ابن عباس: أن الملكين أمرا بنزح الماء ورفع الصخرة، واستخراج الركية التي فيها السحر، وأن يحرقوها، فبعث عمار في نفر، فاستخرجوا الركية، وأحرقوها. فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه المعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة (2).

ص: 217

-
- 1- صحيح البخاري ج 7 ص 30 كتاب: بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر وباب: السحر، وصحيح مسلم ج 7 باب السحر، وسبل الهدى والرشاد ج 10 ص 56 و ج 3 ص 411، وراجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 41 و المصنف لابن أبي شيبة ج 5 ص 435 و تفسير ابن كثير (ط دار الجيل) ج 5 ص 579 وأضواء على الصحيحين ص 273 و عن مسند أحمد ج 6 ص 63 و 96 و ج 3 ص 411 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 291 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 196.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 3 ص 411 و ج 10 ص 56 و 57 عن البيهقي، وراجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 41 و الدر المنثور ج 6 ص 417 عن ابن مردويه، وعن البيهقي في دلائل النبوة، و مكارم الأخلاق ص 414 و البحار ج 18 ص 70 و 71 و عن ج 60 ص 13 و 15 و 24 و عن ج 89 ص 365 و عن ج 92 ص 126 و 130 و عن فتح الباري ج 10 ص 191 و 196 و عن تفسير مجمع البيان ج 10 ص 492 و التفسير الصافي ج 5 ص 396 و التفسير الأصفى ج 2 ص 1493 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 718 و 719، و أسباب نزول الآيات ص 310 و زاد المسير ج 8 ص 333 و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 253 و ج 5 ص 718 و عن تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 615 و تفسير الجلالين ص 826 و 830 و لباب النقول ص 220 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 199 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 471 و تأويل الآيات ج 2 ص 862.

وعن عائشة: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.

قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان (1).

وعن أنس، قال: سحر النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتاه جبريل «عليه السلام» بخاتم، فلبسه في يمينه، وقال: لا تخف شيئا ما دام في يمينك (2).

وعن زيد بن أرقم: سحر النبي «صلى الله عليه وآله» رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل «عليه السلام»، فقال: إن رجلا من اليهود سحر، وجعل لذلك عقدا.

فأرسل «صلى الله عليه وآله» عليا «عليه السلام» فاستخرجها، وجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» كأنما نشط من عقال. فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه (3).

ص: 218

1- عن صحيح البخاري ج 7 ص 29، كتاب: الطب، باب السحر، و تفسير القرآن العظيم (ط دار الجيل) ج 4 ص 579 و أضواء على الصحيحين ص 273 و عن فتح الباري ج 10 ص 199 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 2 ص 181 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 6.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 7 ص 323 عن ابن عدي، و لسان الميزان ج 2 ص 387 و الكامل ج 3 ص 9 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 642.

3- سبل الهدى و الرشاد ج 7 ص 21 عن أحمد، و عبد بن حميد، و البخاري، و النسائي، و أبي الشيخ، و البيهقي، و المصنف لابن أبي شيبة ج 5 ص 435 و مجمع الزوائد ج 6 ص 281 عن الطبراني، و النسائي، و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 579 (ط دار الجيل) عن أحمد، و النسائي، و المعجم الكبير ج 5 ص 179 و 180 و المعرفة و التاريخ ج 3 ص 289 و 290 و شمائل الرسول لابن كثير ص 65 و 66 و سنن النسائي ج 7 ص 13 و فتح القدير ج 51 ص 519 عن عبد بن حميد، و البحار ج 38 ص 303 و مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 395 و الدر المنثور ج 6 ص 417 و الفائق في غريب الحديث ج 2 ص 295 و التبيان في آداب جملة القرآن للنووي ص 183.

وعن زيد بن أرقم في نص آخر: أن رجلا من الأنصار سحر النبي «صلى الله عليه وآله»، وأن ملكين أتيا النبي «صلى الله عليه وآله» و أخبراه: أن فلانا عقد له عقدا، وأنها في بئر فلان، وأن الماء قد اصفرّ من شدة عقده (1).

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: إنما سحره بنات أعصم، أخوات لبيد، وكان لبيد هو الذي ذهب به، فأدخله تحت راعوفة البئر. ودس بنات أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة، فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها بذلك. فقالت إحداهن: إن يكن نبيا فسيخبر، وإن كان غير ذلك فسوف يدلّهُ هذا السحر، فيذهب عقله، فدلّه الله عليه (2).

ص: 219

-
- 1- سبل الهدى والرشاد ج 7 ص 9 وج 10 ص 56 عن ابن سعد، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبي نعيم، وعن البداية والنهاية ج 6 ص 44 وراجع: المستدرک للحاکم ج 4 ص 360 وعن المعجم الكبير ج 5 ص 179 و مجمع الزوائد ج 6 ص 281.
 - 2- سبل الهدى والرشاد ج 3 ص 410 وج 10 ص 57 عن ابن سعد، و تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن كنز العباد، والطبقات الكبرى ج 2 ص 198.

وقد مرض «صلى الله عليه وآله» من سحرهن له، حتى إنه لم يقدر على قربان أهله ستة أشهر، وذكر السنة، والأربعين يوماً، في الوفاء (1).

وعن أنس: صنعت اليهود لرسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً، فأصابه من ذلك وجع شديد، فأتاه جبريل بالمعوذتين يعوده بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحاً (2).

وذكرت بعض الروايات: أن اليهود جعلت لابن الأعصم ثلاثة دنائير (3).

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» أقام في السحر أربعين يوماً (4).

وقيل: ستة أشهر، يرى أنه يأتي ولا يأتي (5).

وقال الديار بكري: ويمكن الجمع، بأن يكون ستة أشهر من ابتداء تغير

ص: 220

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن كنز العباد، وعن الوفاء، والبخاري، وعن عون المعبود ج 4 ص 237 وعن البداية والنهاية ج 3 ص 290 وسبل الهدى والرشاد ج 3 ص 413 وعن مسند أحمد ج 6 ص 63 وعن تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 614 وسير أعلام النبلاء ج 21 ص 101.

2- سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 57 عن أبي نعيم، وتفسير الجلالين ص 830 ولباب النقول ص 220.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 وعن فتح الباري ج 10 ص 192 والطبقات ج 2 ص 197 وسبل الهدى والرشاد ج 3 ص 410.

4- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن الإسماعيلي.

5- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ط دار الجيل) ج 4 ص 579 وعن مسند أحمد ج 6 ص 63 وعن صحيح البخاري ج 7 ص 88 وسير أعلام النبلاء ج 21 ص 101.

مزاجه، والأربعين يوماً من استحكامه (1).

وعن الزهري: أنه لبث سنة.

قال العسقلاني: قد وجدناه موصولاً بالأسناد الصحيح، فهو المعتمد (2).

وعن عائشة: سحر، حتى إنه كان ليخيل إليه: أنه يفعل الشيء وما فعله (3).

وعن ابن عباس، وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، فمرض «صلى الله عليه وآله»، وانتشر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيها (4).

ص: 221

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 41.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن السهيلي، عن جامع معمر.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن البخاري وج 7 ص 28 و 30 وأضواء على الصحيحين ص 272 وعن فتح الباري ج 10 ص 192 و عن مسند أحمد ج 6 ص 63 وصحيح مسلم ج 7 ص 14 و شرح مسلم للنووي ج 14 ص 174 و جامع البيان ج 1 ص 644 وزاد المسير ج 8 ص 332 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 473.

4- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن معالم التنزيل، وتفسير القرآن العظيم (ط دار الجيل) ج 4 ص 579 عن الثعلبي، وأسباب النزول (ط سنة 1410 هـ) ص 405 وعن فتح الباري ج 10 ص 193 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 472.

وذكر العسقلاني: أن رجلاً نزل في البئر، واستخرجه، وأنه وجد في الطلعة مثلاً من الشمع لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، (وفي نص آخر: ووجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» خفة فقام كأنما أنشط من عقال (1)) فنزل جبرئيل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع عقدة وجد لها ألماً، ثم يجد بعدها راحة (2).

وقيل: قتل النبي «صلى الله عليه وآله» من سحره، وقيل: عفا عنه.

قال الواقدي: عفا عنه أثبت عندنا. وروي قتله (3).

وفي بعض الروايات: أن سحر يهود بني زريق حبس النبي «صلى الله عليه وآله» عن خصوص عائشة سنة (4).

ص: 222

-
- 1- تفسير الجلالين ص 826 و مكارم الأخلاق ص 414 و البحار ج 18 ص 71 و عن ج 60 ص 13 و 15 و عن ج 92 ص 130 و عن فتح الباري ج 10 ص 191 و عن تفسير مجمع البيان ج 10 ص 492 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 719 و أسباب نزول الآيات ص 310 و زاد المسير ج 8 ص 333 و الجامع لأحكام القرآن ج 20 ص 253 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 615.
 - 2- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 عن المواهب اللدنية عن فتح الباري، و الدر المنثور ج 6 ص 417 و عن فتح الباري ج 10 ص 196 و سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 411.
 - 3- تاريخ الخميس ج 2 ص 41 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 199.
 - 4- راجع: المصنف للصنعاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج 11 ص 9 و عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 2 ص 182 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 5.

وروي أن الغلام الذي سحر النبي «صلى الله عليه وآله» والذي كان يخدمه هو نفس لبيد بن الأعصم (1).

وهناك تفاصيل أخرى، وردت في بعض الروايات (2). وفيما ذكرناه كفاية.

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه الروايات، ونعتقد: أنها من مجعولات أعداء هذا الدين، أو من قبل أناس أعمى الجهل بصائرهم، و تاهت في ظلمات الضلالات عقولهم.

ونحن نلخص ما نريد الإلماح إليه هنا بالمطالب التالية:

تناقض الروايات:

ولسنا بحاجة إلى التذكير بالتناقضات الكثيرة بين مضامين تلك

ص: 223

-
- 1- الدر المنثور ج 6 ص 417 عن ابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة.
 - 2- راجع: البرهان (تفسير) للبحراني ج 4 ص 529 و 530 و المصنف للصنعاني ج 6 ص 65 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 115 و مسند أبي يعلى ج 8 ص 290 و الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ج 14 ص 545 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 196 و العلل لأحمد بن حنبل ج 1 ص 68 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 642 و الكامل ج 3 ص 9 و معجم البلدان ج 3 ص 5 و البداية و النهاية ج 6 ص 44 و ج 10 ص 21 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 1 ص 472 و مستدرك الوسائل ج 12 ص 65 و مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 65 و كتاب الأربعين للشيرازي ص 301 و مسند أحمد ج 4 ص 367 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1173 و عن فتح الباري ج 6 ص 239 و ج 10 ص 192 و ج 11 ص 163 و غير ذلك كثير.

الروايات، و ما ذكرته من خصوصيات، و نكتفي من ذلك بأمثلة يسيرة هي: 1- بعضها يقول: إن الملكين أمرا باستخراج السحر و إحراقه، فإنه أرسل من استخرجه، و صار كلما حل عقدة منه وجد لذلك خفة، حتى قام كأنما نشط من عقال.

و رواية تقول: إنه لم يخرج، و قد عافاه الله و شافاه بدون ذلك.

2- هل الذي سحره هو لبيد بن الأعصم؟ أم أن الساحر هو بنات أعصم أخوات لبيد؟

3- هل بقي لا يقدر على قربان أهله ستة أشهر؟ أم بقي أربعين يوما؟ أم سنة؟ أو أنه بقي أياما؟

4- هل شفي بسبب حل العقد؟ أم بسبب أن جبرئيل أتاه فعوّذه بالمعوذتين، فخرج إلى أصحابه صحيحا؟ أم أنه شفي بسبب الخاتم الذي ألبسه إياه جبرئيل؟

5- هل قتل النبي ذلك الذي سحره؟ أم أنه عفا عنه؟

6- هل الغلام الذي كان يخدم النبي «صلى الله عليه و آله» هو لبيد بن الأعصم نفسه؟ أم أنه رجل آخر؟

7- و هل السحر وضع في بئر ميمون؟ أم في بئر أروان؟

النبي صلى الله عليه و آله الأسوة، و القدوة، و المثال:

إن كلام هؤلاء معناه: أن رسول الله «صلى الله عليه و آله» قد فقد قدرة التمييز بين الأمور و فقد توازنه، و لم يعد قادرا على التركيز، و بسبب ما يعانيه من اختلالات في عقله و إدراكه. .

بل في بعضها: «فأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يسمع ولا يبصر، ولا يفهم، ولا يتكلم، ولا يأكل ولا يشرب» (1).

وكلامهم يعني أيضا: أنه قد أصبح من الجائز أن يتخيل «صلى الله عليه وآله» أنه يصلي، أو يحج، أو يصوم، وهو لا يصلي، ولا يحج في واقع الأمر. بل هو يفعل أمرا آخر وقد يكون هذا الأمر الذي يفعله موبقة من الموبقات، أو جريمة من الجرائم، وقد يكون منافيا للآداب و للأخلاق و للإنسانية.

وقد يتخيل: أنه يبلغ أحكام الله وهو في واقع الأمر ينطق بالكفر، ويدعو الناس للضلال.

فهل يمكن أن يكون هذا حال من وصفه الله تعالى بأنه: مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . .

و هل يمكن أن يقول الله تعالى للناس: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا .

و أن يقول: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .

و أن يجعل قوله، وفعله، و تقريره «صلى الله عليه وآله» حجة و دليلا على الأحكام، مع أنه رجل مسحور، قد يتكلم بالباطل، وقد يكون تصرفه لا يرضي الله تعالى؟ !

إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً:

و الذي يؤكد لنا: أن ثمة يدا تحاول الطعن في النبوة، بل وفي الدين

ص: 225

كله. . أن هؤلاء أرادوا استصدار اعتراف من المسلمين أنفسهم، و من أقرب الناس لرسول الإسلام «صلى الله عليه وآله» بأن نبيهم رجل مسحور لا يصح اتباعه، ولا مجال لتصديقه.

وقد اقتدوا في ذلك بأسلافهم، أعداء الأنبياء، الذين حكى الله عنهم:

أن الاتهام بالوقوع تحت تأثير السحر هو أحد الوسائل التي اتبعوها لإسقاط دعوات الأنبياء السابقين، قال تعالى حكاية لقول فرعون: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (1).

ويقول سبحانه عن الظالمين: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (2).

وقال: إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (3).

وقد أخذ هؤلاء على عاتقهم خدمة هذا الكيد الشيطاني، بنسبتهم هذه الأباطيل إلى ساحة قدس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، مع أن الله سبحانه قد نزهه عنها.

حفظ الله تعالى لأنيائه عليهم السلام:

و حين نحكم بكذب الروايات التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سحر فعلا، فذلك لا يعني: أننا نريد نفي أن يكون اليهود و غيرهم قد بذلوا بعض المحاولات في هذا المجال.

ص: 226

1- الآية 101 من سورة الإسراء.

2- الآية 8 من سورة الفرقان.

3- الآية 47 من سورة الإسراء.

بل إن ذلك: هو المتوقع منهم، والمظنون بهم، ولعل هذه المحاولات قد تكررت و تنوعت. .

ولكننا نقول:

إن جميع محاولاتهم قد باءت كلها بالفشل الذريع، و مني الذين قاموا بها بالخيبة القاتلة و الخسران المبين، و فضحهم الله على لسان رسوله «صلى الله عليه و آله» ليكون ذلك معجزة له، من حيث إنه إخبار لهم بما أسروا من ذميم الفعل، و خبيث النوايا. .

كما أن ما فعلوه لم يكن له أي تأثير على دعوته «صلى الله عليه و آله» .

و خير دليل على ذلك: أنه لم يمكن لهم التعلق بشيء من ذلك طيلة كل هذه الأحقاب المتמادية. . و بقيت صورة نبينا الأكرم «صلى الله عليه و آله» تزداد تألقا و سطوعا جيلا بعد جيل، و قرنا بعد قرن. .

هل كان يهودي يخدم رسول الله صلى الله عليه و آله؟ !

و كان النبي «صلى الله عليه و آله» قد حارب يهود بني قينقاع، و النضير، و قريظة، و قد قتل المسلمون عددا من زعماء اليهود الآخرين، الذين كانوا يعيشون في المنطقة، من الذين جاهروا بالعداوة لهم و حالفوا أعداءهم، و ساعدوا و سعوا في إثارة الحروب ضدهم، و لم يزل يهود المنطقة في خيبر، و تيماء، و وادي القرى على هذه الحال معهم أيضا. .

فكيف يرضى النبي «صلى الله عليه و آله» و الحال هذه، بأن يخدمه ذلك اليهودي، الذي يرى نفسه موتورا، و لا تصفو نفسه لواتره؟ !

خصوصا مع وجود التأكيدات القرآنية المتضافرة على شدة عداوة

اليهود للمسلمين، كما في قوله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا. (1).

ألم يكن في المسلمين من يقوم بهذه الخدمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى احتاج إلى خدمة يهودي؟!

يضاف إلى ذلك: أنهم يقولون: إن لبید بن الأعصم كان موسراً كثير المال (2).

و من كان كذلك: فإنه لا يرضى عادة بأن يكون خادماً لأحد، وإن رضي بذلك للتوصل إلى أهداف شريفة، فإنه سيكون موضع ريب وشك من كل أحد وسوف يتساءل الناس كلهم، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً عن سبب إقدام هذا الرجل على خدمة رجل ليس على دينه، بل هو يماذيه، وقد كانت بينه وبين قومه حروب هائلة.

على أن بعض روايات السحر قد ذكرت: أن غلاماً مربييد وفي أذنه قرط فجذبته، فخرم أذن الصبي، فأخذ فقطعت يده، فكوي منها فمات (3).

فإن عقوبة من خرم أذن صبي ليست هي قطع يده.

كما أن اليد إذا كويت لا يموت صاحبها.

ص: 228

1- الآية 82 من سورة المائدة.

2- دعائم الإسلام ج 2 ص 138.

3- دعائم الإسلام ج 2 ص 138 و مستدرك الوسائل ج 13 ص 108 و البحار ج 60 ص 22.

الرسول صلى الله عليه وآله بدون شعر!!

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن شعر رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد انتشر بواسطة السحر . .

وهذا أمر عجيب وغريب، لم نعهده في سحر الساحرين، ولا قرأناه في تاريخ هذا النبي الأمين «صلى الله عليه وآله»، فلو كان ذلك قد حصل فعلا لاعتبره المؤرخون مفصلا تاريخيا في حياته «صلى الله عليه وآله» . . و لكان قد بقي في ذاكرة الأجيال المتعاقبة كما بقيت قصة بدر، وأحد، وغيرهما .

وكما حفظ لنا التاريخ حديث الطائر المشوي، وحديث تصدق علي «عليه السلام» بخاتم في الصلاة، وحديث الغدير، وما إلى ذلك . .
يضاف إلى ذلك: أن هذا الأمر لو حدث فعلا فسنجد عائشة تحاول بما لا مزيد عليه نشره، والتهويل به، والإمعان في وصف جزئياته، وحالاته وتحولاته . .

كما أن ذلك سوف ينقص قدره لدى زوجاته، ويثير فيهن حالات من الاستغراب، وقد يصل الأمر ببعضهن إلى حد إظهار الاشمئزاز من حالته . . مع أن شيئا من ذلك لم يحدث، أو أننا على أقل تقدير لم نسمع بما يشير إلى شيء من ذلك .

تصنيف الروايات المتقدمة:

والناظر في الروايات المتقدمة يخرج بحقيقة: أنها رغم دلالتها على تعدد محاولة التوسل بالسحر للتأثير على النبي «صلى الله عليه وآله» . فإنه لا بد من تصنيفها في دائرتين:

إحدهما: دائرة المقبول والمعقول. وهو ما دل على تأثير السحر في جسد الرسول، من حيث إيجابه مرضاً، أو ضعفه، أو تعباً، فإن الأمراض مما يجوز حصوله للأنبياء، والسحر من أسبابها العادية، فلا يضر عروض المرض لهم، ولا يوجب نقصاً في محلهم، ولا في مراتبهم.

تماماً كما جرى لأَيُّوب «عليه السلام»، الذي قال الله تعالى عنه: **وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (1)**.

حيث دلت هذه الآية وكذلك الروايات الواردة في تفسيرها، على أنه لا مانع من تأثير السحر في تسليط بعض الأرواح الشريرة على أبدان الأنبياء «عليهم السلام» لإتباعهم، وإيدائهم، ويكون ذلك من موارد امتحان الأنبياء «عليه السلام» لإظهار مدى صبرهم، وعظيم تحملهم و حقيقة ملكاتهم، وقدراتهم في مواجهة المصائب والمصاعب.

الثانية: أن الأنبياء «عليهم السلام» محفوظون من السحر الذي يؤثر في إفساد عقولهم، والعبث بقدراتهم، في مجال الفهم، والإدراك، والتمييز، وما إلى ذلك.

وكلامنا إنما هو في إبطال الروايات التي تنحو هذا المنحى وتريد إثبات تأثير السحر في هذه المجالات. أما التي هي من النوع الأول فلسنا بصدد إثباتها ولا نفيها.

هذا، وهناك أمور أخرى يمكن أن تذكر في جملة المؤاخذات على الروايات المذكورة، غير أننا نكتفي بما ذكرناه آنفاً. والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

ص: 230

الفصل الأول: بيانات تمهيدية

الفصل الثاني: كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى كسرى

الفصل الثالث: كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى قيصر

الفصل الرابع: كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى المقوقس

الفصل الخامس: كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى النجاشي الثاني

ص: 231

وفي سنة ست (1) أو في سنة سبع (2) كان إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» الرسل إلى ستة من الملوك، الذين يتحكمون في شعوب الأرض، فقد

ص: 235

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 288 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 210 و الجامع للقيرواني ص 287 و البداية و النهاية ج 4 ص 262 و البحار ج 20 ص 382 و مروج الذهب ج 2 ص 289 و فتح الباري ج 8 ص 98 و ج 10 ص 274 و سفينة البحار ج 1 ص 376 و تحفة الأحوذى ج 7 ص 417 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 398 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3209 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 258 و تاريخ مدينة دمشق ج 45 ص 430 و الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 1 ص 315 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 344.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 عن الوفاء، و المواهب اللدنية، و أسد الغابة ج 1 ص 62 و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج 1 ص 258 و التنبيه و الإشراف ص 225 و تاريخ أبي الفدا ج 1 ص 148 و الطبقات الكبرى ج 1 ق 2 ص 15 و وفاء الوفاء ج 1 ص 315 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 6 و أعيان الشيعة ج 1 ص 243 و عن فتح الباري ج 10 ص 274 و عن الكامل لابن عدي ج 4 ص 1565 و تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 357 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 344.

أرسل في ذي الحجة الحرام، أو في أواخره (1) أو في المحرم (2) ستة نفر في يوم واحد (3) فخرجوا مصطحين (4).

وقد كتب إليهم وإلى غيرهم من الملوك، والرؤساء، في داخل بلاد الإسلام وخارجها.

وكانت اللغة التي كتب إليهم بها هي العربية، والتي هي لغة القرآن والإسلام.

الملوك الستة الذين كتب إليهم:

و الملوك الستة الذين كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم هم:

1- النجاشي، ملك الحبشة.

2- قيصر، ويقال: هرقل، عظيم الروم.

3- كسرى، حاكم فارس والمدائن.

4- المقوقس، صاحب الإسكندرية (مصر).

5- الحارث، والي تخوم الشام ودمشق.

6- ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيين، ملكي اليمامة، وقانديها.

ص: 236

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 288.

2- تاريخ الخميس ج 2 ص 29.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 عن المواهب اللدنية.

4- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 عن المنتقى و تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 288 والبحار ج 20 ص 382.

أما الذين حملوا الكتب إلى هؤلاء فهم:

1- عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي.

2- دحية بن خليفة الكلبي، إلى قيصر.

3- عبد الله بن حذافة السهمي، إلى كسرى.

4- حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، إلى المقوقس.

5- الشجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

6- وسليط بن عمرو العامري، إلى ثمامة وهوذة.

التاقل عن تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وآله:

و الظاهر هو: أنه قد كان ثمة رهبة شديدة و خوف عظيم لدى بعض المسلمين من هذا الأمر، حتى إن الرسل أنفسهم أظهروا تثاقلا عن تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد يكون من أسباب ذلك خوفهم من بطش أولئك الملوك بهم، و ذلك في سورة غضب شديد توقعوها منهم حين تسليم الرسائل إليهم، فقد قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال:

يا أيها الناس، إن الله بعثني رحمة و كافة؛ فأدوا عني يرحمكم الله، و لا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى!!

و قال: «انطلقوا و لا تصنعوا كما صنع رسل عيسى بن مريم» .

فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟! .

فقال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه . فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي

وسلم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه، و ثقّل.

فشكى ذلك عيسى إلى الله تعالى؛ فأصبح المتناقلون، كل واحد منهم يتكلم بلسان الأمة التي بعث إليها (1).

وقد اعتبر الواقدي: أن من معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه حين بعث نفر الستة إلى الملوك: «أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثهم إليهم» .

وقالوا: «كان ذلك معجزة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» . .» (2).

وعلى كل حال. . فإن هذا الحديث يدل: على أنه قد جرى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مع من أرسلهم إلى الملوك، نفس ما جرى لعيسى مع الحواريين. . فظهر مصداق ما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من

ص: 238

-
- 1- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 و 30 عن الإكتفاء وكنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 418 و 419 و (ط مؤسسة الرسالة) ج 10 ص 633 و 634 و 635 و ج 11 ص 644 و السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 254 و 255 و المعجم الكبير ج 25 ص 232 و 233 و عن ج 20 ص 8 و الكامل لابن عدي ج 4 ص 1561 و حياة الصحابة ج 1 ص 101 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 190 و 191 و نشأة الدولة الإسلامية ص 75 و الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج 1 ق 2 ص 15 و 19 و السيرة الحلبية ج 3 ص 241 و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج 3 ص 56 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 289 و الآحاد و المثاني ج 1 ص 445 و الأحاديث الطوال ص 60 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 184 و 185 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 650.
 - 2- تاريخ الخميس ج 2 ص 29 عن الواقدي.

أن هذه الأمة سوف تسير على سنن من قبلها حذو القذة بالقذة، و مطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوا فيه. .

لماذا باللغة العربية؟ !

إن ههنا سؤالاً يفرض نفسه، و يلح بطلب الإجابة عليه، و هو: أن الله سبحانه قد بعث محمدا «صلى الله عليه و آله» نذيراً للبشر كلهم، أبيضهم و أسودهم، عربهم و عجمهم، قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ (1).

و كان «صلى الله عليه و آله» يكلم كل قوم بلسانهم، فلماذا كتب لملوك الأرض كلهم باللغة العربية، و لم يكتب لهم بلغاتهم الخاصة بهم؟ !

و الجواب:

أولاً: من الطبيعي أن الإسلام يملك قيما حضارية و مبادئ إنسانية يريد لها أن تحكم العالم، و تهيمن عليه، فلا غرو أن يسعى لفرض لغته و مصطلحاته الخاصة به على الشعوب كلها، و اللغة هي الصلة بين جميع اتباع هذا الدين من هذه الأمة التي يفترض فيها أن تعيش تلك القيم، و تركز في تعاملها و سلوكها إلى تلك المبادئ. لأن المطلوب هو: أن تتحول تلك المبادئ و القيم إلى مشاعر و أحاسيس، و أن يكون لها دور في صنع خصائص الشخصية الإنسانية، و تصبح هي عينه التي ينظر بها، و أذنه التي يسمع بها، و لسانه المعبر عن حقيقته الباطنية، و حركته العفوية، و تكون

ص: 239

لمحاته، ولفتاته، وكل مظهر من مظاهر الحياة والوعي لديه.

وتكون الكلمة، واللغة، والمصطلح الإيماني هو ذلك المحرك القوي، الذي يطلق في حنايا الروح، وفي أعماق الضمير والوجدان الإنساني شحناته الرافدة لمشاعره وأحاسيسه، والغامرة لها بفيوضات من معاني القيم، والمثل العليا.

ومن أجل ذلك كله، نقول:

إنه لا بد من أن تفرض لغة القيم نفسها على البشرية كلها، وإن احتفظت الشعوب بلغاتها الخاصة بها فإنما ذلك من أجل أن تكون وسيلتها في تلبية حاجاتها في مفردات ومجالات ليست لها علاقة مباشرة بمعاني القيم ونظام المثل والمبادئ.

ولهذا كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك العالم باللغة العربية، ولم يكتب لهم بلغاتهم التي يتكلمون بها.

ثانيا: إن وحدة اللغة فيما يرتبط بالقيم الإنسانية ومناهج الدين، تعطي الشعوب الإحساس الوجداني العميق بالرابط القيمي فيما بينها وبين الشعوب الأخرى، وتؤكد شعورها بالقواسم المشتركة في مفردات الدين والإيمان. .

ولذلك أنزل الله القرآن، وهو كتاب العالم بأسره باللغة العربية، وجعل لقراءته ثوابا، ورتب أحكاما، كما أنه قد شرع الصلاة، والأدعية، والزيارات، وبعض العقود وغيرها باللغة العربية أيضا.

ثالثا: إن الأمم الراقية تسعى لنشر لغتها في الشعوب على مستوى العالم بأسره، وذلك على حد قول العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «إعمالا للسيادة،

و يعدّ هذا من أسباب قوة الدعوة، و ثباتها، و تعزيزها في وجدان الناس، و في عقولهم، و في حياتهم العملية أيضا. .

تفاوت مستويات الرسائل العربية:

وقد يلاحظ: أن كتب النبي «صلى الله عليه وآله»، و رسائله، و عهوده، و إقطاعاته، تختلف و تتفاوت من حيث اشتمالها على الألفاظ الوحشية و الغريبة فيها تارة، و خلوها من ذلك أخرى، و من حيث سهولة التعبير و حزونه فيها، و غير ذلك من خصوصيات. .

و السبب في ذلك هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يكلم الناس، و يكتب لهم على قدر عقولهم، و حسبما ألفوه من لغاتهم، و يصوغ لهم العبارات، و يورد التراكيب وفق ما هو متداول فيما بينهم، فأوجب ذلك اختلاف كلماته معهم، و رسائله لهم، من حيث و عورة الألفاظ و عدوبتها، و سهولة التراكيب و تعقيدها. «اتساعا في الفصاحة، و استحداثا للآلفة و المحبة، فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن، و أرق من المزن، و يخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب، و أرهف من القضب» (2).

و كلا هذين النوعين من الكلام بليغ و فصيح، فإن الغريب و الوحشي لم يكن وحشيا و لا غريبا بالنسبة للذين خاطبهم به، بل هو فصيح بالنسبة

ص: 241

1- مكاتيب الرسول ج 1 ص 84.

2- مكاتيب الرسول ج 1 ص 80 و كنز العمال ج 10 ص 617 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 ص.

إليهم، بل هذا النمط هو أعلى درجات البلاغة والفصاحة عندهم.

بل قد يقال: إن ما ظهر في لهجات و لغات كثير من القبائل من هنات و هنات (1) كان يعدّ هو الفصاحة بعينها بالنسبة لتلك القبائل.

ولغة قريش فقط هي التي سلمت من أمثال هذه الهنات، فكانت هي الأفصح، والأجمل، والأصفى، وكان «صلى الله عليه وآله» من قريش، فكان «صلى الله عليه وآله» أفصح العرب، أو أفصح من نطق بالضاد حسبما روي عنه (2).

الكتابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا ريب في أن الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة في أول البعثة النبوية الشريفة كانوا قليلين .

ولكن توسع الإسلام، خصوصاً بعد الهجرة، و ظهور حاجة الناس في كثير من شؤون حياتهم وعلاقاتهم إلى القراءة والكتابة، وتشجيع الإسلام على تعلّمها، وقد بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» في حثه على كتابة العلم،

ص: 242

1- راجع: دائرة المعارف ج 6 ص 277-281 و الوسيط في الأدب العربي.

2- راجع: الإختصاص ص 83 و شرح الشفاء للقاري ج 1 ص 195 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 178 و شرح أصول الكافي ج 9 ص 322 و نور البراهين ج 1 ص 120 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 81 و تذكرة الموضوعات ص 87 و كشف الخفاء ج 1 ص 200 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 32 و سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 429 و ج 2 ص 103 و القاموس المحيط ج 1 ص 6 و مغني اللبيب ج 1 ص 114 و السيرة النبوية لدحلان ج 2 و غير ذلك.

وعلى كتابة القرآن، والسنة، الغاية، ووافى على النهاية، إلى حد أن جعل فداء الأسير في بدر، هو أن يعلم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة (1).

وكان «صلى الله عليه وآله» أمر عبد الله بن سعيد بن العاص: أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان محسناً (2).

وقد ذكر العلامة الأحمدي «رحمة الله» في كتابه «مكاتيب الرسول» العديد ممن صرحوا: بأنهم كتبوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في مختلف المجالات، فلا بأس بمراجعة ذلك الكتاب.

لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يكتب بيده:

وكانت طريقته «صلى الله عليه وآله» في كتابة رسائله وغيرها، هي: أنه يملئ، والكاتب يكتب، ولم نجد ما يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب بيده إلا ما تقدم عن البراء بن عازب في قصة الحديبية، حيث قال:

ص: 243

-
- 1- التراتيب الإدارية ج 1 ص 84 و 49 عن المطالع النصرية للهوريني، وعن السهيلي، ومسند أحمد ج 1 ص 247 والروض الأنف ج 3 ص 83 والإمتاع ص 101 وتاريخ الخميس ج 1 ص 395 والسيرة الحلبية ج 2 ص 193 وطبقات ابن سعد (ط ليدن) ج 2 ق 1 ص 14 ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية) ص 48 والبحار ج 19 ص 355 والمستدرک للحاکم ج 2 ص 140 ومجمع الزوائد ج 4 ص 96 والبداية والنهاية ج 3 ص 397 والسيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 512.
 - 2- نسب قريش لمصعب الزبيري ص 174 والإصابة ج 1 ص 344 عنه والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج 2 ص 372 وأسد الغابة ج 3 ص 175 وراجع: السنة قبل التدوين ص 299 ومكاتيب الرسول ج 1 ص 105 و 394.

«فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الخ.». (1).

وقد قالوا: إن الروايات الأخرى قد صرحت: بأن عليا «عليه السلام» قد امثل أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكتب ما أمر به.

فيكون المراد: أنه أمر عليا «عليه السلام» بالكتابة، فكتب، و ما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: أنه محا الكلمة السابقة فقط.

ولكن ذلك لا يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف القراءة والكتابة، عن طريق التعليم الإلهي الموجب لظهور المعجزة له في ذلك. . كما أثبتناه في كتابنا «مختصر مفيد» (2).

و كان عدم تصديه لكتابة رسائله وغيرها مراعاة للعرف السائد آنذاك، و لذلك لم يكن الخلفاء بعده يتصدون للكتابة بأنفسهم أيضا، بل كانوا يملون على الكاتب، و هو يكتب. . إلا إذا كانت هناك ضرورة لتصديهم للكتابة بأنفسهم. .

ص: 244

-
- 1- راجع: البحار ج 20 ص 372 و 352 و مسند أحمد ج 4 ص 298 و الكامل في التاريخ ج 2 ص 204 و الأموال ص 158 و سنن الدارمي ج 2 ص 238 و السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 5 و كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 303 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 435 و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 93 و 96 و صحيح البخاري ج 4 ص 71 و ج 5 ص 84 و صحيح مسلم ج 5 ص 174 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 173 و شرح الشفاء للقاري ج 1 ص 727 و 729 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 34.
 - 2- مختصر مفيد ج 1 ص 11.

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في مدة من الزمن يكتب: «باسمك اللهم» .

ثم صار يكتب: «بسم الله» .

ثم صار يكتب: «بسم الله الرحمن» .

ثم صار يكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

فقد روي عن الشعبي، أنه قال:

كان أهل الجاهلية يكتبون: «باسمك اللهم» .

فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» أول ما كتب: «باسمك اللهم» ، حتى نزلت: . . بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا . (1)، فكتب: «بسم الله» .

ثم نزلت: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ . (2). فكتب: «بسم الله الرحمن» .

ثم أنزلت الآية التي في طس: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3). فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم» (4).

ص: 245

1- الآية 41 من سورة هود.

2- الآية 110 من سورة الإسراء.

3- الآية 20 من سورة النمل.

4- راجع: المصادر التالية: الدر المنثور ج 5 ص 106 و 107 عن عبد الرزاق، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأبي عبيد في فضائله، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي داود في المراسيل، وكنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 194 و التنبيه والإشراف ص 225 و العقد الفريد ج 4 ص 158 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 140 و مستدرك الوسائل ج 8 ص 432 و 433 و السيرة الحلبية ج 3 ص 20 و ج 1 ص 249 و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 92 و ج 13 ص 194 و الوزراء و الكتاب للجهمشيري ص 13 و 14 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 263 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 105 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 8 و المراسيل لأبي داود ص 90 و التفسير الكبير للرازي ج 1 ص 200 و روح المعاني ج 1 ص 27 و ثمرات الأوراق (بهامش المستطرف) ج 2 ص 105 و عمدة القاري ج 5 ص 291.

زاد في السيرة الحلبية بعد قوله: فكتب أول ما كتب: «باسمك اللهم وكتب ذلك في أربعة كتب» (1).

ونقول:

إننا بغض النظر عن الطعون التي ربما يشار إليها فيما يتعلق بالشعبي نفسه، فضلا عما يروي عنه، وبقطع النظر عن أن الشعبي لم يكن حاضرا ولا ناظرا لما يجري في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نقول:

أولا: إن آية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قد نزلت قبل سورة النمل، وقبل آية: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ . . . وقبل آية: . . . بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا . . . بل هي قد بدأت تنزل مرة بعد أخرى من أول البعثة، وإلى حين وفات النبي، وكان «صلى الله عليه وآله» ولم يزل منذ بعثه الله نبيا يصلي و يقرأ بفاتحة الكتاب، المشتملة على آية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

وقد ذكرنا في كتابنا «حقائق هامة حول القرآن الكريم»: أن المروي عن

ص: 246

الإمام الصادق «عليه السلام» (1)، وعن ابن عباس، وعثمان بن سعيد بن جبير:

أنهم كانوا لا يعرفون (أو كان النبي لا يعرف) انتهاء السورة السابقة، وبدء السورة اللاحقة إلا بنزول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2).

ص: 247

- 1- تفسير العياشي ج 1 ص 19 و مصباح الفقيه (كتاب الصلاة) ص 76 و البحار ج 89 ص 236 و نور الثقلين ج 1 ص 6.
- 2- راجع: الدر المنثور ج 1 ص 7 و ج 3 ص 208 عن أبي داود، و البزار، و الدارقطني في الأفراد، و الطبراني، و الحاكم، و صححه، و البيهقي في المعرفة، و في شعب الإيمان، و في السنن الكبرى، و عن أبي عبيد، و الواحدي، و فتح الباري ج 9 ص 39 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 16 و نيل الأوطار ج 2 ص 228 و مستدرك الحاكم ج 1 ص 231 و 232 و صححه على شرط الشيخين، و تلخيص المستدرك للذهبي، بهامشه، و أسباب النزول للواحد ص 9 و 10 و السنن الكبرى ج 2 ص 42 و 43 و محاضرات الأدباء المجلد الثاني، الجزء 4 ص 433 و الإتيان ج 1 ص 78 و بحوث في تاريخ القرآن و علومه ص 56 و 57 و راجع ص 55 عن بعض من تقدم، و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 95 و عمدة القاري ج 5 ص 292 و نصب الراية ج 1 ص 327 و المستصفى ج 1 ص 103 و فواتح الرحموت (بهامشه) ج 2 ص 14 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 34 و التفسير الكبير ج 1 ص 208 و غرائب القرآن بهامش الطبري ج 1 ص 77 و المصنف للصنعاني ج 2 ص 92 و مجمع الزوائد ج 6 ص 310 و ج 2 ص 109 عن أبي داود، و البزار، و كنز العمال ج 2 ص 368 عن الدارقطني في الأفراد، و التمهيد في علوم القرآن ج 1 ص 212 عن الحاكم و يعقوبي، و سنن أبي داود ج 1 ص 209 و المنتقى ج 1 ص 380 و تبين الحقائق ج 1 ص 113 و كشف الأستار ج 3 ص 40 و مشكل الآثار ج 2 ص 53 و المراسيل لأبي داود السجستاني ص 90 و أحكام القرآن للجصاص ج 1 ص 15 و ذكر أخبار إصبهان لأبي نعيم ج 2 ص 356 و المستدرك على الصحيحين ج 2 ص 611 و الكامل لابن عدي ج 6 ص 3039 و ج 3 ص 1039 و الضعفاء الكبير للعقيلي ج 2 ص 35 و المعجم الكبير ج 12 ص 82 و البيان في تفسير القرآن ص 442 و عن فتح الباري ج 9 ص 35 و تفسير أبي حمزة الثمالي ص 106 و الدر المنثور ج 1 ص 7.

فلماذا عمل «صلى الله عليه وآله»، واستن بآية: . . بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا. . واستن بآية: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرِّحْمَنَ. . ولم يعمل و لم يستن بسم الله الرحمن الرحيم التي رافقته في جميع السور منذ بعثته، وإلى حين وفاته؟! . .

ثانيا: يضاف إلى ذلك: أن كتب الله تعالى كلها قد افتتحت بقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. وكانت هذه الكلمة أول كل كتاب نزل من السماء، فلماذا لم يستن بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما استن بآية: . . بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا. . ، وبغيرها من الآيات المتقدمة؟! !

فراجع الحديث المروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بسم الله الرحمن الرحيم: مفتاح كل كتاب» (1).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: ما أنزل الله من السماء كتابا إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم» (2).

ص: 248

-
- 1- كنز العمال (ط الهند) ج 10 ص 493 و الدر المنثور ج 1 ص 10 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 56 و ميزان الحكمة ج 2 ص 1366 و ج 3 ص 2664 و الجامع الصغير ج 1 ص 481 و شرح مسند أبي حنيفة ص 5 و فيض القدير ج 3 ص 294 و فتح القدير ج 1 ص 19.
 - 2- جامع أحاديث الشيعة ج 5 ص 116 و 117 عن الكافي، والمحاسن، وعن السيرة الحلبية ج 3 ص 240 و مستدرك الوسائل عن العياشي، و نور الثقلين ج 1 ص 6 و ج 2 ص 238 عن العياشي، والكافي، والبرهان ج 1 ص 42 و الوسائل ج 4 ص 747 و البحار ج 82 ص 20 و ج 89 ص 236 و ج 92 ص 234 و 236 و تفسير العياشي ج 1 ص 19 و تفسير كنز الدقائق ج 1 ص 31، وراجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج 1 ص 56 و ج 3 ص 505 و 506 عن مصادر كثيرة.

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: أول كل كتاب نزل من السماء: «بسم الله الرحمن الرحيم» (1).

ثالثا: ومع غض النظر عن هذا وذاك، فإننا لم نجد هذه الكتب المبدوءة بـ «باسمك اللهم». أو بـ «بسم الله» أو بـ «بسم الله الرحمن» رغم بحثنا عنها، وما ادّعاه الحلبي، لو صدقناه فيما ادّعاه، لم نستطع أن نجد له شاهدا يثبت، ولا مصداقا يمكن الاعتماد عليه.

رابعا: قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «أما ما نقل عنه «صلى الله عليه وآله» من الكتب، وليس فيها البسملة فمن آفات الرواة، و تلخيص الناقلين، وعدم اهتمامهم ببعض الأمور.

وأما ما أخرجه السيوطي من كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل نجران، فسيأتي الكلام عليه في ذكر وفد نجران. مع أن المنقول في جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 76 عن صبح الأعشى ج 6 ص 38 و 381 هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، إله إبراهيم.». الخ.

وأضف إلى ما ذكرنا: ما سيأتي من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

ص: 249

1- الكافي ج 3 ص 313 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 4 ص 746 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 56 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 6 و ج 3 ص 84 و تفسير كنز الدقائق ج 1 ص 31.

كتب للداريين بمكة، سنة خمس أو ست، من البعثة، أو قبلها، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم» انتهى (1).

البدء باسمه الشريف:

ويلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في كتبه يقدم اسمه الشريف موصوفا بوصف الرسالة أو النبوة، فيكتب مثلا: من محمد رسول الله إلى فلان. أو من محمد النبي لفلان. أو هذا ما كتبه النبي محمد لفلان. .

ويصرح باسم المرسل إليه، وربما وصفه: بأنه عظيم الروم مثلا، أو صاحب مملكة كذا، أو نحو ذلك.

وذلك-كما يقول العلامة الأحمدي «رحمه الله»- تعظيما منه للنبوة، و ترفيعا لمقام الرسالة. . إلى أن قال: إذ كما يجب على غيره أن يعظم ساحتها المقدسة السامية، يلزم على نفسه الكريمة أيضا أن يحفظها ويصونها، وأن لا يضعها ولا يذلها.

ألا ترى: أنه يجب عليه «صلى الله عليه وآله» أن يصلي على نفسه في الصلاة، وأن يشهد لنفسه بالنبوة، فيقول: أشهد أن محمدا عبده ورسوله، واللهم صل على محمد وآل محمد.

وليس ترفيعا، أو إكبارا، أو إعظاما في الحقيقة، بل هو وضع للشيء في موضعه (2).

ص: 250

1- مكاتيب الرسول ج 1 ص 65 و ج 3 ص 505 و 509 والآحاد والمثاني ج 5 ص 12 و تاريخ مدينة دمشق ج 11 ص 65.

2- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 67 و 68.

وقد أغضب تقديمه اسمه الشريف على اسم المكتوب له، كسرى ملك الفرس، فمزق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» (1).

كما أن أخا قيصر، أو ابن عمه أراد أن يخرق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لنفس السبب، فمنعه قيصر من ذلك، وقال له:

«إنك أحق صغير، أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟! ولعمري، إن كان رسول الله لنفسه أحق أن يبدأ بها مني» (2).

الحمد والتسليم:

و كان يكتب أيضا: «سلم أنت» أو «سلام عليك» أو «سلام على من آمن بالله» .

و كان يكتب: «أحمد الله إليك» أو «أحمد إليك الله» أي أهدي إليك حمد الله. و كان ذلك تحية يكتبونه في افتتاح كتبهم (3).

ص: 251

1- المعجم الكبير ج 4 ص 225 و دلائل النبوة لأبي نعيم ص 153 و عن فتح الباري ج 8 ص 165 و كنز العمال ج 10 ص 585 و 635 و تاريخ مدينة دمشق ج 17 ص 209 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 552 و البداية و النهاية ج 4 ص 304 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 505 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 353.

2- مكاتيب الرسول ج 1 ص 69 و الدر المنثور ج 4 ص 156 و مجمع الزوائد ج 5 ص 308 و ج 8 ص 236.

3- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 67 و 68 و ج 2 ص 373 و 649 و ج 3 ص 548 و أشار في هامشه إلى: التراتيب الإدارية ج 1 ص 137 و 138 عن صبح الأعشى، و إكمال الدين ص 571 و الغارات ج 1 ص 210 و كنز الفوائد ص 249 و البحار ج 22 ص 87 و ج 51 ص 249 و عن ج 74 ص 162 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 273 و المعجم الصغير ج 1 ص 151 و كنز العمال ج 15 ص 746 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 385 و مجمع البحرين ج 1 ص 569.

و كذلك كان يكتب أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ، وأم سلمة في كتابها إلى عائشة حين نهتها عن الخروج قبل وقعة الجمل .

إِتْخَاذُ الْخَاتَمِ:

و يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ الخاتم في سنة ست، و به ختم الكتب التي أرسلها إلى الملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام. .
و زعم المؤرخون: أنه «صلى الله عليه وآله» لما أراد أن يكتب إلى الملوك، قيل له: إنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم، أو مختوما. فصاغ النبي «صلى الله عليه وآله» خاتما من ذهب. و اقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب.

فلما لبس رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاتمه، لبسوا أيضا خواتيمهم.

فجاء جبرئيل «عليه السلام» من الغد، وقال: لبس الذهب حرام لذكور أمتك. فطرح النبي «صلى الله عليه وآله» خاتمه، و طرح أصحابه أيضا خواتيمهم.

ثم اتخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاتما حلقتة وفصّه من فضة، و نقش فيه محمد رسول الله: محمد سطر. و رسول سطر. و الله سطر. و نهى أن ينقش عليه أحد.

و اقتدى به أصحابه، فاتخذوا خواتيمهم من فضة (1).

ص: 252

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 29. و راجع: البداية و النهاية ج 5 ص 356 و ج 6 ص 2 و 3 و 4 و البحار ج 7 ص 202 و 204 و سنن أبي داود ج 4 ص 88 و 89 و الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج 1 ق 2 ص 165 و عن فتح الباري ج 10 ص 269 و السيرة الحلبية ج 3 ص 240 و 241 و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج 3 ص 55 و 56 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 179.

1-إن اتخاذ الخاتم والختم في آخر الكتاب، إنما هو من أجل المنع من الزيادة فيه.

كما أن ختمه بعد طيه و جعل الختم على شيء رطب من الطين ونحوه، إنما هو من أجل أن لا يفضه حامله أو غيره، و يطلع على ما فيه غير المكتوب إليه، ولكي لا يزداد فيه، ولا تحرف بعض كلماته (1).

2-إن حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ أولاً خاتماً من ذهب. و لبسه حتى جاءه جبرئيل، وأخبره أن الذهب حرام على ذكور الأمة. . لا يمكن قبوله.

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه.

فإن كان قد فعل ذلك حقاً فلا بد أن يكون قد فعله عن أمر الله تعالى، و بإذن منه. .

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن لينفق أموالاً على خاتم له من ذهب، و هو ما لا يقدم على اتخاذه إلا ذوو اليسار من أصحابه، كما صرحت به الرواية، بل كان يساوي نفسه في مأكله و ملبسه و مشربه

ص: 253

1- راجع: الجامع الصغير للقيرواني ص 287 و السيرة الحلبية ج 3 ص 240 و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج 3 ص 55.

بالضعفاء منهم، كما هو معلوم في سيرته. .

و الصحيح: هو أنه اتخذ خاتماً من فضة، فاقتدى به من شاء من أصحابه.

النبي صلى الله عليه وآله يؤرخ رسائله:

وقد ذكرنا في هذا الكتاب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وضع التاريخ الهجري، وأنه كان يؤرخ به رسائله، وغيرها. .

فراجع فصل: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة، لتجد صحة ما ذكرناه.

كتب دعوة لا كتب حرب:

إن الكتب التي أرسلها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك قد تضمنت دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وإلى الإسلام. .

ولم نجد فيها: أية إشارة إلى الحرب، ولا إلى إلزامهم بالجزية لو امتنعوا من الإسلام. . وذلك لأن الهدف هو نشر الدين بإطلاق نداء الضمير، والوجدان، والفطرة، والالتزام بحكم العقل، وإتمام الحجة عليهم. . والقصد إنما هو إلى إسعاد الناس، وتوجيههم نحو الحياة الكريمة والطيبة، حيث العظمة والمجد، والسودد، من دون أن تكون هناك أي امتيازات ظالمة لأحد.

وليس القصد الاستيلاء على بلاد الناس ولا قهرهم، أو إذلالهم، أو أي نوع من أنواع الإيذاء لهم. .

من أجل ذلك نلاحظ: أن هؤلاء لم يناؤا في الأكثر بأنفسهم عن الإسلام، بل قبله بعضهم، وأجاب بعضهم بجواب لين، ظهرت فيه أمارات التردد، بسبب وساوس شيطانية، ومخاوف غير واقعية على ملكهم

وسلطانهم، أو على بعض امتيازاتهم فيه.

وما أشبه الليلة بالبارحة، حيث كان المستضعفون في مكة قد قبلوا الإسلام في بدء الدعوة، فلما عرف أسيادهم والمستكبرون من عظمائهم وأشرافهم بالأمر، لا موهم على ذلك، و منعوهم منه، و واجهوا من أصر على موقفه بالعنف و القسوة البالغة.

فقد ذكروا: أنه لما أظهر رسول الله «صلى الله عليه و آله» الإسلام أسلم أهل مكة كلهم، و كانوا يجتمعون على الصلاة حتى ما يستطيع بعضهم أن يسجد من كثرة الزحام، و ضيق المكان، حتى قدم رؤوس قريش: الوليد بن المغيرة، و أبو جهل بن هشام-بالطائف في أراضيهم- فقالوا: تدعون دين آبائكم؟! فكفروا (1).

و هذا بالذات ما جعل ملوك الأرض-باستثناء بعضهم- يواجهون دعوته «صلى الله عليه و آله» لهم، بمزيد من التروى، و المرونة، و أرسلوا إليه بكتب نصحت بالإكرام و الإعظام، و بعثوا إليه بالتحف و الهدايا، و قد قال قيصر لأخيه حين طلب منه أن يرمي الكتاب من يده: أترى أرمي كتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر؟!

و قد أسلم النجاشي ملك الحبشة.

و المنذر بن ساوى ملك البحرين.

ص: 255

1- تاريخ يحيى بن معين ج 3 ص 53 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 490 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 188 و مجمع الزوائد ج 2 ص 284 و عن فتح الباري ج 2 ص 455 و المعجم الكبير ج 20 ص 5 و كنز العمال ج 1 ص 411 و تاريخ مدينة دمشق ج 57 ص 155 و عن الإصابة ج 6 ص 42.

وأسلم فروة عامل قيصر على عثمان. فلما بلغ قيصر ذلك أخذه واستتابه، فأبى، فقتله.

وأسلم جيفر وعبد ابنا جلندی، ملكا عمان.

وأسلم ضغاطر أسقف الروم بعد قراءة كتاب الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر.

وأجابه ملوك حمير ووفدوا عليه.

وأسلم أقيال حضر موت.

وأسلم عمال كسرى بالبحرين واليمن.

وقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي. فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبأ، والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأعطاه أساقفة نجران الجزية.

وأجابه ملك أيلة ويهود مقنا، إما بالإسلام، أو الجزية (1).

حساسية مخاطبة الملوك:

إن مخاطبة الملوك في أي شأن من الشؤون، حتى ما كان منها عاديا ومألوفاً، ليست على حد مخاطبة سائر الناس. بل هي محفوفة بالأخطار، لا بد من حساب كل مفرداتها وفقراتها بدقة بالغة، وبحساسية متناهية.

وذلك بسبب الأخلاق الخاصة التي يكتسبها هؤلاء الملوك من

ص: 256

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 189 و 190 و ج 2 ص 422 ونصب الراية ج 6 ص 564 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 663.

الأجواء المحيطة بهم، والتي يغذيها شعورهم بالعظمة، والقوة، بجميع مكوناتها ومظاهرها، فيبتلون الملوك من خلال استمرار هذا الشعور بالبؤ، والكبر، والاستعلاء، والزهو، وما إلى ذلك. .

يضاف إلى ذلك: أن شعورهم بعدم مسؤوليتهم عما يقومون به من تصرفات، من شأنه أن يسهل عليهم البطش، وتظهر عليهم الرعونة إلى حد الإفراط في اتخاذ القرارات المتهورة ضد الأشخاص، والجماعات الصغيرة، فيستضعفونها، ويقهرونها بسلطانهم ويهيمنون عليها ببطشهم وجباريتهم.

ويتعاضم هذا الخطر و يبلغ أقصى مداه حينما يواجه هؤلاء الملوك دعوة إلى أمر قد يرون أنه يستبطن تقليص نفوذهم، أو يحد من سلطانتهم، ويقلل إلى حد ما من هيبتهم، أو يكسر من شوكتهم، أو يقيد إطلاق يدهم في الأمور وفي التصرفات السلطانية. .

فإذا أحسوا بشيء من ذلك، أو راودتهم شكوك، أو حتى بعض الأوهام فيه، فإن حرصهم على محو هذه الدعوة و كل من يقف وراءها من الوجود، سيكون بلا حدود، ولن تقيده قيود، أو تحول دونه موانع أو سدود.

و هذا يعطي: أن دعوة الأنبياء والمصلحين من أتباعهم للملوك والجبارين في منتهى الصعوبة، وغاية الدقة، وأقصى درجات الحساسية، و أن أي إخلال في ذلك يؤدي إلى حرمان هذا النوع من الناس الذين تتحكم فيهم تلك العاهات النفسية من الهداية، كما أن ذلك يحركهم إلى حرمان غيرهم منها، بما يثيرونه من أجواء مشحونة بالتحدي لا يجرؤ معها كثير من الناس على المبادرة بخطوة في هذا الاتجاه؛ بسبب أخطار لا يملكون القدرة على دفعها عن أنفسهم، ولا يستطيعون التحرز منها، ولا يمكنهم تحملها.

رسائل النبي صلى الله عليه وآله للملوك:

وإذا راجعنا نصوص الرسائل التي كتبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك الأرض، فإننا نجد لها في غاية الدقة في مراعاة حالات أولئك الملوك، فهي خالية عن أية إثارة لهم، ولا تعطيهم أية فرصة للتخلص أو التملص من مسؤولية النظر في صحة ما يدعواهم إليه، و التعاطي معه بمسؤولية، و تعقل.

وإذا ما ظهر من بعض أولئك الجبابرة أي تصرف غير متوازن، فإنما كان ذلك منه لاعتبارات اختلقها لنفسه، انطلاقاً من عدوانيته، و انسجاماً مع جباريته، و من دون أي مبرر وجده في طريقة تعاطي رسول الله «صلى الله عليه وآله» معه، أو في المضامين التي وجدها في خطابه «صلى الله عليه وآله» ، الذي أرسله إليه .

ونحن من أجل وضوح ما نرمي إليه بصورة عملية، نلقي نظرة على بعض تلك الرسائل، مقتصرين على رسائله «صلى الله عليه وآله» لأربعة منهم وهم:

1-ملك الفرس.

2-ملك الروم.

3-ملك مصر.

4-ملك الحبشة.

ص: 258

إشارة

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى كسرى ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله.

أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين.

أسلم تسلم.

فإن أبيت فعليك إثم المجوس» (1).

ص: 261

1- لقد كفانا العلامة الشيخ علي الأحمدي «رحمه الله» مؤونة استقصاء المصادر لهذه الرسالة، حيث ذكر جملة وافرة منها في كتابه القيم: «مكاتب الرسول» ج 2 ص 316 فما بعدها، فنحن نورد نفس كلامه، وإن اختلفت المصادر التي اعتمد عليها في طبعتها، فقد أرجع «رحمه الله» إلى: السيرة الحلبية ج 3 ص 277 و السيرة النبوية لزيبي دحلان هامش الحلبية ج 3 ص 65 و يعقوبي ج 2 ص 66 و في (ط أخرى) ص 61 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 213 و الطبري ج 2 ص 654 و أعيان الشيعة ج 2 ص 144 و في (ط أخرى) ج 1 ص 244 و دلائل النبوة لأبي نعيم ص 292 و 293 و إعلام السائلين ص 9 و جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 35 و إعجاز القرآن ص 112 و المواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني ج 3 ص 340 و 389 و تاريخ ابن خلدون ج 2 ق 2 ص 37 و رسالات نبوية لعبد المنعم خان ص 250 (عن المواهب) و حياة الصحابة ج 1 ص 115 و نشأة الدولة الإسلامية ص 306 (عن عدة مصادر) و فقه السيرة ص 388 و زاد المعاد لابن القيم ج 3 ص 60 و ناسخ التواريخ في سيرة الرسول «صلى الله عليه وآله»، و تأريخ الخميس ج 2 ص 34 و نصب الراية للزيلعي ج 4 ص 420 و مدينة البلاغة ج 2 ص 244 و البحار ج 20 ص 389 عن المنتقى للكارزوني، و المنتظم ج 3 ص 282 و مجموعة الوثائق السياسية ص 139 عن بعض المصادر المتقدمة و عن سعيد بن منصور ص 4280 ثم قال: قابل و انظر كائتاني ج 6 ص 54 و اشبرنكر ج 3 ص 264 و عن الجرائد و المجلات العصرية و عن: مفيد العلوم و مبيد الهموم للقزويني ج 24 ص 17 و المواهب اللدنية و المنتقى لأبي نعيم: ورقة 35/1 ب و نثر الدر المكنون للأهدل ص 760 و منشآت السلاطين ج 1 ص 31 و وسيلة المتعبدين لعمر الموصلي 8/ورقة 27/ب و الإمتاع للمقريزي، خطية كوبرولو، و تاريخ غزیده لحمد الله المستوفي (سلسلة كتب لوندرا) ص 147 و تاريخ البلعمي (و هو ترجمة تأريخ الطبري إلى الفارسية مع حذف و زيادات) (ط طهران) ص 1138 و نهاية الإرب في أخبار الفرس و العرب، و الوفاء لابن الجوزي ص 732 و شرف المصطفى لأبي سعيد النيسابوري عن ابن إسحاق. و قال رحمه الله أيضا: أوعز إلى الكتاب في البداية و النهاية ج 4 ص 269 و ج 6 ص 306 و البخاري ج 1 ص 25 و ج 4 ص 54 و ج 6 ص 10 و ج 9 ص 111 و فتح الباري ج

1 ص 143 و ج 6 ص 78 و ج 8 ص 96 و ج 13 ص 205 وعمدة القاري ج 2 ص 27 و ج 14 ص 210 و ج 18 ص 57 و 58 و ج 25 ص 20 وصحيح مسلم ج 3 ص 1397 ومسند أحمد ج 3 ص 133 و ج 4 ص 75 و ج 1 ص 243 و 305 والترمذي ج 5 ص 68 والطبقات لابن سعد ج 1 ق 2 ص 16 و ج 4 ق 1 ص 139 وصبح الأعشى ج 6 ص 296 و 358 و 359 و 378 و ج 1 ص 91 وكنز العمال ج 1 ص 239 و ج 4 ص 274 و ج 10 ص 418 ومشكل الآثار للطحاوي ج 1 ص 215 وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج 7 ص 355 و 356 و ج 1 ص 114 والأموال لأبي عبيد ص 33 والسنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 177 و 179 والتنبیه والإشراف ص 225 وأحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 241 والبحار ج 4 ص 100 و ج 17 ص 206 والجامع للقيرواني ص 288 وسيرة ابن هشام ج 4 ص 254 وفقه السيرة ص 384 والروض الأنف ج 3 ص 304 وثقات ابن حبان ج 2 ص 6 والإقبال لابن طاووس ص 496 والإستيعاب هامش الإصابة ج 2 ص 283 ودلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 388 ومجمع الزوائد ج 8 ص 237 ومرواة المفاتيح ج 4 ص 221 ومشكاة المصابيح هامش المرواة ص 221 والأم للشافعي ج 4 ص 171 و حياة محمد لهيكل ص 353 والأموال لابن زنجويه ج 1 ص 121 وراجع: أسد الغابة ج 3 ص 143 والمنتظم ج 5 ص 32.

ولنا مع هذا الكتاب وقفات، هي التالية:

اختلاف الكتب:

وقد اشار العلامة الأحمدي «رحمه الله» إلى أن هناك نصوصاً أخرى للكتاب الذي أرسله «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى.. .

ففي أحدها وردت عبارة: «فأسلم تسلم، وإلا فأذن بحرب من الله

ص: 263

وورد في نص آخر: «من شهد شهادتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله ذمة الله وذمة رسوله» (2).

وفي نص ثالث: «فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو. وهو الذي آواني، وكنت يتيما. وأغناني، وكنت عائلا. وهداني، وكنت ضالا. ولم يدع ما أرسلت به إلا من سلب معقوله، والبلاء غالب عليه. أما بعد يا كسرى، فأسلم تسلم، أو ائذن بحرب من الله ورسوله، و لن تعجزها، والسلام» (3).

وفي نص رابع: «إني أحمد الله لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي أرسلني بالحق بشيرا ونذيرا إلى قوم غلبهم السفه، وسلب عقولهم، ومن يهدي الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. .

أما بعد. . فأسلم تسلم، أو ائذن بحرب من الله ورسوله الخ. .» (4).

ص: 264

-
- 1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 319 عن المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 79 وراجع: البحار ج 20 ص 381 وأحكام القرآن ج 1 ص 68 و البداية و النهاية ج 6 ص 338 وعن عيون الأثر ج 2 ص 327 و كنز العمال ج 4 ص 438 و تاريخ بغداد ج 1 ص 142.
 - 2- مكاتيب الرسول ج 2 ص 319 عن تاريخ بغداد ج 1 ص 132 ورسالات نبوية ص 251 و كنز العمال ج 4 ص 274.
 - 3- مكاتيب الرسول ج 2 ص 320 و 321 عن مجموعة الوثائق السياسية ص 111 عن نهاية الإرب في أخبار الفرس و العرب.
 - 4- مكاتيب الرسول ج 2 ص 321 عن مجموعة الوثائق السياسية ص 140.

وفي نص خامس: أنه كتب إلى كسرى وقيصر و النجاشي رسالة اقتصر فيها على قوله: أما بعد.. . تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (1).

وعن الزهري: «كانت كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم واحدة، وكلها فيها هذه الآية» (2).

وعن ابن عباس: «أن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الكفار: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» (3).

ولعل هذه الكتب قد أرسلت إلى عمال كسرى، أو إلى كسرى نفسه، بعد أن ظهر عنادهم للحق، وبغيهم على أهله، وقد اشتبه الأمر على المؤرخين في ذلك.. .

ص: 265

1- الدر المنثور ج 5 ص 107 و سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 189 و البحار ج 21 ص 287 و المصنف لابن أبي شيبة ج 14 ص 338 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 320 عنهم و عن الأموال ص 23 و في (طبعة أخرى) ص 34 و عن كنز العمال ج 5 ص 326 و في (طبعة أخرى) ج 10 ص 417 و إقبال الأعمال ج 2 ص 311 و المباهلة ص 29.

2- البداية و النهاية ج 3 ص 83 و في (ط دار إحياء التراث) ص 104 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 320 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 41.

3- الدر المنثور ج 2 ص 40 عن الطبراني، و مكاتيب الرسول ج 2 ص 320 و 398 و 490 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3214 و المعجم الأوسط ج 5 ص 323 و عن المعجم الكبير ج 11 ص 311 و فتح القدير ج 1 ص 348.

إذ من غير المعقول: أن يبدأ النبي «صلى الله عليه وآله» دعوته لهم بالتهديد والوعيد، قبل إتمام الحجة، وظهور اللجاج والعناد والبغي منهم، ولا سيما لملوك يعيشون حالة الكبر والزهو، والعنفوان الظالم، والشعور بالعظمة والقوة. فإن مواجهتهم بما يوجب نفورهم بمثابة الإسهام في حرمانهم من الهداية. .

من أجل ذلك نرجح: أن يكون الكتاب الذي ذكرناه أولاً هو الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم أرسل رسائل أخرى ذكر فيها الجزية، وغير ذلك.

كما أننا لا نستبعد: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد ذكر في كتابه لكسرى الآية المباركة: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. . لأن للمجوس أحكام أهل الكتاب،

وقد ورد: أنه قد كان لهم كتاب فضيعوه أو أحرقوه (1).

ولعل عدم نقلها في كتاب كسرى، من أجل أن المؤرخين أسقطوها اختصاراً أو سهواً، أو لم ينقلها لهم الناقلون؛ لأنهم اعتقدوا خطأ: أنها لا تحمل مضمونا خاصا، يراد إبلاغه للمرسل إليهم، سوى دعوتهم إلى توحيد الله، الذي ذكر في الرسالة نفسها أولاً. .

ص: 266

1- راجع: فقه القرآن ج 1 ص 342 و 344 وعن فتح الباري ج 9 ص 343 والكافي ج 3 ص 568 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 54 و تهذيب الأحكام ج 4 ص 113 و ج 6 ص 159 والوسائل ج 11 ص 96 و 97 والفصول المهمة ج 2 ص 212 والبحار ج 14 ص 463 ومكاتب الرسول ج 2 ص 413 والتفسير الصافي ج 2 ص 334 وتفسير نور الثقلين ج 2 ص 202 وقصص الأنبياء للجزائري ص 514.

1- إن أول ما يواجهنا في ذلك الكتاب هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد بدأه باسم الله، ولم يبدأه باسمه «صلى الله عليه وآله» هو؛ مما يعني: أنه يريد أن يفهم كسرى: أن هذا النبي خاضع لله، الذي لا يجد أحد حرجا في الخضوع له. ولا تعتبر الدعوة للاعتراف به والخضوع له، والرجوع إليه تعالى إذلالا لأحد بقدر ما هي شرف، وعزة، وسؤدد وكرامة للبشر جميعا. .

2- يضاف إلى ذلك: أن هذا الاعتراف يمثل تحديد مرجعية لا غضاضة على البشر جميعا بالرجوع إليها، والخضوع والالتزام بأوامرها ونواهيها، والسعي لنيل رضاها، وهي مرجعية ليست للبشر، بل هي لله الغني بذاته، الذي ليس له مصلحة مع أحد، بل البشر كلهم بالنسبة إليه بمنزلة واحدة، يعاملهم بالعدل، ويجري عليهم أحكامه.

فالدعوة التي يعرضها على هذا الملك ليست دعوة لشخص، يريد أن يستأثر لنفسه بشيء، من حطام الدنيا، بل هي دعوة لله سبحانه. .

3- ثم إنه هو الله الرحيم بعباده، والقريب إليهم، وليست هذه الرحمة أمرا عارضا له. بل هي من تجليات ذاته، وباهر صفاته. .

4- والله تعالى هو المالك لكل شيء، والغني عن العباد، فهو إذن لا يحتاج إلى ملك كسرى، ولا إلى ملك سواه، ولذلك لم يطلب منه التخلي عنه، بل طلب منه فقط: أن يخضع لأوامره ونواهيها، وأن يكون في موضع رضاها، لا رضا أحد من بني البشر، وخضوعه لأوامر الله تعالى لا يزيد في ملكه، ولا يضيف إليه شيئا من العظمة، أو القوة والمجد، وإنما هو أمر يعود نفعه عليه، وهو كرامة وشرف له. .

فلا ينبغي إذن أن يخشى على ملكه، ولا أن يستكبر على ربه. .

عظيم فارس:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد صَدَّرَ كتبه إلى ملك الفرس، والروم، والحبشة، ومصر، والبحرين بكلمة عظيم فارس، وعظيم البحرين، و بكلمة صاحب كذا-كما في بعض النصوص. .

وبذلك يكون:

أولاً: قد خاطبه بما يرضيه من أوصاف ولكنها واقعية، فليس له أن يجد في نفسه أية غضاضة، كما أنه ليس لديه ما يتذرع به لإظهار التغيظ، بحجة أنه قد أهانه أو غمطه حقه، حيث لم يكن الخطاب لائقاً، ولا مناسباً لمقامه، فيزيّن لنفسه الخلاف، و يجد من يعذره أو يتعاطف معه في أي موقف سلبي يتخذه تجاه من يدعوه، و ما يدعوه إليه. .

ثانياً: إنه بذلك يكون قد تحاشى الإقرار بالملكية لهؤلاء، خصوصاً بملاحظة كونه رسول الله، وخاتم النبيين، ولا يريد أن يسجل أمراً قد يتعلق به طلاب اللبانات، ويتخذونه ذريعة لادعاءات الأحقية بالاستناد إلى الاعتراف لهم بالسلطة والحاكمية في مجالات بعينها، ثم تتعدد الأمور ولا يجد الناس العاديون القدرة على المناقشة في هذا الأمر، وبذلك يتمكن «صلى الله عليه وآله» من إخضاع أولئك المدّعين لمقتضيات أحكام الدين وشرائعه القاضية: بأنه لا ملك ولا سلطة للكافر، بل ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولمن ولّاه، وأقر له به، وفقاً لقوله تعالى:

ص: 268

.. إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (1).

وبذلك يتم تحصين الناس من سيئاتهم، وسوف لا يصغي الكثيرون منهم بعد هذه المزاعم أولئك الطامعين، وسيفتح أمامهم المجال الواسع للنقاش القوي في دلالة كلمة «ملك فارس» أو نحوها على الاعتراف له بالملك، وسيقولون لهم: إنها لمجرد الإشارة لموقعه الفعلي الذي هو فيه، حتى لو كان قد حصل عليه بالبغي، والظلم، والابتزاز، وليس فيها دلالة على الرضا ببقائه في هذا الموقع أو عدمه.

وهذا نظير ما كتبه الإمام الحسن «عليه السلام» في وثيقة الهدنة مع معاوية من أنه سلمه «الأمر» حيث لم يقل: «سلمه الخلافة»، أو الإمامة، أو الملك، أو ما إلى ذلك..

سلام على من اتبع الهدى:

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبلغه عن الله تعالى: أن دعوته تقوم على السلام، لا على الحرب، وتسير وتستمر بالرضا دون السخط، وبالرفقة، لا بالجبروت، وكان «صلى الله عليه وآله» يكتب لغير المسلم «سلام على من اتبع الهدى» ويكتب للمسلم «سلام عليك» أو «سلم أنت».

وكلمة «سلام على من اتبع الهدى» إنشاء للالتزام بسلام مشروط باختيار طريق الهدى، ويتضمن تلويحا بالحث والإغراء باختيار هذا الطريق واتباعه.

ص: 269

كما أنه يشير إلى: أن ما يطلبه منه هو-فقط-اتباع الهدى، وما أرضاها من دعوة، وما أيسره من طلب، إذ إن أحدا لا يستطيع أن يتنكر للهدى، ولا أن يعادي دعائه.

ثم هو «صلى الله عليه وآله» لا يتهم كسرى بالضلال، بل هو يدعو لاتباع الهدى، فإن الاتهام بالضلال مما يرفضه الناس عادة، ولكنهم لا يرفضون أن ينسب إليهم التقصير في اتباع الهدى.

فما أجمل السلام، وما أحب الهدى. . وما أروع الحياة في ظل ذاك، وفي حظ هذا. . ولأجل ذلك كانت أول كلمة يكتبها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى هي: «سلام على من اتبع الهدى» .

وهو سلام يغري بالرد عليه بمثله، ويفسح المجال لإظهار الرغبة في معرفة هذا الهدى، وفي اتباعه بعد التحقق منه.

و آمن بالله و رسوله:

ثم تأتي الكلمات التالية في الكتاب لتشير إلى: أن اتباع الهدى إنما هو من خلال الإيمان بالله عز وجل، ورسوله «صلى الله عليه وآله»، والشهادة لله بالوحدانية. .

وهذا الإيمان بالله، والاعتراف به هو الأساس، وهو المطلوب لرسوله «صلى الله عليه وآله»، وليس المطلوب له أي شيء آخر مما يطلبه ملوك الدنيا عادة من بعضهم البعض.

و أول درجات الإيمان هو الاعتراف بوجود الله سبحانه، ثم الإيمان، بمعنى: أن يلزم نفسه، باحتضانه في داخل كيانه، وفي عمق وجدانه، ليعيش

الإحساس بالأمن والسكينة معه. .

ثم أن يقر: بأن لله رسلا يربطون المخلوق بخالقه، ويبلغون الناس عنه، ويرشدونهم إليه، ويعرفونهم على ما يرضيه، وما يسخطه ليختاروا هم أنفسهم أن يكونوا في مواقع رضاه سبحانه، ويختاروا اجتناب مواقع سخطه.

الشهادة لله بالوحدانية:

ويأتي بعد ذلك: الطلب إليه أن يشهد لله تعالى بالوحدانية، ونفي الشركاء له، فلا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وشهادته بذلك تعني: الاعتراف بهذه الحقيقة، وتأكيدا من موقع المعرفة الفطرية، والوجدانية، والعقلية، التي تصل إلى حد الرؤية والمشاهدة الحقيقية لفاقدية، ولعجز، وضعف، ونقص كل ما عدا الله سبحانه، وأن كل واجدية وكمال، وقوة، فإنما هو بالله تعالى ومنه.

وهذا معناه: أنه لا إله إلا الله وحده.

وأنه لا شريك له، يعينه، ويضاعف قوته، ويجبر ضعفه.

وأن محمدا عبده ورسوله:

ثم هو يطلب منه، ومن الناس جميعا: أن يشهدوا أن رسل الله تعالى باقون في موقع العبودية له، ولا تكسبهم رسوليتهم أي عنصر إلهي، ولا ترتفع بهم إلى درجة أن يكون لهم استقلال حقيقي عنه سبحانه في جميع تصرفاتهم. .

فدرجات فضلهم، وما ينالونه من مقامات وكرامات عنده، إنما هي بتدرّجهم في مقامات العبودية له، والمعرفة به، والطاعة والخضوع لديه. .

و باب العبودية هذا مفتوح أمام جميع المخلوقات، فمن دخله كان آمناً ونال من البركات والفيوضات، والكرامات والمقامات بمقدار إيغاله فيه، وتحققه به. .

ولا بد أن يعرف البشر جميعاً هذا الأمر، معرفة حقيقية تخولهم إقامة الشهادة به. . ولا يكفي مجرد إخبارهم به في آية قرآنية، أو في خبر نبوي. .

وهذا ما يفسر لنا: إدراج هذا الأمر في سياق الشهادة التي طلبها «صلى الله عليه وآله» من كسرى حيث قال: «وأن محمدا عبده ورسوله. .»

أدعوك بدعاية الله:

و حين أراد «صلى الله عليه وآله» الشروع في إبلاغ دعوته لكسرى، قال له: «أدعوك بدعاية الله» .

فكسرى إذن، لا يواجه تحدياً من إنسان مثله، قد تأخذه العزة في مواجهته، أو يأنف من التواضع له، بل هو يواجه طلباً من إله الوجود كله، وهو قوة لا بد أن يعترف لها بالقدرة والإحاطة والمالكية والهيمنة.

ولا بد من الاستجابة لهذا الطلب؛ لأن الاستجابة له لا تضر بمصالحه، ولا تنقص من هيئته، ولا تحد من نفوذه، ولا تختزل من ثرواته، ولا تقتطع شيئاً من ملكه، بل هي تزيد شوكته وعزته، ونفوذاً، وسعة في الرزق، وما إلى ذلك. .

إنها دعوة الله له للنجاح والفلاح، والسداد والرشاد، والاستقامة على جادة الهدى الإلهي، وليست دعوة للذل والعبودية للأشخاص، وإنما ليكون عبداً لله وحده. .

فإني أنا رسول الله:

و يلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أضاف كلمة «أنا» في قوله: «فإني أنا رسول الله. .» وقد كان يمكن الاستغناء عنها بأن يقول: «فإني رسول الله. .» .

فلعل السبب في إضافتها: أنه يريد أن يذكرهم: بأنه هو النبي الموعود و المنتظر و المعلوم لديهم، من خلال بشارات الرسالات السماوية كلها بظهوره.

فهو بهذا التذكير لم يعد بحاجة إلى إقناع الناس بضرورة إرسال رسول، أو قد أصبحت إمكانية إرسال رسل، و بعث أنبياء أمرا مفروغا عنه، إلى حد أصبح توقع إرسالهم، و بعثتهم أمرا قائما، و محسوما، و تنحصر مهمة الإقناع بتحديد شخص المرسل، بأن هذا الشخص هو الذي بعثه الله تعالى، و هو النبي الموعود فعلا. .

إلى الناس كافة:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يبين له أنه ليس مبعوثا للعرب وحدهم، و لا- لأي أمة أخرى بعينها دون ما عداها، كما كان الحال بالنسبة لموسى و عيسى «عليهما السلام»، و سواهما ممن بعثهم الله لخصوص بني إسرائيل، بل هو مبعوث للناس جميعا، كما قال تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (1). و قال: نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (2).

ص: 273

1- الآية 107 من سورة الأنبياء.

2- الآية 36 من سورة المدثر.

وقال: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا. (1).

لأنذر من كان حيا:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يخبر من يكتب إليه: أنه لا يطلب منه شيئا لنفسه، وإنما هو مجرد نذير له، يريد بإنذاره هذا: أن يحفظ له عزته وكرامته، وأن يجنبه مزالق الخطر، وأن يؤمن له السعادة والسكينة، والأمن من كل ما يحذره، ويخافه، مما هو غائب عنه، وهي غيبة تظهر عجزه وفشله، والله هو الذي يحميه، ويحفظه منه، ويحصيه له، ويدفعه عنه، من موقع الهيمنة والقدرة، والعزة. .

وقد أعلمه أيضا: أن هذا الإنذار الهادف إلى حفظ حياة الكرامة والسعادة للمنذرين لا يختص بفرد دون فرد، ولا بفريق دون فريق، بل هو شامل للناس جميعا، ويهدف إلى تكوين مجتمع بشري يعيش معنى السعادة، بعمق، ويشعر بالأمن بجميع فئاته، وشرائحه، أفرادا وجماعات. .

وذلك انطلاقا من حقيقة: أن البشر كلهم يحتاجون إلى الأمن، وإلى السلام والسلامة، ويستوي في ذلك العربي والأعجمي، والأبيض والأسود والملك، و حفار القبور.

و يحق القول على الكافرين:

وعلى هذا الأساس، فإنه إذا اختار أحد طريق الجحود، ولم يستجب لنداء الله سبحانه، فإنه تعالى هو الذي يجري عليه سننه، ويتولى عقوبته، وتكون خصومته معه تبارك وتعالى، لا مع غيره. . فإن كان لأحد من الناس

ص: 274

موقف منه، فإنما هو الموقف الذي أراده الله تعالى منهم.

وفي التعبير بكلمة: «يحق القول» إشارة إلى حتمية حلول العقوبة بالكافر، من حيث إنها قرار إلهي، و القرار الإلهي نافذ لا محالة. .

أسلم تسلم:

و يأتي قوله «صلى الله عليه وآله»: «أسلم تسلم» بمثابة نتيجة طبيعية لكل تلك المقدمات التي قررت: أن المقصود هو: حفظ الإنسان كله.

أوقف: حفظ كل من كان حيا، من المهالك والرزايا، والمصائب والبلايا، وأن الذي يختار طريق الكفر، فلا نجاة ولا سلامة له إلا باتباع الهدى، والإسلام والاستسلام لله سبحانه وتعالى، وامتنال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه. .

فليست هذه الكلمة تهديدا لكسرى بالحرب، ولا هي إكراه له على الإسلام، حتى إذا خالف كانت عقوبته السيف. .

و مما يشير إلى ذلك أيضا قوله:

فإن أبيت فعليك إثم المجوس:

حيث دلت هذه الكلمة: على أن الكلام إنما هو عن السلامة في الآخرة، والنجاة من مهالكها، إذ لو كان قوله: «أسلم تسلم» تهديدا لكسرى بالقتل، لو لم يسلم، فالمناسب هو أن يقول له: فإن أبيت، فالسيف بيننا وبينك. .

ولكنه لم يقل ذلك، بل أثبت عليه إثم الإنسان الذي يضل، ويتسبب بالضلال لغيره أيضا، وهذا الإثم إنما تظهر آثاره في الآخرة فقط، أما عقوبة الدنيا، فهي حتى لو كانت هي القتل، فإنها تبقى أقل من الجريمة التي

ارتكبت، غير أن هذه العقوبة لا تعيد الناس إلى الهدى، ولا تدفع مفسدة إضلالهم، خصوصا إذا كان هذا الإضلال سينال أمة عظيمة كتلك التي يحكمها كسرى..

ولا تزر وازرة وزر أخرى:

و من جهة ثانية نقول:

صحيح أن الإيمان والكفر يقعان تحت اختيار الإنسان، وصحيح أنه: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.. وأنه: لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى..

ولكن من الصحيح أيضا: أن هناك من يسهم في إضلال الناس، وفي تعمية الأمور عليهم، ويعمل على إيقاعهم في الشكوك والشبهات، أو هو على الأقل يسد منافذ الهداية، ويحرمهم من فرص التعرف على الحق، ومن الوصول إليه.. وهذا من أعظم الآثام، ومن موجبات عقوبة الإله الملك العلام بلا ريب..

فإذا كان كسرى أو قيصر قد أوجب حجب نور الهداية عن المجوس، أو عن الأكاريين، أو عن الأريسيين، واستضعفهم، ومنعهم من السعي للوصول إليه، والحصول عليه، أو منع الناس المخلصين من إيصال الحق إليهم، ومن إثارة دفائن عقولهم، بالبراهين الساطعة، والأدلة القاطعة، فإنه سيكون هو المتحمل لإثم ما هم فيه من كفر وضلال، وفساد وانحلال. وقد قال تعالى: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ.. (1).

ص: 276

وقال تعالى: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . (1).

إثم المجوس أو إثم الأكارين:

وقد ورد في بعض نصوص الكتاب: بدل قوله: «فعليك إثم المجوس» قوله: «فعليك إثم الأكارين» (2) أو نحو ذلك.

وفي نقل ابن خلدون: «فإن أبيت فإثم الأريسيين عليك» (3). وهي

ص: 277

1- الآية 25 من سورة النحل.

- 2- أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 241 و راجع: البحار ج 20 ص 388 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 325 و شرح مسلم ج 12 ص 109 و عن فتح الباري ج 1 ص 36 و عن المعجم الكبير ج 8 ص 19 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 93 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ص 2 و 36 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 498 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 345.
- 3- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 37 و تاريخ مدينة دمشق ج 2 ص 93 و ج 23 ص 424 و 427 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 353 و البحار ج 20 ص 387 و 395 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 325 و 390 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3213 و مسند أحمد ج 1 ص 263 و عن صحيح البخاري ج 3 ص 234 و ج 4 ص 4 و ج 5 ص 169 و صحيح مسلم ج 5 ص 165 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 178 و شرح مسلم ج 12 ص 107 و 109 و عن فتح الباري (المقدمة) ص 76 و عن ج 3 ص 121 و ج 8 ص 166 و 167 و الديباج على مسلم ج 4 ص 380 و المصنف للصنعاني ج 5 ص 346 و الأدب المفرد ص 237 و الأحاد و المثاني ج 1 ص 367 و السنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 311 و مسند الشاميين ج 4 ص 219 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 495 و الأحاديث الطوال ص 63 و عن المعجم الكبير ج 8 ص 16 و 18 و 22 و كنز العمال ج 4 ص 384 و الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 106 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 1 ص 379 و الدر المنثور ج 2 ص 40 و فتح القدير ج 1 ص 348 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 77 و البداية و النهاية ج 4 ص 302 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 501 و النهاية في غريب الحديث ج 1 ص 41.

الكلمة التي وردت في رسالته «صلى الله عليه وآله» لقيصر . .

والأكتارون هم الزراع، وهم أسرع انقيادا إلى ملوكهم من غيرهم، لأن الغالب عليهم الجهل والتقليد، كما أن الغالب على حكومتهم الظلم لهم (1). وشدة الوطأة عليهم.

وذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: أن الأريس والإرسييس كجليس وسكيت: هو الأكتار، كما عن ابن الأعرابي.

ص: 278

1- راجع: مكاتيب الرسول ج 2 ص 325 والبحار ج 20 ص 382 و 389 و ج 22 ص 250 و مسند أحمد ج 1 ص 243 و مجمع الزوائد ج 5 ص 306 و تحفة الأحوذى ج 7 ص 414 و السنن الكبرى للنسائي ج 3 ص 436 و الأحاديث الطوال ص 60 و عن المعجم الكبير ج 20 ص 9 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 259 و تاريخ خليفة بن خياط ص 47 و 62 و تاريخ بغداد ج 1 ص 142 و تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 357 و عن الإصابة ج 1 ص 463 و كتاب المحبر ص 77 و فتوح البلدان ج 2 ص 358 و تاريخ يعقوبي ج 2 ص 77 و موسوعة التاريخ الإسلامي ج 2 ص 652 و عن السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 1025 و عن عيون الأثر ج 2 ص 321 و 327 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 343 و 508 و سبل الهدى والرشاد ج 1 ص 56 و ج 11 ص 338 و 361.

وعن أبي عبيد: أنهم الخدم و الخول.

وقال الأزهرى: وهي لغة شامية، وهم فلاحو السواد، الذين لا كتاب لهم.

وقيل: هم قوم من المجوس، لا يعبدون النار، و يزعمون أنهم على دين إبراهيم.

و المراد: أن عليه إثمهم، لأنهم بقوا على ضلالهم بسببه.

و سيأتي كلام آخر عن المراد من الأريسيين في كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر ملك الروم، إن شاء الله تعالى.

من هو حامل الرسالة؟! !

وقد ذكروا: أن حامل الكتاب إلى كسرى هو عبد الله بن حذافة السهمي (1).

وقيل: هو خنيس بن حذافة (2).

ص: 279

1- راجع: كنز العمال ج 10 ص 418 وعمدة القاري ج 18 ص 58 و البداية و النهاية ج 4 ص 269 (وط دار إحياء التراث) ص 306 عن ابن جرير و الكامل ج 2 ص 213 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 288 و نصب الراية ج 6 ص 562 و مسند أحمد ج 1 ص 243 و الطبقات الكبرى ج 4 ص 189 و تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 349 و تهذيب الكمال ج 1 ص 197 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 12 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 508 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 362 و الروض الأنف ج 3 ص 68 و التنبيه و الإشراف ص 225 و عن فتح الباري ج 8 ص 96.

2- السيرة الحلبيّة ج 3 ص 283 و عن فتح الباري ج 8 ص 96 عن ابن شبة، و الأحاد و المثاني ج 1 ص 446 و تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 173 و تاريخ الأمم و الملوك ج 3 ص 334.

وقيل: شجاع بن وهب (1).

وقيل: عمر بن الخطاب (2).

وهذا القول الأخير بعيد جدا عن الصواب، إذ لو صح أن عمر كان هو الرسول إلى كسرى، لرأيت الكتب مملوءة بالتفاصيل والدقائق، و اللطائف، و لربما تجد فيها من البطولات، و العجائب، و المعجزات و الغرائب ما يملأ عشرات الصفحات، و لألفيت ذلك حديث المجالس و الندوات، في الغدوات و العشيات!!

ولكن الله سلّم!

حديث تسليم الكتاب:

وقد ذكروا: أن كسرى أذن لحامل الكتاب بالدخول عليه، فلما دخل: أمر بقبض الكتاب منه، فقال: لا. حتى أدفعه إليك كما أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله». فدنا منه، و سلمه الكتاب.

فدعا كسرى من يقرؤه فلما قرأ: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، غضب كسرى حيث بدأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنفسه، و صاح، و أخذ الكتاب، فمزقه قبل أن يعلم ما فيه، و قال: يكتب إليّ بهذا و هو عبدي؟!

ص: 280

1- السيرة الحلبية ج 3 ص 283 و دلائل النبوة ج 4 ص 388 و البداية و النهاية ج 4 ص 269 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 507.

2- السيرة الحلبية ج 3 ص 283 و عن فتح الباري ج 8 ص 96 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 327 و البداية و النهاية ج 7 ص 175.

و أمر بإخراج حامل الكتاب، فأخرج. فقعد على راحلته و سار. .

فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه، بعث في طلب حامل الكتاب، فطلب، فلم يوجد.

و وصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، و أخبره بما جرى، فقال «صلى الله عليه وآله»: مزق كسرى ملكه.

و قيل: دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق، و قال: اللهم مزق ملكه (1).

و في نص آخر: أنه دعا بالجلمين (أي المقراض) فقطعه، ثم دعا بالنار فأحرقه، ثم ندم و قال: لا بد أن أهدي له هدية.

قال: فكلمه عبد الله بن حذافة كلاماً شديداً (2).

و لا- ينافي ذلك ما قاله اليعقوبي، من أن كسرى كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً جعله بين سرقتي حرير، و جعل فيهما مسكاً. فلما دفعه الرسول إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فتحه، فأخذ قبضة من المسك فشمه، و ناوله أصحابه.

و قال: لا حاجة لنا في هذا الحرير، و ليس من لباسنا، و قال:

لتدخلن أمري، أو لآتينك بنفسي، و من معي، و أمر الله أسرع من ذلك. فأما كتابك فأنا أعلم به منك، فيه كذا و كذا.

و لم يفتحه، و لم يقرأه، و رجع الرسول إلى كسرى، و أخبره الخبر (3).

ص: 281

1- راجع المصادر المتقدمة.

2- تاريخ بغداد ج 1 ص 132 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 329.

3- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 77 و راجع: مسند أحمد ج 1 ص 96 و 145 و الطبقات الكبرى ج 1 ص 389 و البحار ج 20 ص 389 (هامش) و تاريخ بغداد ج 1 ص 132 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 328.

وإنما قلنا: إن هذا لا ينافي ذاك؛ لأن من الجائز: أن كسرى قد مزق الكتاب أولاً، ثم عاد فتدارك الأمر بإرسال الهدية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ثانياً. . ولكنه شفعها بالتهديد والوعيد.

وربما أرسل إليه مع تلك الهدية تراباً أيضاً.

فقد قال ابن شهر آشوب: إن كسرى مزق الكتاب، وبعث إليه بتراب، فقال «صلى الله عليه وآله»: مزق الله ملكه كما مزق كتابي. أما إنكم ستمزقون ملكه. وبعث إليّ بتراب: أما إنكم ستملكون أرضه.

فكان كما قال (1).

عدوانية كسرى تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله:

ويؤيد ما قلناه آنفاً أيضاً: ما يذكرونه من: أن كسرى كتب إلى (بازان) عامله باليمن: أن يسير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» و يستتيه، فإن تاب، وإلا فليبعث إليه برأسه.

وفي نص آخر: أمره أن يبعث إلى الحجاز رجلين ليأتيانه برسول الله «صلى الله عليه وآله» . .

فأرسل (بازان) قهرمانه ورجلاً آخر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكتاب كسرى، وكتب إليه يأمره بالمسير معهما إلى كسرى.

فدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بزي الفرس، وقد حلقا

ص: 282

1- المناقب ج 1 ص 55 وفي (ط أخرى) ص 70 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 329 و البحار ج 20 ص 381 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 362.

لحاهما، وأعفيا شواربهما. فكره النظر إليهما، وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟

قالا: أمر ربنا (يعنيان كسرى).

فقال «صلى الله عليه وآله»: لكن أمر ربي بإعفاء لحيتي، وقص شاربي، فأبلغاه بما جاء به، فأجلهما إلى الغد.

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر من السماء، بأن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا، لكذا وكذا، في ليلة كذا.

فلما أتاه الرسول أن قال لهما: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، بعدما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله (1).

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» تركهم خمس عشرة ليلة لا يكلمهم ولا ينظر إليهم إلا إعراضاً. ثم أمرهم أن يقولوا لبازان: إن ديني وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر وقال: قولاً له: إنك إن أسلمت

ص: 283

1- وهي ليلة الثلاثاء، لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع. راجع: الطبقات الكبرى ج 1 ق 2 ص 16 و البداية و النهاية ج 4 ص 270 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 297 و عمدة القاري ج 2 ص 28 و ج 18 ص 58 و عن فتح الباري ج 8 ص 96 و البحار ج 20 ص 291 و 377 و 390 و دلائل النبوة لأبي نعيم ص 295 و الإصابة ج 1 ص 632 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 230 عنهم، و الخرايج و الجرايح ج 1 ص 64 و درر الأخبار ص 174 و تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 357 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 38 و السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 509.

أعطيتك ما تحت يديك، وملككتك على قومك (1).

فخرج الرسولان، وقدا على باذان، وأخبراه بما جرى، فقال: والله، ما هذا كلام ملك، وإني لأراه نبيا، ولننظرن.

إلى أن قال: فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، يخبره بقتل كسرى، ويقول له: «وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه، فلا تزعجه، حتى يأتيك أمري فيه» (2).

فأسلم باذان، وأسلم من معه باليمن من أبناء فارس، وبعث إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامه، وإسلامهم (3).

ص: 284

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 230 و 231 عن البداية والنهاية ج 4 ص 270 وعن السيرة النبوية لدحلان، وعن السيرة الحلبية، وعن الكامل في التاريخ ج 2 ص 204 وعن دلائل النبوة لأبي نعيم ص 295 والبحار ج 20 ص 391 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 279 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 38 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 510.

2- أرجع العلامة الأحمدي في مكاتيب الرسول ج 2 ص 331 إلى: السيرة الحلبية، والسيرة النبوية لدحلان و البداية والنهاية ج 4 ص 307 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 297 والبحار ج 20 ص 391 ورسالات نبوية والإصابة ج 1 ص 169 و 170 في ترجمة بابويه و تاريخ الخميس ج 2 ص 37 ودلائل النبوة لأبي نعيم ص 295 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج 2 ق 2 ص 38 والسيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 510.

3- مكاتيب الرسول ج 2 ص 331 عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج 3 ص 277 وما بعدها والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج 3 ص 65 وسيرة ابن هشام ج 1 ص 45 و البداية والنهاية ج 4 ص 268 و ج 6 ص 306 والكامل ج 2 ص 214 وتاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 654 وعمدة القاري ج 2 ص 28 و ج 18 ص 58 و ج 25 ص 20 وفتح الباري ج 8 ص 96 و حياة الصحابة ج 1 ص 115-117 و مجمع الزوائد ج 8 ص 288 والطبقات ج 1 ق 2 ص 16 وابن أبي شيبه ج 4 ص 337 و 338 ورسالات نبوية ص 94 والمعرفة والتاريخ ج 3 ص 262 وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج 7 ص 355 و 356 والإصابة ج 1 ص 169 وراجع ص 170 في ترجمة بابويه وفي ترجمة باذان أيضا والبحار ج 20 ص 380 و 382 ودلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 387 وتاريخ الخميس ج 2 ص 34 و 35 ودلائل النبوة لأبي نعيم ص 292-295 والمنتظم ج 3 ص 283.

قريش في مهب الريح:

و حين سمعت قريش بما كان من كسرى، و بإرساله إلى باذان بأوامره فيما يتعلق بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فرحوا و استبشروا، وقالوا: قد نصب له كسرى ملك الملوكة. كفيتم الرجل.

و لكنهم حين سمعوا برجوع الرسولين، و قتل كسرى، و إسلام باذان، و من معه من أبناء فارس باليمن، صار رجأؤهم خيبة، و سرورهم هما و غما (1).

باذان ملك اليمن:

فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» إسلام باذان، و من معه بعث إليه بنبأة اليمن كلها، و خاطبه في رسالته بملك اليمن، فراجع (2).

ص: 285

1- راجع المصادر المتقدمة.

2- مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص 178 و 160 عن تاريخ بيهق لابن فندق ص 141 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 333 و البداية و النهاية ج 6 ص 338.

ولم يعزله عنها حتى مات، أو قتله الأسود العنسي.

ففرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولايات اليمن بعد موت باذان على ما يقرب من عشرة رجال هم: شهر بن باذان، وعامر بن شهر الهمداني، وأبو موسى الأشعري، و خالد بن سعيد، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزياد بن لييد، والطاهر بن أبي هالة، وعكاشة بن ثور المهاجر، أو عبد الله (1).

بادان وعقله:

وقد ظهر من كل ذلك الذي ذكرناه: أن باذان كان رجلا حكيما عاقلا، و منصفًا، وأنه لم يتخذ موقفه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدافع الهوى والعصبية، أو الغرور والعنجهية الطاغية، أو من خلال حسابات مصلحة، و مطامع دنيوية، بل كان الرجل المتأني، الذي لا يستكبر عن قبول

ص: 286

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 333 عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج 6 ص 307 والبحار ج 21 ص 407 وتاريخ ابن خلدون ج 2 ص 59 والتراتب الإدارية ج 1 ص 241 والإصابة ج 1 ص 170 و 759 ج 2 ص 222 في ترجمة طاهر بن أبي هالة والطبري ج 2 ص 655 و 656 ج 3 ص 158 و 227-229 والكمال ج 2 ص 214 و 304 و 336 وعمدة القاري ج 2 ص 29 ج 18 ص 58 ج 25 ص 20 و الوثائق ص 178 و حياة الصحابة ج 1 ص 114 والبحار ج 21 ص 407 والطبقات ج 1 ق 2 ص 16 ورسالات نبوية ص 94 و 95 والمعرفة والتاريخ ج 3 ص 262-266 وتاريخ الخميس ج 2 ص 35-37 وأسد الغابة ج 1 ص 163.

الحق، حين ظهور دلائله.

كفاية باذان:

كما أن تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له على اليمن كلها ما دام حيا، يدل على ثقته «صلى الله عليه وآله» بكفايته وبتدبيره، حتى لقد احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى حوالي عشرة رجال ليقوموا مقامه بعد وفاته أو استشهاده على يد الأسود العنسي.

فرحم الله باذان، وهنينا له ثقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» به، وأناله في الآخرة شفاعته إنه ولي قدير.

باذان لم يسلم طمعا:

ولا ينبغي أن يفهم من طريقة تعامل النبي «صلى الله عليه وآله» مع باذان: أنه «صلى الله عليه وآله»، قد أعطاه رشوة على إسلامه، وذلك لأن باذان قد أسلم استنادا إلى ظهور معجزة وكرامة الرسول «صلى الله عليه وآله»؛ لاقتناعا بصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يقول، حيث ظهر له صحة ما أخبر به من قتل كسرى على يدي ابنه، وذلك قبل حدوث هذا القتل، بالإضافة إلى شواهد ودلائل أخرى وجدها في رسائله، وفي ما يدعو إليه، وفي سلوكه مع المبعوثين الذين أرسلهم إليه، وربما من أمور أخرى عرفها عنه أيضا. .

ويدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبره بالقتل قبل وقوعه: رسالته له التي يقول فيها: «إن الله وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا، فانتظر ذلك» .

ص: 287

وقد يقال: إن هذا ينافي ما تقدم، من قوله «صلى الله عليه وآله» لرسول باذان، وهم عنده في المدينة: «إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، بعد ما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله». .

وأن ذلك قد حصل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من شهر جمادى الأولى سنة سبع.

ويمكن أن يجاب: بأن رسالته لباذان صريحة في: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم: بأن ذلك سوف يحصل لكسرى. وأن الذي يتولى ذلك منه هو ابنه. . فهي أولى بالاعتبار؛ لأن شاهد صدقها هو: إسلام باذان، استنادا إلى ظهور صدق ما أخبره به فيها.

فلعل في الكلمات المنقولة عنه «صلى الله عليه وآله» مع رسولي باذان، بعض التصرف الذي أوجب خللا فيها. .

أو يقال: لعله أرسل الرسالة إلى باذان قبل عودة رسوله إليه، وقبل أن يخبرهما بالأمر.

بل قد يحاول البعض أن يقول: إن التعبير بصيغة الماضي في قوله: «قتل ربكما» وقوله: «سلط عليه شيرويه» ما هو إلا إخبار عن المستقبل بصيغة الماضي، للدلالة على أن هذا الأمر المستقبلي قد قضى و حتم حتى ليصح الإخبار عن حصوله فعلا، فهو نظير، قول الواهب: أعطيتك ألف درهم، في إشارة منه إلى أن ذلك حتمي إلى حد يمكن أن يقال عنه: إنه قد حصل و مضى و انتهى. .

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تكلم بما يفيد: أنه تفاعل بتمزيق ملك كسرى؛ لأن كسرى مزق كتابه، و بأنه يملك بلاده؛ لأن كسرى أرسل إليه من ترابها.

ونحن وإن كنا قد قدمنا في جزء سابق بعض الحديث عن موضوع التفاوض، الأمر الذي أغنانا عن إعادة ذلك هنا.

غير أننا نشير: إلى أنه لا دليل على أن قوله «صلى الله عليه وآله» هذا قد جاء على سبيل التفاوض، بل هو إخبار غيبي لا بد أن يعتبر من أعلام النبوة، ومن دلائلها، التي تشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد تلقى ذلك عن الله تعالى، وهذا هو جزاء كسرى على جرأته على الله ورسوله، وهو العقوبة العادلة له على بغيه، وإجرامه في حق الدين والإنسانية، حيث بادر إلى تمزيق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دون أي مبرر لذلك سوى ما كان يضج في باطنه من خبث، و صلف، و ما كان يعتلج في صدره من سوء سريرة، و سقوطه الشائن و المهين في حمأة الجهل، و البغي، و الاستكبار، و من يكون كذلك فإنه يستحق هذه العقوبة الإلهية و لا يتوقع له سوى الخذلان و الخزي و الخسران الأكيد، و الاندحار الدليل أمام دعوة الحق و الصدق، و العدل، و الهدى.

كما أن إعلان النبي «صلى الله عليه وآله» للناس بهذا الأمر، من شأنه أن يربط على قلوب المؤمنين منهم، و أن يكبت أعداءهم، و يكون ذلك للأجيال الآتية، الذين يشاهدون صدق هذا الخبر، سبيل هداية و نجاة. .

و مما يثير الانتباه أيضا موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من رسولي باذان، حين رآهما وقد حلقا لحاهما، و أعفيا شواربهما، حيث كره النظر إليهما، و اعترض عليهما بشدة، و قال: و يلكما من أمركما بهذا؟! . .

فإن هذه الشدة في الاعتراض تشير إلى أن ذلك كان بالغ القبح عنده، و أن قبحه هذا يدعو إلى إظهار النفور من فاعله، حتى لو كان غير مسلم، أو من أهل بلد لم يدخل في طاعة أهل الإسلام.

و الحديث حول حلق اللحية أو إعفائها جوازا و منعا ليس محله هنا.

هذا وقد كتب «صلى الله عليه وآله» أيضا إلى قيصر كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، ونص الكتاب هو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين و تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (1).

ص: 293

1- لقد كفانا العلامة الأحمدي مؤونة تتبع مصادر هذا الكتاب، حيث أشار في كتابه القيم: مكاتيب الرسول ج 2 ص 391 و 392 إلى المصادر التالية، وفقا للطبعات المتوفرة لديه: السيرة الحلبية ج 3 ص 275 و زيني دحلان ج 3 ص 61 ورسالات نبوية ص 311 و مسند أحمد ج 1 ص 263 و تهذيب تاريخ ابن عساکر ج 1 ص 141 و ج 6 ص 392 و 390 و ج 5 ص 22 و يعقوبي ج 2 ص 67 و صبح الأعشى ج 6 ص 363 و 364 و الأموال لابن زنجويه ج 1 ص 120 و ج 2 ص 584 و 585 و المنتظم ج 3 ص 278 و 279 و كنز العمال ج 2 ص 275 و في (ط أخرى) ج 4 ص 237 (1942) (عن أحمد و البيهقي و النسائي) و ج 10 ص 385 و 417 و 419 و 411 و الدر المنثور ج 2 ص 40 (عن عبد الرزاق، و البخاري، و مسلم، و النسائي، و ابن أبي حاتم و البيهقي في سننه) و ج 4 ص 30 و مشكل الآثار للطحاوي ج 2 ص 397 و 398 و دلائل النبوة لأبي نعيم ص 290 و المعجم الكبير للطبراني ج 4 ص 266 و ج 8 ص 17-27 بطرق متعددة و ج 25 ص 236 و ج 12 ص 242 و نصب الراية للزيلعي ج 4 ص 418 و سنن أبي داود ج 4 ص 335 و الأموال لأبي عبيد ص 32 و 362 و أعيان الشيعة ج 1 ص 244 و صحيح البخاري ج 1 ص 7 و 83 و ح 4 ص 54 و 55 و 57 و ج 6 ص 45 و ج 9 ص 193 و ج 8 ص 72 و صحيح مسلم ج 3 ص 1396 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 81 و في (ط أخرى) ص 212 و الطبري ج 2 ص 291 و في (ط أخرى) ص 649 و البداية و النهاية ج 4 ص 264 و جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 33 و الأغاني ج 6 ص 93 و المواهب اللدنية للقسطاني ج 3 ص 384 و إعلام السائلين ص 10-19 و ناسخ التواريخ في سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص 274 و التراتيب الإدارية ج 1 ص 142 و ثقات ابن حبان ج 2 ص 5 و ج 1 ص 1 و مآثر الإنافة ج 3 ص 247 و فقه السيرة ص 371 و التأريخ لابن خلدون ج 2 ق 2 ص 36 و تأريخ الخميس ج 2 ص 33 و الفائق للزمخشري ج 1 ص 36 و 14 و حياة الصحابة ج 1 ص 110 و تفسير القرطبي ج 4 ص 105 و تفسير المنار ج 3 ص 328 و زاد المعاد لابن القيم ج 3 ص 60 و دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 379 و 380 و 384 و عبد الرزاق ج 5 ص 346 و الوثائق ص 107/26 و قال: قابل مسند أحمد ج 3 ص 133 و ج 4 ص 74 و 75 و أشار إلى المجالات العصرية المتعرضة للكتاب و نقله أيضا عن جمع ممن تقدم (و عن تفسير النسائي ج 3 ص 441 و المنتقى لأبي نعيم ورقة 132 و صبح الأعشى ج 6 ص 376 و مفيد العلوم و مبيد الهموم للقزويني ص 17 و وسيلة المتعبدين ص 8 مخطوطة بانكي پور في الهند ورقة 27 و الإمتاع للمقريزي (خطية كوبر لو) ص 1012 و المبعث و المغازي للثيمي خطية ورقة 12 و الوفاء لابن الجوزي ص 724) و راجع: مدينة البلاغة ج 2 ص 247 و مرقاة المصابيح ج 4 ص 221 و مشكاة المصابيح بهامش المرقاة ص 221 و حياة محمد لهيكل ص 352 و المصباح المضيء ج 2 ص 77 و نشأة الدولة الإسلامية ص 299 و 300. و أشار إلى الكتاب: الترمذي ج 5 ص 68 و البحار ج 21 ص 286 و ج 17 ص 207 و ج 15 ص 30 و ج 4 ص 100 و ج 20 ص 386 و الجامع للقيرواني ج 1 ص 288 و الطبقات الكبرى ج 1 ق 2 ص 16 و ج 4 ق 1 ص 18 و التنبيه و الإشراف ص 226 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 177 و ج 10 ص 130 و 131 و مسند أحمد ج 1 ص 262 و تفسير غازر ج 2 ص 65 و تفسير ابن كثير ج 1 ص 371 و تفسير الثعالبي ج 1 ص 275 و ابن هشام ج 4 ص 254

والنهاية لابن الأثير في «دعى» و«أرس» وكذا في لسان العرب. وراجع: فتح الباري ج 13 ص 430 وج 1 ص 35 وج 6 ص 79 وج 8 ص 165 والعمدة ج 1 ص 79 وج 14 ص 210 وج 18 ص 144 وعون المعبود ج 4 ص 498 و 499 ومجمع الزوائد ج 5 ص 306 والأم للشافعي ج 4 ص 171.

والمراجعة والمقارنة بين كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» لكسرى، وكتابه لقيصر، يتضح مدى التوافق بين الكتابين، باستثناء اختلافات يسيرة فيما بينهما، سوف نحاول الإلماح إلى بعض ما تمس الحاجة إليه، فنقول:

ص: 295

ورد في الكتاب قوله «صلى الله عليه وآله»: «يؤتلك الله أجرَكَ مَرَّتَيْنِ» وهذا يتضمن إشارات لأُمور عديدة، منها:

أولاً: لقد ذكر له «إيتاء الأجر» لا إعطاءه، و الإيتاء يتضمن معنى الجزاء بل قد فسر به (1).

وهو أيضا يشير إلى: أن ما يصل إليه إنما هو أحد طرفي معاملة أو قتل مبادلة من طرفين، فهو نظير آسى، و آكل أي أن الإيتاء إعطاء على سبيل المقابلة بشيء قد أوجب ذلك، ودعا إليه. . وقد يستبطن ذلك معنى السهولة واليسر أيضا.

ثانيا: إن هذا الإيتاء الذي جاء على سبيل المقابلة والجزاء على فعل الإسلام، إنما هو من الله تعالى، فلا منة فيه لأحد عليه، ولا يطلب منه شكر و مكافأة لمخلوق مثله. .

ثالثا: إن هذا العطاء داخل في مقولة الأجر و المثوبة التي أوجبها إيمان؛ يعتبر عند الله عملا محترما، و محفوظا لعامله الذي قام به باختياره، و ليس استجابة لعملية ابتزاز، وقهر، و إخضاع مذل. بل هو أمر فرضه على العامل معرفته بواقع كونه مربوبا، لا بد أن يؤدي فروضه و واجباته بأمانة و صدق و إخلاص.

رابعا: لعل إيتاء الأجر مَرَّتَيْنِ، إنما كان لأجل إيمانه نفسه.

أوربما يكون الأجر مَرَّتَيْنِ هو أجر الدنيا و أجر الآخرة. .

ص: 296

أوربما لأجل إيمانه نفسه وإيمان قومه.

وربما يكون ذلك جاريا وفق السنة في أهل الكتاب، فقد قال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِيَّاتِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (1).

وروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «من أسلم من أهل الكتاب فله أجره مرتين» (2).

وذلك لأن أهل الكتاب ينالون أجرهم مرة بصبرهم على أذى الطواغيت، وأذى المنحرفين عن الحق، وذلك في المرحلة السابقة على ظهور نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله». وينالون أيضا أجرا آخر من أجل إيمانهم بمحمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتحملهم الأذى في جنب الله تعالى.

إثم الأريسيين:

وقد جاء في الكتاب إلى هرقل: «فإن توليت، فإنما عليك إثم الأريسيين».

وقد ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: اختلافات الناقلين في هذه

ص: 297

1- الآيات 52-54 من سورة القصص.

2- راجع: المعجم الكبير ج 8 ص 191 و بمعناه في ص 212 و السنن الكبرى ج 7 ص 128 و مشكل الآثار ج 2 ص 215 و 394 و مسند أحمد ج 5 ص 259 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 395 عنهم، و مجمع الزوائد ج 1 ص 93 و الدر المنثور ج 5 ص 133 و كنز العمال ج 1 ص 96 و جامع البيان ج 27 ص 317 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 405.

الكلمة أو الفقرة (1)، لا نرى حاجة للتعرض لها ههنا. .

غير أن علينا أن نشير إلى المراد بهذه الكلمة، فنقول:

قد تقدم بعض الحديث عن المراد بها، حين الكلام عن كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الفرس، ونضيف إلى ذلك هنا: أن أقرب الوجوه في معناها هو:

أن المراد بالأريسيين: أتباع آريوس أسقف الإسكندرية، الذين كانوا يقولون بالتوحيد الخالص، وأنكروا التثليث، واعتبروا المسيح عبدا من عباد الله المخلصين.

وكانوا قد كثروا وانتشرت دعوتهم، فأخاف ذلك الإمبرطور الروماني قسطنطين، الذي كان وثنيا و تنصر، فجمع عددا كبيرا من الأساقفة، بلغ (318) أسقفا. . وبعد مناقشات حامية وفي ظل التهيب والتخويف سيطر أنصار التثليث على أتباع آريوس، وفرضوا عقيدة التثليث، و حوَصر أتباع آريوس بقرار الكنيسة بمنع تداول عقائدهم (2).

وقال أبو عبيد: إن الأريسيين هم الخدم والخول (3)، الذين يصدّهم أربابهم عن الدين والحق.

وقيل: هم الأكارون-لأنهم كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة

ص: 298

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 396 و 397.

2- راجع: تاريخ الفكر المسيحي (تأليف حنا الخضري) ج 1 ص 617، ودائرة المعارف للبستاني، كلمة «أرس» .

3- الأموال ص 33 و النهاية في اللغة ج 1 ص 38 و لسان العرب ج 1 ص 117 و عن فتح الباري ج 8 ص 167.

النار، فجعل عليهم إثمهم؛ إذ كانوا سببا في عدم إيمانهم.

وقيل: أتباع عبد الله بن أريس-رجل كان في الزمن الأول-قتلوا نبيا بعثه الله إليهم.

وقيل: الأريسيون: الملوك، واحدهم إريس، فالملك هو إريسهم الذي يجيئون دعوته ويطيعون أمره.

وقيل: هم العشارون (1).

ما جرى عند ملك الروم:

ونحن نذكر هنا: ما جرى عند ملك الروم، ونختار النص الذي أورده العلامة الأحمدي «رحمه الله»، وهو التالي:

«وكتب مع دحية إلى قيصر كتابا، يدعوه إلى الله تعالى ودين الإسلام، وأمره أن يدفعه إلى قيصر، فلما وصل دحية إلى الحارث ملك غسان، أرسل معه عدي بن حاتم ليوصله إلى قيصر.

فلما ذهب به إليه، قال قومه لدحية: إذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك.

قال دحية: لا أفعل هذا أبدا، ولا أسجد لغير الله.

قالوا: إذا لا يؤخذ كتابك.

فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له.

ص: 299

1- النهاية في غريب الحديث ج 1 ص 42 ولسان العرب ج 6 ص 6 وراجع: السيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج 3 ص 60 والبحار ج 20 ص 388 و 396 ومكاتيب الرسول ج 2 ص 397.

فقال دحية: وما هو؟

قال: إنه له على كل عتبة منبرا يجلس عليه، فضع صحيفةك تجاه المنبر حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها، ففعل.

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب، وقال: إن هذا كتاب لم أره بعد سليمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

فدعا المترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال: انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه» .

أبو سفيان عند ملك الروم:

وروي عن ابن عباس، عن أبي سفيان، أنه قال: «في الهدنة التي كانت بيني وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرجت للتجارة إلى الشام، فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هرقل، فأرسل هرقل إليه في ركب من قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وعلى رأسه تاج، و حوله عظماء الروم، و دعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي.

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا.

فقال: ادنوه مني، و قربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبنني فكذبوه، فقال: حدثني عن هذا الذي خرج بأرضكم ما هو؟

قلت: شاب.

ص: 300

قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: لا، بل يزدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال.

قال: كيف عقله ورأيه؟

قلت: لم نعب له عقلا ولا رأيا قط.

قال: كيف حسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو حسب» .

قال لترجمانه: قل له: فما يأمركم به؟

قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة، وأن نعبد الله وحده لا شريك له، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والطهارة.

فقال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها.

وسألتك هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا.

فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم.

فقلت: بل ضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل.

وسألتك هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليُدّعي الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت: أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت: أنكم قد قاتلتموه، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا، ينال منكم وتناولون منه، وكذلك الرسل تبتلى، ثم

تكون لهم العاقبة.

وسألتك هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله، فزعمت أن لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

قال ثم قال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أنني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، و ليلبغن ملكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعى بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقرأه» .

وذكر أن ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد، وقال لعمه: قد ابتدأ بنفسه و سمالك صاحب الروم.

فقال: والله إنك لضعيف الرأي، أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، و هو أحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، و الله مالكي و ماله.

وفي نقل آخر: إن هذا الرجل أخوه.

قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، و كثر اللغط، فأمر بنا فأخرجنا.

قال: قلت لأصحابي: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر.

قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

ثم أمر الملك بإنزال دحية وإكرامه، وأمر مناديا ينادي: ألا إن هرقل قد ترك النصرانية، واتبع دين محمد «صلى الله عليه وآله»، فأقبل جنده قد تسلحوا حتى أطافوا بقصره.

فأمر مناديه فنأدى: ألا إن قيصر إنما أراد أن يجربكم، كيف صبركم على دينكم، فارجعوا قد رضي عنكم.

ثم قال للرسول: إني أخاف على ملكي، إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكنني أخاف الروم على نفسي، ولو لا ذلك لا تبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبكم، فهو أعظم في الروم مني، وأجوز قولاً مني عندهم، صاحبك والله نبي مرسل.

فجاء دحية فأخبره بما جاء به من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه في صفته، ونجده في كتابنا باسمه، ثم ألقى ثياباً كانت عليه سوداء، ولبس ثياباً بيضاء، ثم أخذ عصاه، ثم خرج على الروم وهم في الكنيسة.

فقال: يا معشر الروم: إنه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا فيه إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن أحمد رسول الله، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فضربوه فقتلوه، فرجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر.

فقال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا، وضغاطر كان والله أعظم عندهم مني» .

ويظهر من بعض الألفاظ (كما يظهر من الإصابة عن بعض الرواة) :

أن ضغاطر اجتماع مع ملك الروم، فأقرأه الكتاب، فقال: هذا النبي الذي كنا ننتظره.

قال: فما تأمرني؟

قال: أما إني فمصدقته و مشيعه.

قال قيصر: أما إن فعلت يذهب ملكي» (1).

ص: 305

1- في مكاتيب الرسول ج 2 ص 405 قال العلامة الأحمدي: راجع في تفصيل بعث دحية وقصة أبي سفيان: السيرة الحلبية ج 3 ص 273 وسيرة دحلان ج 3 ص 58 و دلائل أبي نعيم: 287 و 290 و البحار ج 20 ص 389 و مسند أحمد ج 3 ص 263 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 141 و ج 6 ص 392 و الدر المنثور ج 2 ص 40 و مشكل الآثار للطحاوي ج 3 ص 397 و الدلائل للبيهقي ج 4 ص 279-284 و الأموال لأبي عبيد ص 34 و 362 و أعيان الشيعة ج 1 ص 244 و السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 177 و ج 10 ص 130 و فتح الباري ج 1 ص 35 و ج 6 ص 79 و ج 8 ص 165 و عمدة القاري ج 1 ص 99 و ج 14 ص 210 و ج 18 ص 144 و عون المعبود ج 4 ص 498 و الطبقات الكبرى ج 1 ق 2 ص 16 و ثقات ابن حبان ج 2 ص 5 و البخاري ج 1 ص 2-5 و ج 4 ص 57 و تاريخ الخميس ج 2 ص 32 و البداية و النهاية ج 4 ص 262-268 و تاريخ الأمم و الملوك ج 2 ص 646 و الكامل لابن الأثير ج 2 ص 211 و الإصابة ج 2 ص 216 و أسد الغابة ج 3 ص 41 و مجمع الزوائد ج 8 ص 236 و 237 و ج 5 ص 306-308 و حياة الصحابة ج 1 ص 104 و راجع: الطبراني في الكبير ج 12 ص 442 (13607) و ج 25 ص 233-238 و ج 4 ص 266 و ج 8 ص 17-28 بأسانيد متعددة و المصنف لعبد الرزاق ج 5 ص 344 و الروض الأنف ج 3 ص 249 و الأموال لابن زنجويه ج 2 ص 584 و 585 و 589 و المنتظم ج 3 ص 277 و 278.

وبعد، فإننا نلاحظ على ما تقدم ما يلي:

إنه قد ورد في كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الروم قوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (1).

وقد تقدم: أن بعض النصوص صرحت: بأن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الكفار هو: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. الآية (2).

وعن الزهري: كانت كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم واحدة، كلها فيها هذه الآية (3).

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب هذه الآية إلى كسرى (4).

وسأتي: أنه كتب بها إلى المقوقس وإلى النجاشي أيضا.

وقال أبو عبيد: «كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى، وقيصر، و النجاشي كتابا واحدا:

ص: 306

1- الآية 64 من سورة آل عمران.

2- الدر المنثور ج 2 ص 40 عن الطبراني عن ابن عباس وراجع المصادر المتقدمة.

3- البداية والنهاية ج 3 ص 83 و المصادر المتقدمة.

4- راجع: الأموال ص 34 و كنز العمال ج 10 ص 417 و البحار ج 21 ص 287 الدر المنثور ج 5 ص 107 و المصنف لابن أبي شيبة ج

14 ص 338 و سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 189 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 320.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي.

أما بعد، تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. . الآية» (1).

وهذه الآية قد جاءت في سورة آل عمران.

وقد ذكروا أيضا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر هذه الآية لأهل نجران، حين جاؤوا إلى المدينة (2).

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتبها.

وقيل: نزلت لأنها نزلت سنة تسع، وهي سنة قدوم النجرانيين (3).

وقيل: بل بعد نزولها؛ لأن نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود (4).

ونقول:

إن قراءة النبي «صلى الله عليه وآله» للآية على النجرانيين، و الطلب إليهم العمل بمضمونها لا يدل على نزول الآية في ذلك الحين، فإن مضمونها عام صالح للاستفادة منه في كل حين، وقد دلت الروايات على

ص: 307

1- الأموال ص 34 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 320 و 456 و المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 461 و كنز العمال ج 10 ص 632.

2- الدر المنثور ج 2 ص 40 عن ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير، وعن السدي.

3- السيرة الحلبية ج 3 ص 244 و راجع: عمدة القاري ج 1 ص 93.

4- الدر المنثور ج 2 ص 40 عن ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و عبد بن حميد، و السيرة الحلبية ج 3 ص 244 و راجع: عمدة القاري ج 1

ص 93 و جامع البيان ج 3 ص 410 و 415 و فتح القدير ج 1 ص 349.

نزولها قبل ذلك حين كان يحتج على يهود المدينة.

كما أن من الجائز أن يكون أهل نجران قد جاؤوا إلى المدينة في سنة ست.

الآية تفرض التوحيد:

وربما يتوهم بعضهم، أو يعتمد القول: بأن مفاد الآية هو دعوة أهل الكتاب إلى الالتزام بالقواسم المشتركة بيننا وبينهم، وهي عبادة الله، و توحيده، ويبقى ما عداها خاضعا للبحث والحوار. .

إنه كلام غير صحيح، بل إن الآية تريد أن تلزم أهل الكتاب بالتوحيد، وأن تفرض عليهم التخلي عن الشرك، و عبادة غير الله، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله.

وهو أمر لا يرضاه أهل الكتاب، وقد صرح القرآن بأنهم: **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. (1)**

و صرح أيضا بشركهم، و بعبادتهم لغير الله عز و جل، حيث قال: **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. (2)**

وقال: **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ إِلَهٍ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا**

ص: 308

1- الآية 31 من سورة التوبة.

2- الآيتان 17 و 72 من سورة المائدة.

وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ. . (1).

وقال تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا. . (2).

وقال سبحانه: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. . (3).

وقال تبارك و تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (4).

كما أن آية الجزية صريحة: في أن من أهل الكتاب، من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدين دين الحق (5).

فهذه الآيات كلها تدل: على أن أهل الكتاب لا يعبدون الله وحده لا شريك له، كما يريد أن يدّعيه هذا البعض. بل إن قوله تعالى: تَعَالَوْا إِلَى

ص: 309

1- الآيات 73-77 من سورة المائدة.

2- الآية 59 من سورة المائدة.

3- الآية 116 من سورة المائدة.

4- الآيات 30-32 من سورة التوبة.

5- الآية 29 من سورة التوبة.

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. . الآية، يدل: على أنهم بعيدون عن كلمة السواء، و لا يلتزمون بها تماما كاتخاذهم أحبارهم أربابا من دون الله.

فإن الآية قد دعتهم إلى الالتزام بهذين الأمرين بصيغة واحدة، و سياق واحد، و ذلك يدل على عدم التزامهم بهما معا، كما قلنا. .

و يؤيد ذلك: ما روي من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كلم النضر بن الحارث حتى أفحمه، ثم قال: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ. . الآية، فلما خرج النبي «صلى الله عليه وآله» قال ابن الزبير: أما و الله لو وجدته في المجلس لخصمته، فاسألوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، و اليهود تعبد عزيزا، و النصراني تعبد عيسى.

فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا ويل أمه، أما علم أن «ما» لما لا يعقل، و «من» لمن يعقل؟

فنزلت: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا. . الآية (1).

ص: 310

1- المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 49 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 294 و البحار ج 18 ص 200 و القواعد الفقهية ج 5 ص 338 عن الكاشف ج 3 ص 136 و عن أسباب النزول للواحدي ص 175 و عن الدر المنثور ج 5 ص 679. و راجع: البداية و النهاية ج 3 ص 111 و السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 241 و السيرة النبوية لابن كثير ج 2 ص 53 و سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 465 و جامع البيان ج 17 ص 128 و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 16 ص 103 و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 3 ص 208.

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد كتب بآية «كلمة السواء» إلى ملك الفرس بالإضافة إلى النجاشي، وقيصر، والمقوقس، فإن ذلك يعني: أن المجوس أيضا من أهل الكتاب.

وقد ورد في الأحاديث: أنه كان لهم كتاب فضيعوه، أو أحرقوه (1).

فتضييعهم له، لم يخرجهم عن أحكامه، ولا أوجب معاملتهم معاملة أهل الشرك.

جواب قيصر:

ويقول المؤرخون أيضا: إن قيصر قد رد دحية بن خليفة الكلبي مكرما، وأهدى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هدية، وكتب إليه:

«.. إلى أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم:

إني جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم.

وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك، فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيرا

ص: 311

1- فقه القرآن ج 1 ص 342 و 344 و ميزان الحكمة ج 4 ص 3183 والكافي ج 3 ص 568 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 54 و تهذيب الأحكام ج 4 ص 113 و ج 6 ص 159 و 175 والوسائل (ط دار الإسلامية) ج 11 ص 96 و 97 و الفصول المهمة ج 2 ص 212 و البحار ج 14 ص 463 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 413 و التفسير الصافي ج 2 ص 334 و نور الثقلين ج 2 ص 202 و قصص الأنبياء للجزائري ص 514 و عن فتح الباري ج 9 ص 343.

لهم. ولوددت أني عندك، فأخدمك، وأغسل قدميك» (1).

وجعل كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الديباج والحريز، وجعله في سبط (2).

فلما وصل كتابه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: «يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم» (3).

ونقل الحلبي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «كذب عدو الله، إنه ليس بمسلم» (4).

وقد ذكر السهيلي: أن هرقل وضع كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي كتب إليه في قصبة من ذهب، تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر، في أرفع صوان، وأعز مكان، حتى كان عند

ص: 312

1- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 67 و 68 و راجع: السيرة الحلبية ج 3 ص 246 و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج 3 ص 63 و الروض الأنف ج 4 ص 196 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 410.

2- دلائل النبوة لأبي نعيم ص 291 و راجع: الروض الأنف ج 4 ص 197 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 410 و سبل الهدى والرشاد ج 11 ص 354.

3- تاريخ يعقوبي ج 2 ص 68 و راجع: مسند أحمد ج 3 ص 442 و ج 4 ص 74 و البحار ج 20 ص 386 و مكاتيب الرسول ج 2 ص 410 و 416 و مجمع الزوائد ج 8 ص 235 و عن فتح الباري ج 1 ص 42 و كنز العمال ج 1 ص 268 و البداية والنهاية ج 5 ص 20 و السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 28 و سبل الهدى والرشاد ج 5 ص 458 و ج 11 ص 355.

4- السيرة الحلبية ج 3 ص 246 و السيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج 3 ص 63 و موارد الظمآن ص 393.

«أذفونش» الذي تغلب على طليطلة، و ما أخذ أخذها من بلاد الأندلس، ثم كان عند ابن بنته، المعروف ب «السليطين» .

حدثني بعض أصحابنا: أنه حدثه من سألته رؤيته من قواد أجناد المسلمين، كان يعرف بعبد الملك بن سعيد، قال: فأخرجه إلي، فاستعبرته، و أردت تقييله، و أخذه بيدي، فمنعني من ذلك، صيانة له، و ضنا به عليّ.

حراجة موقف أبي سفيان:

و لا نريد التعليق على المحاورة التي جرت بين قيصر و أبي سفيان، بل نكتفي بالقول: إن أبا سفيان لم يكن سعيدا حين كان يجيب على أسئلة قيصر، و ذلك من جهتين:

إحدهما: أنه يرى: أعدى أعدائه قد أصبح يشكل قضية كبيرة لقيصر، و لكسرى، و لغيرهما من ملوك الأرض، و أن هؤلاء الملوك الأقوياء جدا لم يستهينوا بأمر هذا النبي «صلى الله عليه و آله» ، بل تلقوا أمره، و قرأوا كتبه لهم باهتمام بالغ، و بجدية ظاهرة، و كان موقفهم منه يتسم بكثير من التروي، و الحرص على عدم ظهور أية بادرة عداة من قبلهم تجاهه، سوى ما ظهر من كسرى. .

وقد أسلم بعض هؤلاء الملوك، أو أسلم كبار من أعوانهم و رجالاتهم، و من لم يعلن إسلامه، فإنه اتخذ جانب المداراة، و التودد له، و أرسل له الهدايا، و خصه بالعبارات الرضوية، و الرقيقة. .

و هذا أمر لا- بد أن يزعج أبا سفيان جدا، إلى حد الصدمة، و يجعله أكثر يأسا من الوصول إلى مبتغاه، ألا و هو القضاء على دعوته، و التخلص من

الدين الذي جاء به بيسر و سهولة. .

الثانية: إنه وجد نفسه مضطرا للصدق في أجوبته على أسئلة قيصر، ليحفظ لنفسه موطئ قدم لديه، ولا بد أن يكون ذلك صعبا عليه؛ لأنه يدرك أن كلماته سوف تترك انطباعا إيجابيا لدى قيصر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أمر كان أبو سفيان يخشى عواقبه و تبعاته كل الخشية، ولا يرضاه في حال من الأحوال.

لم أكن أظنه منكم:

و يشير الانتباه هنا: قول قيصر لأبي سفيان: إنه يعرف: أنه نبي، وأنه خارج لا محالة، ولكنه لم يكن يظن أنه من العرب. .

غير أننا نقول:

هل كان سوء حال العرب، واستغراقهم في جهالاتهم وضلالاتهم هو الذي صرف ذهن قيصر عن تداول احتمال أن يكون الرسول الموعود منهم؟! وإلا فإن واقع الحال يشير إلى أنه برغم كل هذا التحريف للحقائق الذي ظهر في كتبهم التي يعتقدون بها، فقد حفلت تلك الكتب نفسها بإشارات ودلالات كثيرة جدا، تؤكد على أن هذا النبي هو من العرب، ومن مكة المكرمة بالتحديد. ونذكر مثالين على ذلك، وهما:

1-ورد في الأصل العبراني من سفر التكوين ما ترجمته: «ولإسماعيل سمعته (إبراهيم) ها أنا أباركه كثيرا، وأنميّه، وأثمره كثيرا، وأرفع مقامه

ص: 314

كثيرا بمحمد، واثني عشر إماما يلدهم إسماعيل، وأجعله أمة كبيرة» (1).

2- «هذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين، ليسألوه: من أنت؟!

فاعترف ولم ينكر، وأقر: إني لست المسيح.

فسألوه: إذن ماذا؟! إيليا أنت؟!

فقال: لست أنا.

النبي أنت؟!

فأجاب: لا.

فقالوا: من أنت لتعطي جوابا الخ. .» (2).

وهناك العديد من المؤلفات التي أوردت بشارات العهدين برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيمكن الرجوع إليها والوقوف على بعض من ذلك. . ويكفي أن نشير إلى أن الله تعالى يقول: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ (3).

ويقول: النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ (4).

ومعرفة قيصر بظهور نبي في آخر الزمان يدل على أن ذلك-كما أشار إليه القرآن-كان معروفا عندهم. وهناك شواهد كثيرة على هذا الأمر لسنا بصدد تتبعها.

ص: 315

1- سفر التكوين 17:20.

2- إنجيل يوحنا 1/19 فما بعدها.

3- الآية 146 من سورة البقرة، والآية 20 من سورة الأنعام.

4- الآية 157 من سورة الأعراف.

ليبلغن ملكه تحت قدمي:

وقد تقدم أن قيصر قد أعلن: بأن ملك هذا النبي-الذي كان عالما بأنه سيظهر-سوف يبلغ إلى تحت قدميه. . والمتوقع في حالات كهذه أحد أمرين:

أولهما: أن يؤمن ويسلم، ويستسلم للأمر الواقع، ويرجع الأمر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه. .

الثاني: أن يثور، وأن يزمجر، ويتهدد، ويتوعد، ويباشر العمل في تجهيز الجيوش، لإنزال الضربة الحاسمة بهذا الذي يخشاه على ملكه. .

ولكن قيصر لم يفعل لا هذا ولا ذاك. . بل عامل النبي «صلى الله عليه وآله» بالمدارة والرفق. . ولكنه لم يدخل في الإسلام.

تقدم وسيأتي أنه قد ادّعى الإسلام فكذب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهذا يدل على أنه قد نافق، وماكر، وكذب على الرسول «صلى الله عليه وآله»، وسعى لدفعه برفق وأناة؛ لأنه يريد التصدي لإنسان يعرف أنه نبي مرسل، ويدرك أن إعلان الحرب عليه معناه إعلان الحرب على الله سبحانه، وهو يعرف أنه قد يعجز عن مواجهة بشر مثله، فهل يقدر على أن يواجه الله تعالى، ويعلن الحرب عليه؟! !

حنكة قيصر في استجواب أبي سفيان:

وقد أظهر استجواب قيصر لأبي سفيان: أن هذا الرجل كان على جانب كبير من الحنكة والمعرفة بالأمور، وبمناشئها، ودوافعها، كما أنه كان مطلعاً على شيء من تاريخ دعوات الأنبياء «عليهم السلام»، وخصوصياتهم، بالإضافة إلى

قدر كبير من الدراية والبصر بأحوال الناس، وبأخلاقهم، وطبيعة نظرتهم للأمور، ويتضح لك فيما يلي:

نظرة في أسئلة قيصر:

وإذا ألقينا نظرة على أسئلة قيصر لأبي سفيان، فإننا سوف نخرج بنتيجة مفادها: أنها قد اختيرت بعناية فائقة، حيث عرف من خلالها كل الأمور والمزايا والخصوصيات التي تحتم نجاح مهمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه لا قدرة لأحد على الوقوف في وجه دعوة لها هذه الميزات، والخصوصيات.

ونذكر من ذلك على سبيل المثال: 1- أن قيصر لم يسأل أبا سفيان عن معجزة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن السبب في عدم انصياعهم لمعجزته. بل اتخذ الحوار بينهما منحي آخر يصب في اتجاه التعرف على ما يفيد في وضع خطة لمواجهة هذه الدعوة التي يخشاها كل الخشية ويريد أن يتجنب الصدام معها.

2- أنه سأل أبا سفيان عن نسب وحسب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره: أنه ذونسب وحسب. . وله مكانة مرموقة فيما بين قومه. . وبديهي: أن الناس العاديين يعظمون ذوي الأحساب، ويحبون التقرب منهم، ولا يرضيهم إلحاق الأذى بهم، ولا يؤنسهم التطاول عليهم. . ومعرفة قيصر بهذا الأمر بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، سوف يزعجه، ويزيد من هواجسه. .

3- حين لم يجد قيصر في آباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ملكا،

فإنه فقد المبرر لاتهامه «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد أمرا لنفسه، وأنه طالب جاه ومقام ضاع منه. .

4- وإذا كان ضعفاء الناس هم أتباع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن ذلك يعني: أن الشرفاء والرؤساء- وهم قليلون- يفقدون سيطرتهم على أولئك الضعفاء، الذين هم الكثرة الكاثرة، والذين يعيشون حالة من التلاحم، والتعاضد، ويعطف بعضهم على البعض الآخر، ويحن إليه، وتتلاقى مشاعرهم بالمظلومية والقهر، وتشارك أمانيتهم في التعلق بمن يأتي لينجيهم مما هم فيه، من ظلم وعسف أولئك الأسياد. ويهديهم إلى طريق الخلاص من متاعبهم، وآلامهم. .

5- ومن الواضح: أن الوثوق بصدق القائد والرئيس أمر مهم جدا في حصول الاطمينان لدى الناس بأقواله وأفعاله، وفي سكون نفوسهم إليه. . وهو يقلل أيضا من فرص التشكيك في صدقيته، وفي خلوصه، وإخلاصه. . وهو من موجبات احترام الناس وإكبارهم له.

كما أن ذلك يؤكد لهم صحة ما جاء به، ويزيد تقديسهم له. .

6- وإن عدم ارتداد أحد ممن يدخل في دينه «صلى الله عليه وآله»، يشير إلى أن باطن هذا الدين لا يخالف ظاهره، وأن شعاراته متوافقة مع حقائقه، وأنه منسجم مع الفطرة والحقيقة الإنسانية، مؤيد بالمنطق القويم، والعقل السليم، وأنه صالح لكل المستويات، ومتوافق مع عقول الناس من مختلف الفئات، وجميع المجتمعات. .

كما أن ذلك يدل على أن من يؤمن بهذا الدين يجد فيه مبتغاه، وأنه حتى لو كان قد دخل فيه لألف سبب وسبب، فإن هذا الدين قادر على تحويل

العلاقة الظاهرية، إلى علاقة إيمانية حقيقية وواقعية. .

7-يضاف إلى ذلك: أن أهل الإيمان في ازدياد مستمر، وأن هذا الدين لا يتراجع ولا ينحسر. وأن ذلك ينسحب على جميع القوميات، و الطبقات، والفئات.

وهذا يعطي: أنه لا- خصوصية لبلاد العرب و لا- لأحوالهم في ذلك، بل الخصوصية هي للتكوين الإنساني نفسه، حيث إنه إذا وجد ما يسانخه، ويتلاءم معه، فإنه يتلاحم معه، ويندمج فيه.

8-ولأجل ذلك سأل قيصر أخيراً عن التعاليم التي جاء بها، فلما أخبره ببعضها أدرك أنها تعاليم إنسانية إلهية خالصة، وهي التي تبحث الفطرة عنها، لتتكامل بها ومعها. وهي التي تأنس بها النفس، وتهفو إليها الروح، ويرشد إليها عقل الإنسان و يرضاها وجدانه، وضميره. .

وفي هذا الحوار نقاط كثيرة أخرى، كلها تصب في اتجاه واحد، وهو: أن قيصراً أراد أن يكتشف ثغرة في دعوة رسول الله «صلى الله عليه و آله» تفصح المجال لتسديد الضربة القاصمة له، ليتخلص منه، فلم يجد. .

ولأجل ذلك عقب بقوله: «و ليلغن ملكه ما تحت قدمي» .

بل وجد أن أي صدام مع هذا النبي سوف يؤدي إلى غرس شجرة الإسلام في بلاده، وهي شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا مجال للتخلص منها، في أي حال، بل يكون السعي في هذا الاتجاه من موجبات قوتها، وتجذرها. وانتشار أغصانها في كل اتجاه. .

فآثر العمل على تجنب ذلك، و مارس المكر والحيلة، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، و لتعلمن نبأه بعد حين.

ولو أنه كان راغباً في الإسلام، فقد كان باستطاعته وهو الرجل المجرب، والحصيف أن يفعل ذلك، وأن يمهد السبل لإسلام أهل مملكته وفق ما يأمره به نبي الله «صلى الله عليه وآله» .

هرقل مكر و كاذب:

تقدم: أن ملك الروم بعد ما قرأ كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» واطلع من أبي سفيان على ما أحب أن يطلع عليه. «أمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد و اتبعه.

فدخلت الأجناد في سلاحها، وأطافت بقصره، تريد قتله، فأرسل إليهم: أني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم. فرضوا عنه.

ثم كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه مسلم، ولكنه مغلوب على أمره. .

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كذب عدو الله، ليس بمسلم، بل هو على نصرانيته. . أو نحو ذلك» (1).

ص: 320

1- الروض الأنف ج 4 ص 196 وراجع: حياة الصحابة ج 1 ص 106 و 107 و البداية و النهاية ج 4 ص 267 و 268 و ج 5 ص 15 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 114 و عن فتح الباري ج 1 ص 35 و السيرة الحلبية ج 3 ص 246 و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج 3 ص 63 و سائر المصادر التي ذكرناها سابقاً، حين أوردنا ما جرى بين هرقل، وأبي سفيان، و موارد الظمآن ص 393 و صحيح ابن حبان ج 10 ص 358.

ونقول:

إن التأمل في هذا الذي جرى يدل دلالة واضحة على مكر هذا الرجل، وعلى سوء سريرته، حيث اختار هذه الطريقة التحريضية المثيرة، التي من شأنها أن تلهب مشاعر الناس، وتعجل باتخاذهم قرار الرفض، تحت وطأة الشعور بالخوف والوجل من أمر مجهول لهم، لم يطلعوا على أي شيء منه يفيد في طمأننتهم إلى مصيرهم ومستقبلهم معه .

وقد كان بإمكانه أن يفعل كما فعل باذان، وملك الحبشة، وغيرهما من الملوك الذين أسلموا، ولم يثيروا الناس من حولهم، بل هم قد يسروا لهم سبيل الإيمان والهداية، وأفسحوا لهم المجال في هذا الأمر، بعيدا عن أجواء التشنج والإثارة والتحدي . فأنازل الله قلوبهم بالحق، وفتح أعينهم على الخير، وأسلموا لله رب العالمين .

نعم، إن ما فعله قيصر، قد أوجب صدود الناس عن التفكير في حقيقة ما يعرضه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم، وأصبحوا يتعاملون بانفعال، وبعصبية بالغة، وبتحفظ شديد. وبذلك يكون قد أوصد أبواب الهداية إلى الله تعالى، وحرّمهم من بركاتها .

وقد أكد هذا الصدود لديهم والإصرار على الممانعة منهم، حين لوح لهم بأن هذا النبي هو من قوم لم يكن يظن أن يكون منهم، فأثار في نفوس أتباعه مشاعر الاستكبار، والتعالي، وساقهم إلى رفض الانصياع لنبي يخرج من قوم ليس لهم شأن، ولا مقام، ولا بد أن يعتبروا الانصياع لنبي من قوم لهم هذه الصفة نقيضة وعارا، ولا يليق صدوره من أهل الشرف والشهامة، والرياسة، والزعامة.

ص: 321

ولعل الذي دعاه إلى ذلك: خوفه من أن يكون انتشار الإسلام في رعيته سببا في تعاضم نفوذ كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم، إلى حد يؤثر على نفوذه، ويضعف مكانته عندهم، مع إدراكه أن الانقياد للدين و لرموزه يكون هو الأشد؛ لأنه انقياد نابع من ضمير الإنسان، و من أعماق روحه، و شغاف قلبه. لا خوفا من عصا، و لا طمعا بشيء من حطام الدنيا. فابتكر هذه الطريقة من أجل حسم الأمر لصالحه، وهكذا كان.

و أما إعلان الحرب من قبله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فهو غير سديد؛ لأنه سوف ينتهي إلى ما انتهت إليه قريش في حربها معه. كما سيأتي توضيحه حين الكلام عن موقف المقوقس.

وبذلك يكون قيصر قد باء بإثم الأريسيين، أو القبط، الذين كان يستطيع أن يهديهم إلى الحق، و يأخذ بأيديهم إلى النجاة فساقهم إلى الكفر، و أوردتهم موارد السوء و البوار و الهلاك. .

أكثر من كتاب إلى قيصر:

هذا و بمراجعة المصادر التاريخية يتضح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل كتباً أخرى إلى قيصر، أحدها حينما كان راجعا من تبوك، و قد طلب منه أن يعطي الجزية، فإن أبى، فعليه أن يواجهه الحرب، إلا أن يلتزم بأن لا يحول بين الفلاحين، و بين الإسلام (1).

ص: 322

1- مكاتيب الرسول ج 2 ص 410 و 411 عن المصادر التالية: الأموال ص 22 و في (طبعة أخرى) ص 32، ورسالات نبوية ص 313-117 و مدينة البلاغة ج 2 ص 247 عن جمهرة رسائل العرب و الوثائق: 110/27 عن (الأموال وصبح الأعشى ج 6 ص 363 و 377 و سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 187 و المطالب العالية ج 4 ص 2231 و 2479 و راجع 4342 عن الحارث بن أسامة و قال: انظر مجلة المعارف شهر يونيو 1935 م: 416-430، و راجع: نشأة الدولة الإسلامية ص 299 و 300 (عن أبي عبيد، و القلقشندي، و محمد حميد الله)، و راجع أيضا ص 713. و أوعز إليه الحلبي في السيرة ج 2 ص 377 و البداية و النهاية ج 5 ص 15 و ابن عساكر ج 1 ص 113 و 114 و دحلان هامش الحلبية ج 2 ص 374 و سعيد بن منصور في سننه ج 2 ص 187.

و غزوة تبوك كانت في سنة تسع، فأرسل هذا الكتاب إلى قيصر في هذه السنة يدل على أنه لم يقبل منه ادعاءه للإسلام. بعد أن ظهرت دلائل كذبه، و مكره في دعواه هذه، فهدده في هذا الكتاب بالحرب، أو إعطاء الجزية.

وسوف نتعرض مرة أخرى لهذا الكتاب حين الحديث عن غزوة تبوك فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

لا أقبل زبد المشركين:

وقد ذكرنا فيما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يقبل هدية مشرك، أو كافر. فقد يقال: إن هذا لا يتلاءم مع ما ذكرته الروايات من قبوله «صلى الله عليه وآله» هدية قيصر، إذا كان كافراً؟! !

ويمكن أن يجاب عن ذلك بعدة أجوبة:

أحدها: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يقبل هدية المشركين. أما هدية أهل الكتاب، مثل: النصراني، واليهودي، فلم يكن يردّها كما دلت عليه

ص: 323

وقد كان قيصر نصرانيا، وكان كسرى مجوسيا، ويعد المجوس من أهل الكتاب أيضا.

وأما ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا فاسق عندي نعمة» (2).

فربما يقال: إن المراد به: من كان محاربا من الفساق والفجار.

الثاني: قد يقال: إن المقصود بما سبق هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يرد هدية المشرك المحارب، أما غيره، فكان يقبل هديته، حتى لو كان مشركا (3)، فضلا عن أن يكون يهوديا أو نصرانيا.

ص: 324

-
- 1- إختيار معرفة الرجال (ط جامعة طهران) ص 160 و (ط مؤسسة آل البيت) ج 2 ص 268 و البحار ج 16 ص 374 و ج 50 ص 107 و الوسائل (ط دار الإسلامية) ج 12 ص 217 و عون المعبود ج 8 ص 215 و سبل الهدى والرشاد ج 9 ص 31 و جامع الرواة ج 1 ص 300 و معجم رجال الحديث ج 8 ص 89.
 - 2- النصائح الكافية ص 156 و راجع: من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 299 (ط مؤسسة النشر الإسلامي) و كنز العمال ج 2 ص 111 و 211 و الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 108 و 308 (ط مؤسسة الرسالة)، و أبو طالب مؤمن قريش للخنيزي و تذكرة الموضوعات ص 68 و كشف الخفاء ج 1 ص 89 و 331 و ج 2 ص 321 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 353 و الدر المنثور ج 6 ص 186 و 187.
 - 3- الروض الأنف ج 4 ص 196.

ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام غير ظاهر الوجه، فإن المشرك إذا كان محارباً، فهو لا يهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً .

ثانياً: إن الحديث غير مقيد بالمحارب ولا بغيره. فراجع النصوص المنقولة في ذلك، حين الحديث عن إيمان أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، فإن مفادها: أن نفس شركهم هو السبب في عدم قبول الهدية منهم.

ثالثاً: قد ادّعى البعض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قبل هدية قيصر؛ لأنها فيء للمسلمين ولذلك قسمها عليهم. ولو أنها كانت هدية خاصة، بحيث تكون لشخصه «صلى الله عليه وآله»، ولا يستفيد منها سواه، أو أهل بيته الذين هم تحت تكفله، فإنها تكون له خالصة، كما كانت هدية المقوقس خالصة له، وقد قبلها منه؛ لأنه لم يكن محارباً للإسلام. .

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق:

أولاً: إن قيصر لا يختلف في موقفه عن المقوقس من حيث إنه يداري رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون أن يدخل في دينه.

ثانياً: إن قيصر قد أظهر في رسالته التي بعثها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قد أسلم، غاية الأمر: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد أخبر عنه أنه غير صادق فيما يقول، وأنه قد اتبع سبيل النفاق والمكر في هذا الأمر.

وقد كان «صلى الله عليه وآله» يعامل المنافقين كما يعامل المسلمين. وكان عارفاً بهم، وقد أخبر حذيفة بأسمائهم، ولم يؤثر عنه «صلى الله عليه

وآله» : أنه عاملهم كما يعامل أهل الكفر أو الشرك.

ثالثا: إنه لا دليل على النبي «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر ذلك فينا للمسلمين، إذ لماذا لا يكون «صلى الله عليه وآله» قد ترك لأصحابه أمرا هو له، ترفعا منه «صلى الله عليه وآله» ، وتنزها، أو إظهارا للشمم والنبيل، أو إثارا منه لأصحابه، ليتعلم منه الناس ذلك، و لتصل أخباره إلى من أرسل تلك الهدية، والذي كان يظن أن هديته، سوف يكون لها وقعها الخاص لدى المرسل إليه، بسبب ندرتها، وقيمتها، و أهميتها من الناحية المادية. .

رابعا: إن الفيء ملك خالص لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وليس لأحد فيه نصيب، فإن هؤلاء لم يأخذوه في ساحة الحرب، ليكون غنيمة لهم.

ص: 326

1-الفهرس الإجمالي

2-الفهرس التفصيلي

ص: 327

الباب الثاني: عهد الحديبية. . وقائع. . وآثار الفصل الأول: بيعة الرضوان 7-46

الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث و تفاصيل 47-88

الفصل الثالث: إدانة البريء 89-122

الفصل الرابع: تبرئة المذنب 123-148

الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة 149-162

الفصل السادس: عهد الحديبية: نتائج وآثار 163-190

الباب الثالث: حتى خيبر الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحهم 193-202

الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين الحديبية و خيبر 203-230

الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض. . الفصل الأول: بيانات تمهيدية 233-258

الفصل الثاني: كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى كسرى 259-290

الفصل الثالث: كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى قيصر 291-330

الفهارس: 331-340

ص: 329

2-الفهرس التفصلي

الباب الثاني: عهد الحديبية. . وقائع. . وآثار الفصل الأول: بيعة الرضوان. . حديث البيعة:9

أول من بايع:15

لماذا تعددت بيعة ابن الأكوع؟!17

هل بايعوه على الموت؟!19

بيعة المنافقين في الحديبية:20

حديث: «لا يدخل النار من شهد الحديبية» لا يصح:22

بيعة النبي صلى الله عليه وآله عن عثمان:24

محاولة فاشلة:25

الرد على الشيعة:26

الصحيح في القضية:34

سؤال و جوابه:35

دليل على موت الخضر:36

هل أسلم ابن عمر قبل أبيه؟!38

لا توقدوا نارا بالليل:40

عمر يقطع شجرة بيعة الرضوان:41

ص: 331

الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث و تفاصيل تقديم:49

عهد الحديبية:50

الاصطفاف للقتال، و اللواء مع علي عليه السلام:59

قريش في مأزق:60

رعب قريش و ضراعتها الصلح:62

معرفة النبي صلى الله عليه و آله بعدوّه:64

جلوس النبي صلى الله عليه و آله و جلوس سهيل:64

اختلاف نصوص العهد:64

مصادر العهد:65

كلمات تحتاج إلى توضيح:68

من هو كاتب العهد؟:69

محنة أبي جندل، و حوادث أخرى:71

عمر و أبو جندل:76

هل عندكم أمان أو عهد؟!76

اثنا عشر رجلا آخر:78

متى قتل ابن زنيم؟!78

سهيل يضرب ولده:79

الصلف الذي لا يطاق:80

هل في موقف الرسول صلى الله عليه و آله تناقض؟!80

إنّا لا نغدر:81

ص: 332

غضب قريش من خزاعة: 81

صلح الحديبية لا يشمل النساء: 83

1-سيعة الأسلمية: 85

2-أروى بنت ربيعة: 86

3-أميمة بنت بشر: 86

4-أم كلثوم بنت عقبة: 87

5-زينب ربيبة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: 87

نساء لحقن بالمشركين: 88

الفصل الثالث: إدانة البريء. . هل عصى علي عليه السلام أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله؟! 91

ظهور الحق الدفين: 94

الشك فيما ينسب لعلي عليه السلام: 96

استنطاق النصوص: 102

الحدث مستعار بكامل تفاصيله: 105

من أسباب التزوير: 106

لك مثلها يا علي: 109

ضع يدي عليها: 110

النبي صَلَّى الله عليه وآله يقرأ ويكتب: 113

الفصل الرابع: تبرئة المذنب. . استدراج مدروس: 125

لا نعطي الدنية في ديننا: 126

ص: 333

شك عمر في النبوة:128

شكوك عمر استمرت إلى الطائف:135

استمرار شكوك عمر إلى حجة الوداع:136

المسلمون يرفضون الإحلال:138

التبرك:142

ما نحره صلى الله عليه وآله عند المروة:142

الهدي عن سبعة:142

حلمهم الكبير الطعن في علي عليه السلام:142

الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة. . في طريق العودة:151

نوم المسلمين عن صلاتهم:154

صلح الحديبية أعظم الفتح:156

النبي صلى الله عليه وآله يذكرهم:161

أبو بكر. . في موازاة رسول الله صلى الله عليه وآله:161

تبرك سهيل بن عمرو:162

الفصل السادس: عهد الحديبية: نتائج وآثار. . آثار ونتائج عهد الحديبية:165

أبو بصير يقتل أسريه، ويعتصم بالساحل:177

مصير أبي بصير:183

أبو بصير يقتل أسره:184

النبي صلى الله عليه وآله يجير المشرك:185

ص: 334

النبي صَلَّى الله عليه وآله لا يجيب أبا بصير: 185

ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه رجال: 185

النبي صَلَّى الله عليه وآله يقبل خمس السلب: 186

قريش تعيش الإرباك والانقسام: 186

أسلم وغفار وجهينة مع أبي جندل: 187

ذل قريش: 188

الباب الثالث: حتى خبير

الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحوهم. . إيضاحات ضرورية: 195

وفاة أم رومان: 196

إسلام أبي هريرة: 201

إسلام عمران بن حصين: 201

الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر. . سرية أبان بن سعيد إلى نجد: 205

حكم الظهار: 208

تحريم الخمر: 215

أسطورة سحر النبي صَلَّى الله عليه وآله: 215

تناقض الروايات: 223

النبي صَلَّى الله عليه وآله الأسوة، والقُدوة، والمثال: 224

إن تتبعون إلا رجلا مسحورا: 225

حفظ الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام: 226

ص: 335

هل كان يهودي يخدم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله؟ 227!

الرسول صَلَّى الله عليه وآله بدون شعر! 229!

تصنيف الروايات المتقدمة: 229

الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض. . الفصل الأول: بيانات تمهيدية كتابة إلى ستة من الملوك: 235

الملوك الستة الذين كتب إليهم: 236

حاملوا الكتب: 237

الثقل عن تنفيذ أمر الرسول صَلَّى الله عليه وآله: 237

لماذا باللغة العربية؟ 239!

تفاوت مستويات الرسائل العربية: 241

الكتابة في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: 242

لم يكن النبي صَلَّى الله عليه وآله يكتب بيده: 243

بداية كتب الرسول صَلَّى الله عليه وآله: 245

البدء باسمه الشريف: 250

الحمد والتسليم: 251

إتخاذ الخاتم: 252

النبي صَلَّى الله عليه وآله يؤرخ رسائله: 254

كتب دعوة لا كتب حرب: 254

حساسية مخاطبة الملوك: 256

رسائل النبي صَلَّى الله عليه وآله للملوك: 258

ص: 336

الفصل الثاني: كتاب النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى كسرى رسالته صَلَّى الله عليه وآله إلى كسرى: 261

اختلاف الكتب: 263

بسم الله الرحمن الرحيم: 267

عظيم فارس: 268

سلام على من اتبع الهدى: 269

و آمن بالله و رسوله: 270

الشهادة لله بالوحدانية: 271

و أن محمدا عبده و رسوله: 271

أدعوك بدعاية الله: 272

فإني أنا رسول الله: 273

إلى الناس كافة: 273

لأنذر من كان حيا: 274

و يحق القول على الكافرين: 274

أسلم تسلم: 275

فإن أبيت فعليك إثم المجوس: 275

و لا تزر وازرة وزر أخرى: 276

إثم المجوس أو إثم الأكارين: 277

من هو حامل الرسالة؟! 279

حديث تسليم الكتاب: 280

عدوانية كسرى تجاه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: 282

قريش في مهب الريح: 285

بإذان ملك اليمن: 285

بإذان وعقله: 286

كفاية بإذان: 287

بإذان لم يسلم طمعا: 287

تقاؤل رسول الله صلى الله عليه وآله: 289

حلقا لحاهما: 290

الفصل الثالث: كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى قيصر . . كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى قيصر: 293

مضامين الكتاب: 295

يؤتلك الله أجرك مرتين: 296

إنهم الأريسيين: 297

ما جرى عند ملك الروم: 299

أبو سفيان عند ملك الروم: 300

إكرام الرسول صلى الله عليه وآله: 304

تعالوا إلى كلمة سواء: 306

الآية تفرض التوحيد: 308

المجوس أهل كتاب: 311

جواب قيصر: 311

حراجة موقف أبي سفيان: 313

لم أكن أظنه منكم: 314

ص: 338

ليبلغن ملكه تحت قدمي 316

حنكة قيصر في استجواب أبي سفيان 316

نظرة في أسئلة قيصر 317

هرقل ماكر و كاذب 320

أكثر من كتاب إلى قيصر 322

لا أقبل زبد المشركين 323

الفهارس 327

1-الفهرس الإجمالي 329

2-الفهرس التفصيلي 331

ص: 339

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

